نماء

مجلة ربع سنوية تصدر عن الاتحاد العالمي للمثقفين العرب
العدد الثالث - السويد - أكتوبر 2022 - ISSN: 2004-383X

الفسيولوجية المرضية للسكتة الدماغية

بناء وحفظ السلام بمفهوم حداثي

أسرار تسمية أسماء الأسبوع

فوق غلال برائتها

حكمة زوج

رئيس التحرير
ريم محمد السباعي

مجلة ربع سنوية – تصدر عن الاتحاد العالمي للمثقفين العرب

العدد الثالث – أكتوبر 2022

2004-383X :ISSN

العنوان: السويد – يوتنا، هيلديجاتن 2

رقم الهاتف: 0046737330345

رئيس التحرير:

أ. ريم السباعي

أسرة التحرير:

أ. صالح حمود — أ. أحمد سليمان أبكر

أ. أحمد البسيوني — أ. أماني عياد

أ. أحمد طامش — أ. حنان العويجة

د. شاكر عبد موسى — أ. كرم حامد

د. محمد سعيد عبد ربه — د. معاذ بوعدين

أسرة التدقيق اللغوي:

أ. سامي ثابت الهزاع – سكرتير التحرير

أ. عبد الباسط ناصيف

أ. شيماء أنور

أ. وليد البجلي

لطلب المجلة ورقياً التواصل

مع مؤسسة النيل والفرات المصرية عن طريق الواتساب :00201011256943

أو عن طريق موقع الاتحاد: www.wfai.se

افتتاحية العدد

أ. ريم السباعي – رئيس التحرير

الرأي الآخر

هل تؤمن باختلاف الآراء؟ هل تستمع إلى آراء الأخرين؟ هل انت ممن يتشبثون بآرائهم؟ هل تؤمن بالرأي الآخر؟

دائما ما يرى المرء بأنه على صواب، وأن رأيه هو الأهم والأصح على الإطلاق، وطالما اختلف مع الأخرين في وجهات النظر واختلاف الآراء.

إن اختلاف الآراء لا يعني بالضرورة خطأ أحدهم، بل غالبا ما تكون الآراء صائبة، فقط اختلافا متبلورا حول فكرة معينة أو طريقة أو أسلوب، ويبقى الجوهر صحيحا.

ولكن هذا لا يعني أنه لا يوجد إختلافا بين خطأ وصواب، وربما ظهر اختلافا بين رأيين كلاهما خطأ، ومهما كان الاختلاف في الرأي إذا كان صوابا أو خطأ فدائما ما تنشب الخلافات بين الأفراد، فكل فرد يبذل قصارى جهده لإثبات صحة رأيه، وماذا إذا أيقن بأنه مخطئ؟ فهل هذا يعني تغيير رأيه؟ للأسف لا، فإن ما يحدث هو التشبث أكثر بالرأي.

إن الإعتراف بالخطأ ليس خطأ بل صوابا وبداية الطريق في إصلاح النفس، ودائما يكون الرأي قابل للتغيير لأنه ينتج من تجارب وملاحظات فربما كانت صائبة أو خاطئة، إنما المبادئ فهي التي لابد للمرء أن يتشبث بها، فهي القيم والأخلاق التي لا يجوز التهاون فيها.

أما بالنسبة للرأي الآخر فلابد من احترامه فإن ذلك من رقي الإنسان وتحضره.

عبق التاريخ

التحولات المناخية وأشكال التكيف بواحة درعة (واحة فزواطة نموذجا) – الجزء الثاني

د. معاذ بوعدين

الفصل الثاني:

أشكال التكيّف بواحة فزواطة:

مقدمة:

1- التكيف مع الجفاف:

للتخفيف من حدة الجفاف قام المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي بورزازات ابتداء من سنة 2004، باتخاذ مجموعة من التدابير التي من شأنها مساعدة الفلاحين على تخطي هذه المرحلة والحد من الخسائر المتوقعة في الميدان الفلاحي بصفة عامة وأشجار النخيل بصفة خاصة، "حيث قام بتشجيع الفلاحين على اللجوء إلى استغلال المياه الجوفية بشكل منظم، وذلك بقيامه بحملات تحسيسية عن الوضعية الغير ملائمة، ووضعه لمعدات حفر الآبار الجماعية ومعدات للضخ رهن إشارة تنظيمات مستعملي المياه المخصصة للأغراض الزراعية الراغبة في ذلك."[1] إضافة إلى ذلك، تابع المكتب إنجاز العمليات التي من شأنها تحسين فعالية شبكة الري العصرية والتقليدية وذلك بإعادة تأهيل الشبكة العصرية وتبليط السواقي التقليدية.

نماذج لبعض السواقي الحديثة

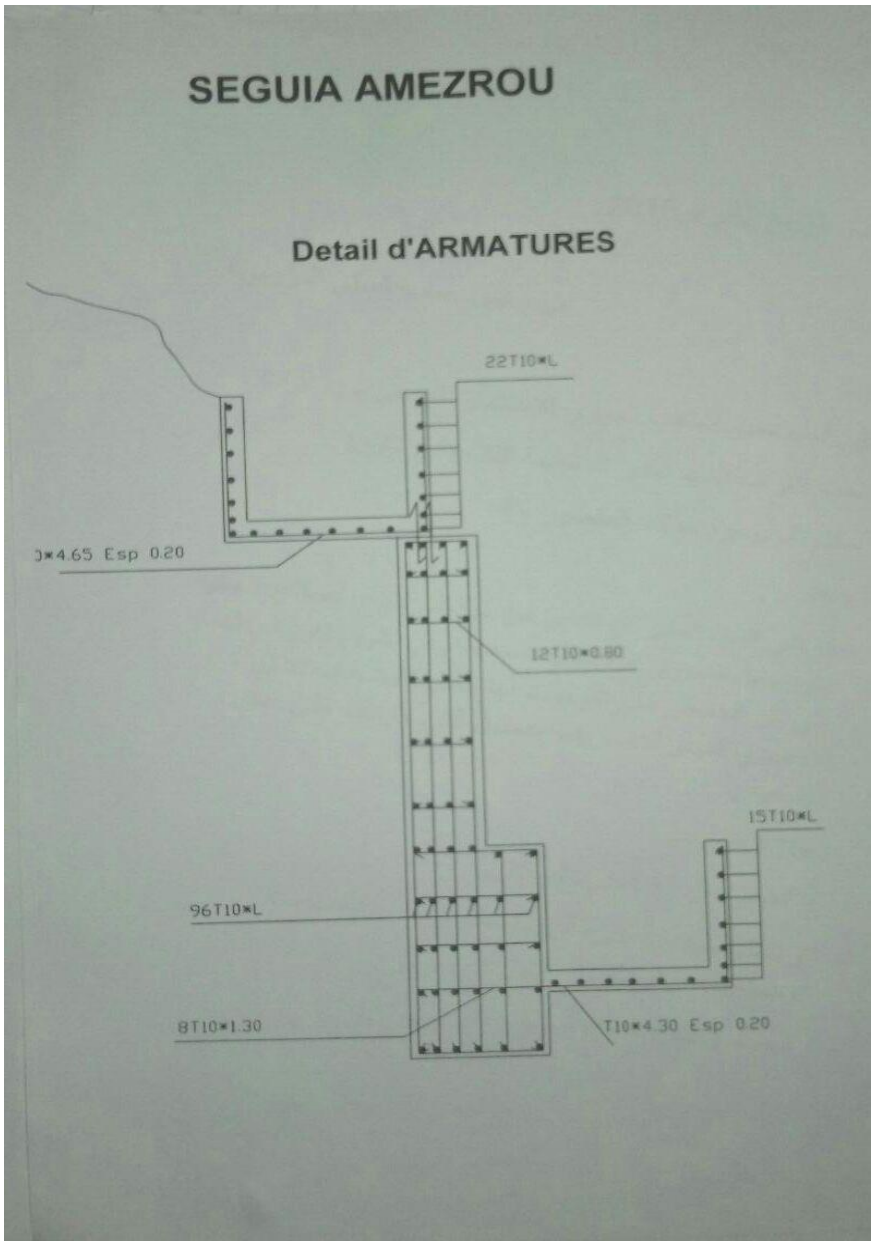

هذه الخطوة التي من شأنها الحد من تسرب المياه الموجهة للسقي، ظلت عاجزة عن الحد من كميات الماء المتبخرة رغم تعميمها على كافة واحات درعة الوسطى.

شبكة السواقي الحديثة بواحات درا

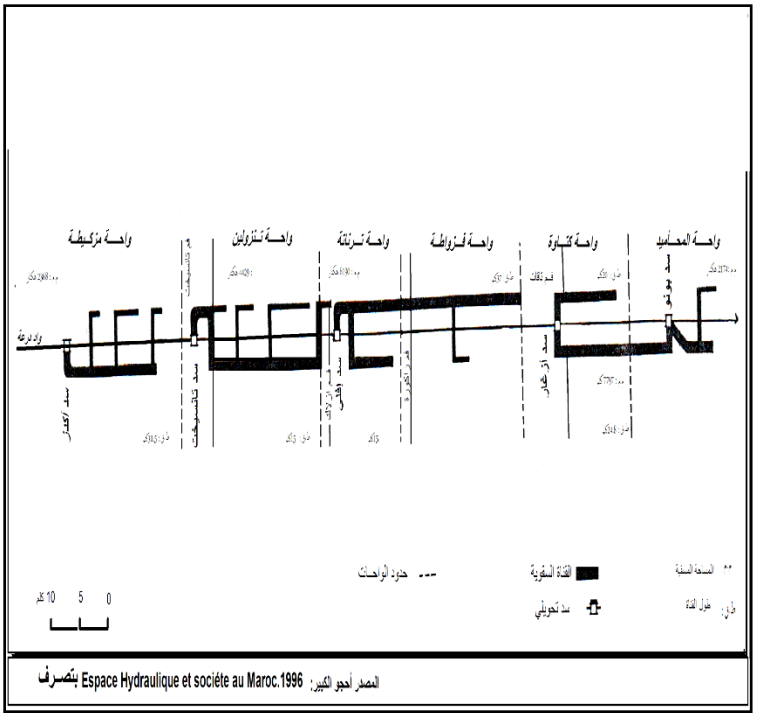

المصدر أحجو الكبير: Espace Hydraulique et société au Maroc.1996 بتصرف

إضافة إلى ما سبق نسجل تراجعا ملحوظا في دور السواقي التقليدية في عملية الري بسبب تحكم الدولة في جريان الوادي، وبالتالي عدم الحفاظ على انتظام الدورة المائية.

من جهة أخرى، عمل **المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي بزاكورة** على إحصاء جميع الآبار المجهزة بداخل كل واحة وكان الهدف من ذلك هو تقديم مساعدات تعويضية للفلاحين. وهذه الأخيرة تختلف حسب التجهيزات المتوفرة في كل بئر. كما عمل كذلك على قياس عمق كل بئر، وذلك لأجل التقليل من عملية الحفر العشوائي والزيادة في عمق الآبار إلا بطلب ترخيص.وكان الهدف الأساس من هذه العملية هو محاولة تطبيق ما جاء به قانون 10.95، من خلال التقليل من نسبة الضخ وجفاف الآبار مع الحد من مشكل الملوحة بالواحات، لأن الآن معظم الدواوير خاصة بواحة فزواطة يعانون من مشكل ملوحة المياه وتحديدا الصالحة للشرب.

II- التصدي لمرض البيوض:

يتدخل الفلاحون بواحات درعة عموما للتصدي لظاهرة البيوض باعتماد وسائل تقليدية لانعدام علاج فعّال لهذا المرض. كما تتدخل محطة التجارب الهيدروفلاجية بزاكورة من خلال توفير بعض البدائل المقاومة للمرض.

أ-أشكال تدخل الفلاحين لمواجهة مرض البيوض:

منذ بداية انتشار المرض بواحات درعة الوسطى لجأ الفلاحون إلى تقنية أساسية لمحاربة والتقليل من انتشار مرض البيوض. فعند بداية ظهور أعراض هذا المرض على النخلة (تيبس سعفها) يتم القيام بعملية حرقها وذلك لأجل قتل الفطر المسبب للمرض.

عملية حرق النخلة لمحاولة قتل مرض البيوض

لكن هذه الطريقة لم تعط نتائج مرضية لأنه بعد مرور سنة أو سنتين تقريبا تموت النخلة بصفة نهائية. ويمكن تفسير ذلك بأن الفطر يعيش في التربة وبالتالي يقتات من جذور النخلة، ففي هذه الحالة يجب اجتثاثها من جذورها لكي لا ينتقل المرض إلى باقي أشجار النخيل الأخرى.

ب-أشكال تدخل محطة التجارب الهيدروفلاحية بزاكورة:

تضطلع محطة التجارب الهيدروفلاحية بزاكورة بدور فعال في إنتاج فسائل جديدة مقاومة لمرض البيوض، وقد عملت بالتعاون مع الفاعلين الاقتصاديين المحليين والجهويين والوطنيين على ابتكار طرق جديدة لمكافحة هذا المرض والحد من انتشاره ويمكن إجمالها في ما يلي:

❖ **المكافحة الوقائية:**

وتقتضي بداية تحسيس الفلاحين بخطورة المرض ومدى مساهمته في تدهور الواحات، مع تقديم شروحات حول كيفية انتقاله كالسقي المكثف مثلا، مع العمل على التخلي عن مثل هذه السلوكات التي تساهم في انتشاره.

❖ **استخدام الأصناف المقاومة للمرض:**

وتتمثل في انتقاء أصناف جديدة من فسائل النخيل المقاوم للمرض ومنها سلالة تسمى "النجدة 3014" والتي تم توزيعها بالمجان على مجموعة من الفلاحين بداخل واحات درعة الوسطى لإنقادها من هذا المرض والمحافظة على التوازن الإيكولوجي بداخلها.

الصنف الجديد المقاوم لمرض البيوض "النجدة 3014"

لكن الإشكال الذي مازال يطرح نفسه بحدة هو عدم التوصل لعلاج للأصناف المصابة والمهددة بهذا المرض، خاصة الأصناف ذات الجودة الجيدة مثل الفقوس، بوسكري، الجيهل...بل الأكثر من ذلك أن هناك مجموعة من الأصناف المهددة بالانقراض مثل بوسكري والفقوس.

أما فيما يخص عملية تهجير النخيل فقد عملت السلطات المحلية بمختلف الواحات على تشديد المراقبة لمحاربة هذه الظاهرة الخطيرة والتي تشكل تهديدا على الواحة سواء من الناحية الإيكولوجية أو الاقتصادية.

III- مكافحة التصحر وزحف الرمال:

تعتبر ظاهرة التصحر وزحف الرمال من أخطر المشاكل التي تواجهها الواحات الوسطى وهذه الظاهرة تعود لأسباب بشرية ومناخية، لتنعكس اليوم على الساكنة المحلية والمنتوجات الفلاحية والنباتات التحتية بصفة عامة. الشيء الذي جعل المندوبية السامية للمياه والغابات ومحاربة التصحر بزاكورة، إضافة إلى جمعية تنمية وادي درعة بمركز زاكورة، إلى البحث عن السبل الكفيلة لأجل التخفيف من حدة هذه الظاهرة مع البحث عن وسائل وأدوات جديدة لأجل التأقلم معها.

1- دور المندوبية السامية للمياه والغابات ومحاربة التصحر بزاكورة:

في إطار مشاريعها التعاونية قامت هذه المندوبية بعدة محاولات لتثبيت الكثبان الرملية إما بطريقة ميكانيكية، أوبيولوجية في مجموعة من المناطق بواحة فزواطة.

❖ **التثبيت الميكانيكي:**

يتم عن طريق وضع تربيعات « cadriage » اعتمادا على سعف النخيل، والذي يعد المنتوج المحلي. غير أن طريقة وضع التربيعات تكون في اتجاه عمودي مع اتجاه الرياح خاصة وأن بعض المناطق بالواحة تهب عليها الرياح من الجنوب الغربي، لهذا عملت الإدارة على وضع تربيعات يصل طول كل تربيع حوالي 10 متر، ثم 10 متر عرضا وفي اتجاه عمودي مع اتجاه الرياح، وهذه العملية توضع باستعمال سعف النخيل كما هو موضح في الصورة التالية:

تقنية التربيع المستعملة لحجز الرمال والحد من خطورتها

❖ **التثبيت البيولوجي:**

بعد عملية التثبيت الميكانيكي تأتي عملية التثبيت البيولوجي، التي تتم عن طريق القيام بعملية غرس أشجار الطامريكس « Tamarix Aphylla » أو الطلح، وهو نوع من الأشجار الذي يتأقلم مع الظروف المناخية للمنطقة، في وسط كل تربيع كما هو موضح في الرسم التالي:

تقنية التربيع مكونة من شبكة من الأسيجة المتعامدة مع اتجاه الرياح

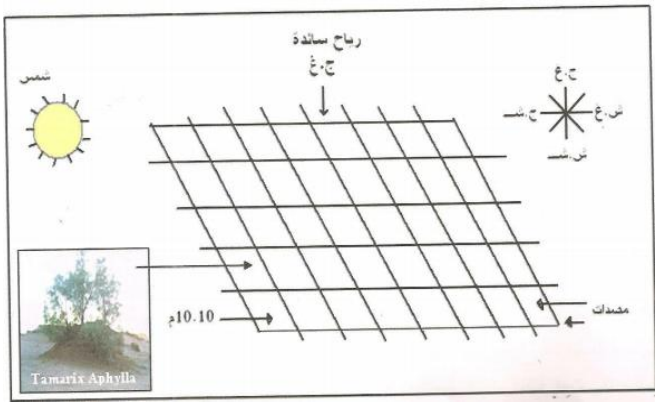

وبالإضافة إلى التدخلات الميكانيكية والبيولوجية سعت المندوبية السامية للمياه والغابات ومحاربة التصحر بزاكورة إلى القيام بعملية التشجير على مستوى الواد الميت من أجل تثبيت التربة وذلك في إطار "مشروع محاربة التصحر في وادي درعة" بعد ذلك تم تثبيت الكثبان الرملية على مساحة تناهز 500 هكتار في بعض المناطق وذلك منذ سنة 1980.

زيادة على ذلك تقوم كل سنة بإنتاج ما يناهز 100 ألف شتيلة من الأنواع الغابوية مثل شجيرات الطلح في المشتل المتواجد بداخل الإدارة.

إنتاج شجيرات الطلح بإدارة المياه والغابات ومحاربة التصحر بزاكورة

وهذه المشاتل يتم توزيعها على المؤسسات التعليمية والحكومية من أجل خلق فضاءات خضراء من شأنها الحد من هذه الظاهرة. ويتم تقديمها بطريقة مجانية حيث تعقد شراكة مع وزارة التربية الوطنية. وذلك لأجل تحسيس التلاميذ بمدى خطورة هذه الظاهرة ومدى عرقلتها لتنمية المنطقة.

إضافة إلى ذلك تقوم الإدارة بنفسها بعملية غرس المشاتل خاصة أثناء القيام بعملية التثبيت البيولوجي والميكانيكي في مختلف المناطق التي تعرف عملية زحف الرمال.

إذن ما يمكن استنتاجه هو أن عمليات التثبيت تحتاج إلى وقت وجهد كبيرين مع توفر الموارد المادية والبشرية ثم موارد مائية لمواكبة هذه العملية خاصة التثبيت البيولوجي.

وينضاف إلى هذه الجهود المبذولة الدور الذي لعبه العمل الجمعوي في التصدي لهذه الظاهرة خاصة جمعية تنمية وادي درعة بزاكورة ، وجمعية أصدقاء البيئة زاكورة، اللتان قامتا من خلال برامجها الهادفة إلى التدخل لأجل التخفيف منحدة التصحر وزحف الرمال وهذا تم عن طريق اعتماد مقاربة تشاركية بينها وبين السكان المحليين ثم إدارة المياه والغابات ومحاربة التصحر بزاكورة.

2- **<u>عقد شراكات مع جمعيات السقي من أجل إصلاح السواقي</u>**:

هذه الجمعيات التي بادرت من جهتها وبإيعاز من الدولة أو بالشراكة معها في القيام بمجموعة من الخطوات الهادفة إلى المحافظة على مؤهلات الواحة، سواء الطبيعية أو البشرية. وخصوصا الموارد المائية كالسهر على صيانة بعض السواقي أو تنظيم اجتماعات تحسس بأهمية الحفاظ على الماء باعتباره عصب حياة كل المجالات بالمنطقة.

كما استفادت هذه الجمعيات من مجموعة من الدورات التكوينية حول تدبير المنشآت الفلاحية وتقنيات السقي في إطار ما سمي بـ "مشروع الأشجار المثمرة" بهدف تأطير الساكنة المحلية وتوعيتها بالمخاطر الناتجة عن سوء الاستغلال..

نموذج محضر دورة تكوينية حول استخدام المنشآت الهيدروفلاحية

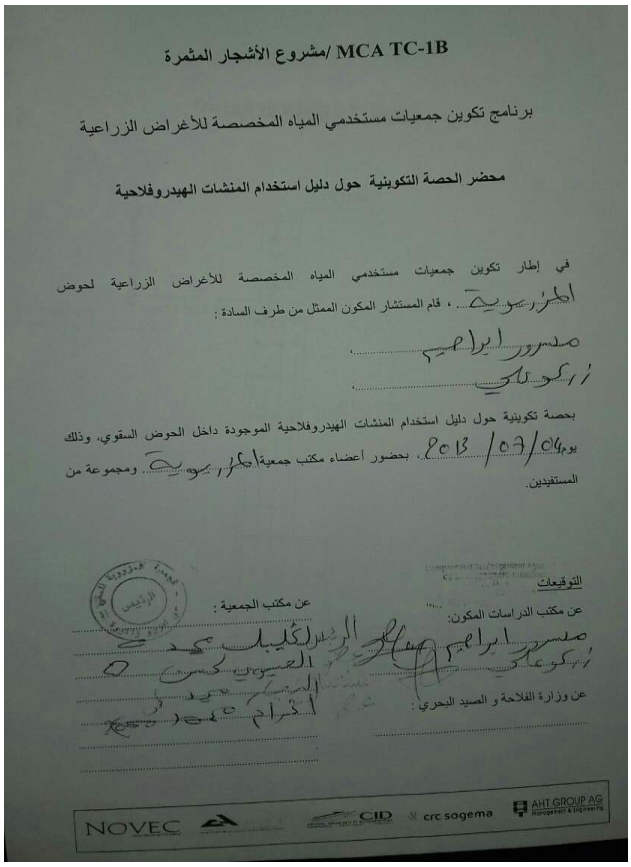

MCA TC-1B /مشروع الأشجار المثمرة

برنامج تكوين جمعيات مستخدمي المياه المخصصة للأغراض الزراعية

محضر الحصة التكوينية حول دليل استخدام المنشات الهيدروفلاحية

في إطار تكوين جمعيات مستخدمي المياه المخصصة للأغراض الزراعية لحوض ...، قام المستشار المكون الممثل من طرف السادة :

بحصة تكوينية حول دليل استخدام المنشات الهيدروفلاحية الموجودة داخل الحوض السقوي، وذلك يوم 2013/09/04، بحضور أعضاء مكتب جمعية ... ومجموعة من المستفيدين.

التوقيعات

عن مكتب الجمعية :

عن مكتب الدراسات المكون:

عن وزارة الفلاحة و الصيد البحري :

NOVEC CID crc sogema AHT GROUP AG

نموذج دعوة لحضور دورة تكوينية حول التغيرات المناخية

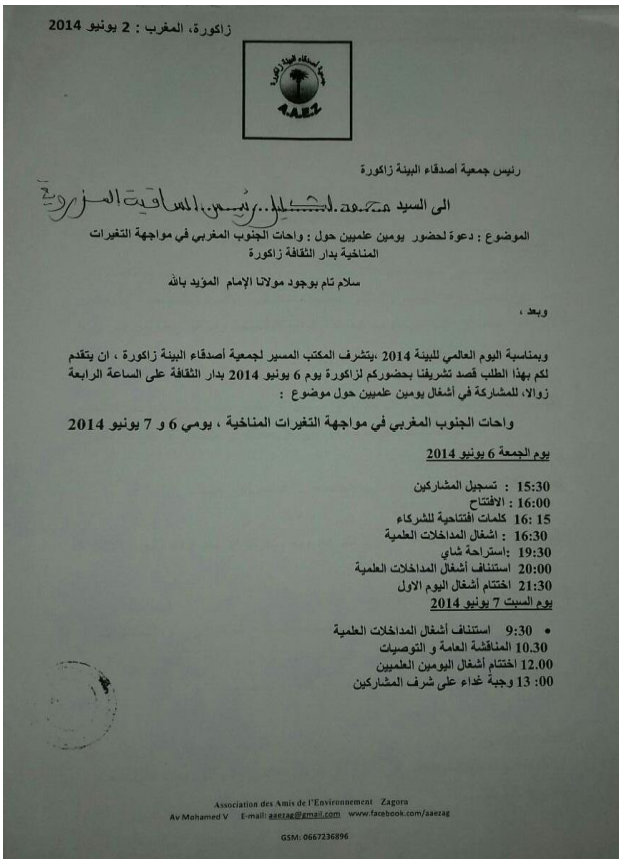

زاكورة، المغرب : 2 يونيو 2014

رئيس جمعية أصدقاء البيئة زاكورة

الى السيد محمد الجليل رئيس المقاطعة المزورعة

الموضوع : دعوة لحضور يومين علميين حول : واحات الجنوب المغربي في مواجهة التغيرات المناخية بدار الثقافة زاكورة

سلام تام بوجود مولانا الإمام المؤيد بالله

وبعد ،

وبمناسبة اليوم العالمي للبيئة 2014 ،يتشرف المكتب المسير لجمعية أصدقاء البيئة زاكورة ، ان يتقدم لكم بهذا الطلب قصد تشريفنا بحضوركم لزاكورة يوم 6 يونيو 2014 بدار الثقافة على الساعة الرابعة زوالا، للمشاركة في أشغال يومين علميين حول موضوع :

واحات الجنوب المغربي في مواجهة التغيرات المناخية ، يومي 6 و 7 يونيو 2014

يوم الجمعة 6 يونيو 2014

15:30 : تسجيل المشاركين
16:00 : الافتتاح
16: 15 كلمات افتتاحية للشركاء
16:30 : اشغال المداخلات العلمية
19:30 :استراحة شاي
20:00 استئناف أشغال المداخلات العلمية
21:30 اختتام أشغال اليوم الاول

يوم السبت 7 يونيو 2014

- 9:30 استئناف أشغال المداخلات العلمية

10.30 المناقشة العامة و التوصيات
12.00 اختتام أشغال اليومين العلميين
13 :00 وجبة غداء على شرف المشاركين

Association des Amis de l'Environnement Zagora
Av Mohamed V E-mail: aaezag@gmail.com www.facebook.com/aaezag
GSM: 0667236896

يتضح مما سبق أن العمل الجمعوي بإقليم زاكورة، أصبح يشكل دعامة أساسية في تفعيل التنمية المحلية، ويتجلى ذلك في مساهمته في تنفيذ وإنشاء العديد من المشاريع التنموية. رغم مواجهته لمجموعة من التحديات المرتبطة من جهة بالجانب المادي وتكوين الموارد البشرية المنوطة بهذا العمل الجمعوي، إضافة إلى الآخر المتعلق بالفقر والأمية.

خاتمة:

من خلال ما تمت الإشارة إليه، يمكن استنتاج أن التنوع السوسيوثقافي بواحة فزواطة لعب دورا مهما في حياة مبنية على التضامن والتكافل الاجتماعي في شتى المجالات خاصة في مجال تدبير الموارد المائية.

كما أن للعمل الجمعوي دور مهم في التصدي لمجموعة من القضايا المتعلقة بالبيئة، سواء في التصدي لمشكل التصحر وزحف الرمال أو مساعدة الفلاحين على التكيف مع دورات الجفاف، هذا بالرغم من بعض العوائق المادية التي يواجهها.

إضافة إلى ذلك لعبت المؤسسات الإدارية والمتمثلة في كل من إدارة المياه والغابات ومحاربة التصحرثم محطة التجارب الهيدروفلاحية إضافة إلى المركز الجهوي للاستثمار الفلاحي بزاكورة وورزازات، دورا مهما في مساعدة سكان المنطقة على التقليل من الضغط على الموارد الطبيعية ثم مساعدتهم على التكيف في ظل التحديات المطروحة.

أسرار تسمية أيام الأسبوع عند العرب

أ. أماني عياد

مقدمة

يعدّ التاريخ محور العلوم الإنسانية؛ لأنه يفسر نشأة الإنسان ويقوم بتتبع خطوات تطوره عبر العصور وجهوده في تسخير الطبيعة لخدمته والخطوات التي قام بها لبناء هذه الحضارة. وضمن عجلة الحياة المتنوعة تنوعت الثقافات والحضارات، مما جعل علم التاريخ سيّدا متميزًا على بقية العلوم في الدراسة والتمحيص والتحقيق والتحليل والنقد والمقارنة. وأن تكون مؤرخًا فعليك إيصال رسالة العصور العتيقة بكل شفافية، وقد شهد تاريخنا العربي عبر العصور أمجادًا تستحق التدوين، فكان الشعر مصدرًا من مصادرها؛ لأنه من بين ما ذكر وهبنا مسميات الأيام في العصر الجاهلي وترك لنا حضارة رفيعة الشأن يشار إليها بالبنان عظيمة المجد، فقد سادت تسمية الأيام من أرض الأجداد إلى أرجاء المعمورة.

اليوم والأسبوع:

إن علامة العنوان تقتضي إعطاء صورة مسهّلة عن لفظ كلمة أيام ولفظ كلمة أسبوع.

"أيام" جمع كلمة يوم وأصله آيوام، فأدغم ليصبح اليوم وأيام تقابل الليالي.

قال الله تعالى:

{سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومَاً}

وقال الله تعالى:

{وتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ}

وحين بدأ العرب كتابة الأيام وحساب السنوات كانوا يعتمدون أن الليل سابق للنهار، ولديهم قناعة أن الظلام كان موجودًا أولًا قبل أن تشرق الشمس لتبدأ ولادة النهار.

أما لفظ "أسبوع" فهو على وزن أُفعول، ومعناه سبع، وهي جذر سامي مشترك في جميع اللغات السامية، وجمعه أسابيع، ومنه جاءت التسمية رقم سبعة.

أما تسمية الأيام، فهي تختلف من فترة زمنية لأخرى، وقد مرت بعدة مراحل حتى وصلت لتسميتها الحالية، وهذه المراحل هي:

- **المرحلة الأولى:**

كان البابليون أول من قام بتسمية أيام الأسبوع، إذ إن العرب في البداية -كما يقول البيروني- لم تكن تسمي أيامهم بأسماء مفردة، بل أفردوا لكل ثلاث ليالي من كل شهر من شهورهم اسمًا على حِدة، وهذا الاسم مستخرج من حال القمر، فإذا بدؤوا من أول الشهر كانت أول ثلاث ليالٍ تسمى عندهم "غررًا"، وهي جمع غُرّة، وغرة كل شيء أوله. ثم ثلاث ليال "نفلًا"، من قولهم تنفّل. ثم ثلاث ليال "تسعًا" وآخرها الليلة التاسعة. ثم الثالث عشر أولها العاشرة وآخرها الثالثة العاشرة، وفيها ينير القمر ويبيضّ ويسطع. وبعدها ثلاث ليال "درعًا" لبدايات اسودادها في أولها فهي تشبه الشاة الدرعاء. ثم ثلاث "حنادسًا" لاشتداد سوادها، ويقال عنها "دهمًا" أيضًا. ثم ثلاث "دادئًا" لأنها بقايا. وأخيراً "المحاق" نسبة إلى انمحاق القمر. فكانت التسمية هنا مرتبطة بالقمر ارتباطًا وثيقًا في جميع أطواره.

- **المرحلة الثانية:**

أما المرحلة الثانية عند العرب، فيؤكد المؤرخون أن البابليين قاموا بتسمية الأيام تبعًا لأسماء الكواكب المعروفة لديهم، وكان عددها خمسة كواكب، وهي: عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل، وخصصوا اليوم السادس للقمر واليوم السابع للشمس. وقد اشتَقت حضارات عديدة تلك التسمية من الحضارة البابلية، ولا تزال حتى يومنا الحالي، فيوم الأحد هو اليوم الأول في الأسبوع البابلي باسم الإله "الشمس"، وانتقلت إلى اللغة الإنجليزية (sunday). والإثنين اسم الإله "سين"، وهو القمر (Moon) بالإنجليزي.

(Lundi) بالفرنسية والإيطالية لونا، وهي القمر. والثلاثاء يوم الإله "نيرجال" إله الموت والعالم السفلي ورمزه المريخ، مارس (Mardi) باللغة الفرنسية والإيطالية. والأربعاء يوم الإله "نابو" رب الحكمة والذكاء، ومنها أتت كلمة "نبي"، ورمزه كوكب عطارد (Mercredi) بالفرنسية والإيطالية. ويوم الخميس يوم الإله "مردود"، ويرمز له بكوكب المشتري جيو بتر (Jeudi) بالفرنسية والإيطالية. ويوم الجمعة يوم الآلهة "عشتار" آلهة الخصب والحب، ورمزها كوكب الزهرة فينوس، وباللغات الإسكندنافية أفروديتا، ومنها(Friday) بالإنجليزية. ويوم السبت يوم الإله "ننورتا" إله منتصف الشتاء، ورمزه كوكب زحل (Saturday) بالإنجليزية، وهو اليوم السابع المشتق من رقم سبت أي سبعة بالبابلية، ومنه السبت أيضًا باللغة العربية.

- **المرحلة الثالثة:**

بينما المرحلة الثالثة وهي تسمية أيام الأسبوع بالأسماء المعروفة اليوم، والتي تختلف في تسميتها عن أيام الأسبوع في العصر الجاهلي، فقد أطلق العرب بعد ذلك بعض الكلمات التي تتحدث عن الأسبوع:

- يوم الأحد قد سمي بـ"الأوّل"، لأنه فاتحة أيام الأسبوع ويبدأ العدّ به.

- يوم الإثنين "الأهون أو الأوهد"، فهو ثاني أيام الأسبوع عند العرب القدماء، فقد أطلق عليه هذا الاسم لسهولة مرور هذا اليوم، فقد كان خفيفًا وسهلًا بالمقارنة مع بقية الأيام، والوهدة هي الانخفاض، وكأنهم جعلوا الأيام تبدأ من الأعلى ثم تنخفض في العدّ.

- يوم الثلاثاء "جُبار"، وهذا اليوم يأتي في منتصف الأسبوع، وتعود تسميته إلى أنه أجبر فيه بقية الأسبوع، وذلك لانتصافه في ترتيب الأيام، فهو حلقة الوصل بين بداية الأسبوع ونهايته؛ لأن العدد جبر إذ احتوى على عدد فردي واحد وعدد زوجي اثنين، فكان رقمه ثلاثة في أيام الأسبوع.

- يوم الأربعاء فهو "الدبار"، وهو رابع أيام الأسبوع عند أجدادنا العرب، وفيه جبرت أيام الأسبوع

- يوم الخميس وهو "المؤنس"، وهو خامس أيام الأسبوع وهو اليوم الذي يميل إليه الناس للاستمتاع بالمناسبات والفرح ويؤنس فيه الناس من تعب الأيام السابقة، والخميس هو يوم التسوق قبل الإسلام، ولا يزال يوم الخميس للتسوق حتى يومنا الحالي، وإضافة إلى وجود أسواق الخميس في شبه الجزيرة العربية فقد ورد في القرآن الكريم {يَا أَيُّهَا الذِّين آمَنوا إذا ُنودِي لِلصَلاة مِن يَوْمِ الجُمْعَة فاسْعَوا إلى ذِكرِ الله وَذَروا البَيع ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكمْ إنْ كُنتمْ تَعلَمونْ}

- يوم الجمعة عروبة فهو سادس أيام الأسبوع عند العرب القدماء، أي اليوم قبل الأخير، وهو مشتق من كلمة الإعراب أي الإفصاح والإبانة، والعروبة هي المتحببة إلى زوجها. ويرى المؤرخون أنه تم اشتقاقه من كلمة العرب لهم، ويتفق العرب في تحديد هذا اليوم يوم عيد واحتفال وراحة ومتعة، والعروبة هي الحشد، والحشد نسبة الى عشتار الأم عند البابليين، وهو يوم ذو أهمية كبيرة عند العرب، وتسمى أيضًا بحربه لبياضها ونورها وتعظيمها، فهي في الأيام كالحرباء.

- يوم السبت "شيار"، وهو آخر أيام الأسبوع على عكس أيامنا؛ لأنه أول الأسبوع، أما تسميته شيار نعني به الشيء الذي أُخذ من مكانه وأُظهر في مكان آخر.

يؤكد تلك التسمية وقد ذكر القلقشندي (٨٢١) هجرية أن هذه الأسماء عرفت عند العرب العاربة من بني قحطان وينسب أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد أحد أهم علماء اللغة العربية تبعًا لما أورده المسعودي والبيروني هذه الأبيات للنابغة الذبياني (من شعراء العصر الجاهلي):

أؤمل أن أعيش وأن يومي

بأول أو بأوهن أو جبار

أو التالي دبار أو فيومي

بمؤنس أو عروبة أو شيار

هي الأيام دنيانا عليها

ممر الليل دأبًا والنهار

ومن ناحية أخرى، فإن تسمية أيام الأسبوع بأسمائها اليوم تعود إلى العدد نفسه، فمن الأحد وحتى الخميس مشتقة من نفس العدد (الأول والثاني والثالث والرابع والخامس).

يوم السبت:

جذره السين والباء والتاء، وهو من سبته، ويدل هذا الجذر على الراحة والسكون والانقطاع عن العمل، فسبت يسبت سبتًا إذا قطع، ثم سمي اليوم به، وهو أول أيام الأسبوع عند العرب، وكان آخرها قبل الإسلام.

يوم الأحد:

جذره الواو والحاء قلبت فيه الواو همزة، إذ إن الواو والحاء والدال أصل واحد يدل على الانفراد، فوحد الشيء يحده حده، ونبدأ به الأيام لأنه كان أول أيام الأسبوع قبل الإسلام.

يوم الإثنين:

جذره الثاء والنون والياء، قال الخليل بن أحمد (١٧٥) هجرية: الثني من كل شيء ما يثنى بعضه على بعض طباقًا، ويقال ثنيته ثنيًا أي ثنيت الشيء، وثنيته جعلته اثنين، أي من العدد اثنين.

يوم الثلاثاء:

جذره الثاء واللام والثاء، يقال الثلث الشيء ومنه مضى ثلث الأسبوع مأخوذ من العدد الثالث.

يوم **الأربعاء**:

جذره الراء والباب والعين، وهو الجزء من أربعة أشياء، مأخوذ من العدد الرابع.

يوم الخميس:

جذره الخاء والميم والسين، مأخوذ من العدد الخامس.

يوم الجمعة:

جذرها الجيم والميم والعين، ويدل على ضم الشيء وجمعه جمعًا، وهي يوم الاجتماع، ويقال إن كعب بن لؤي هو أول من سمى العروبة بالجمعة.

أما بالنسبة إلى تقسيم اليوم الى ٢٤ ساعة، فربما لأن عرب الجاهلية كانوا يجهلون ذلك (والله أعلم).

المراجع:

١-القرآن الكريم: سورة الجمعة (٩)

سورة الحاقة (٧)

سورة آل عمران (١٤٠)

٢-ابن منظور: لسان العرب، إعداد يوسف خياط، بيروت: دار لسان العرب، (د ت).

٣-القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي ٨٢١ هجرية، صبح الأعشى في كتابة الإنشاء، شرح: محمد حسين شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٨٧.

٤-الجوهري: إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور، بيروت: دار العلم الملايين ١٤٤٠ – ١٩٨٤.

٥-الخليل بن أحمد: أبو عبد الرحمن الفراهيدي ١٧٥هجرية، معجم العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، بيروت: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، ١٤٠٨ – ١٩٨٨.

المركز القانوني للمرأة في العصر الفرعوني

أ. كرم عبد المنعم حامد محمد

يُعد القانون المصري من أقدم النظم والتشريعات القانونية التي عرفتها البشرية جمعاء، وتناول ذات القانون العديد من الأسس والتشريعات التي كانت في مستوى حضاري أرقى مما كانت عليه الكثير من قوانين الحضارات الأخرى.

وقد استمر القانون الفرعوني هذا نحو ما يقارب ثلاثين قرنًا من الزمان؛ حيث وُلد ذات القانون مع ظهور الدولة المصرية القديمة التي بدأت رسميًّا منذ عام 3200 ق. م بعد توحيد الملك (مينا) لإقليمي مصر؛ أي عقب توحيد البلاد من الناحية السياسية، والإدارية، والدينية؛ حيث شهدت مصر طوال عهودها الطويلة العديد من النظم القانونية المتعاقبة، أُطلق عليه "ظاهرة الدورات"؛ حيث يُولد القانون، وينمو، ويترعرع، ثم يُصاب بالشيخوخة وينهار، وبعد ذلك تبدأ دورة أخرى بنفس الطريقة.

وانعكس ما شهده القانون من تطورات وانتكاسات على المركز القانوني للمرأة في المجتمع المصري القديم، وهو ما سنوضحه.

أولا: المركز القانوني للمرأة في عصر التقدم:

خلال عصور التقدم والازدهار التي شهدتها الدولة المصرية القديمة بلغت المرأة المصرية مكانة مرموقة في المجتمع المصري القديم، منحها القانون وضعًا شرعيًّا؛ حيث اعترف لها بالعديد من الحقوق، كما وصلت إلى أعلى درجات الاحترام والتقدير، باعتبارها الشريك الوحيد للرجل في حياته الدينية والدنيوية، فقد امتازت المرأة بمساواتها مع الرجل في جميع جوانب الحياة، كما أنها كانت ملازمة له في العالم الآخر أيضًا.

وحملت المرأة ألقابًا عظيمة في مصر القديمة، وأُطلق عليها مسميات كثيرة، منها: أنها طاهرة اليدين، كما كانت هي الزوجة الشرعية بالنسبة لزوجها، تُوصف بأنها "مريت"؛ أي (الحبيبة أو المحبوبة)، كذلك وُصفت في اللغة المصرية القديمة بأنها: "نبت-پر"؛ أي: "سيدة المنزل" (ربة الدار)؛ كما وُصِفت كذلك بأنها: "سنت"؛ أي: (الأخت) تكريمًا لها ولمكانتها السامية.

واحتلت المرأة في القانون المصري الفرعوني مركزًا ومكانة قانونية كبيرة في الدولة القديمة، وكانت دومًا رمانة الميزان في الحياة ودافعًا لتحقيق الإنجازات في جميع أركان الدولة.

ويشير العديد من الباحثين والمؤرخين أن المرأة في الحضارة الفرعونية احتلت تلك المكانة المتميزة؛ نظرًا لما تمتعت به من حقوق مختلفة؛ اجتماعية، واقتصادية، وقانونية، وسياسية مساوية للرجل، والدليل على ذلك اكتشاف العديد من علماء التاريخ والباحثين أن المرأة المصرية القديمة كانت تُرسم على الجدران بحجم زوجها

تمامًا، دليل التساوي والتماثل في المكانة، والشرف، والقدر، والحقوق والواجبات، وهو ما تدلّ عليه الصور والنقوش التي عُثِرَ عليها على جدران المقابر على ما كانت تتمتع به المرأة من الاحترام والتقدير، بل إن الفراعنة كانوا يعتقدون أن المرأة أكمل من الرجل، كما احتلت المرأة المصرية مكانة راقية حتى وصلت لدرجة كبيرة من التقديس، فظهرت العديد من المعبودات من النساء جنبًا إلى جانب الآلهة الذكور.

كما تجسدت المرأة في العديد من رموز الآلهة سواء تمثلت في آلهة العدل ماعت، وآلهة الحكمة، والإلهة "الكوبرا" زوجة حابى إله النيل، والإلهة إيزيس التي كانت رمزًا للوفاء والإخلاص.

1-الحقوق الأسرية للمرأة

تمتعت المرأة المصرية القديمة بالعديد من الحقوق، والحريات الأسرية الرفيعة، فقد كان لها حرية اختيار الزوج؛ وكان لها استقلالية تامة في اختيار شريك حياتها، وعليه لم تكن إرادة والدي الزوجين ذات فاعلية، أو متطلبة تمامًا في إبرام عقد الزواج، والوثيقة التي عُثر عليها مترجمة لنظام الزواج إبان الأسرة العشرين، جاء ما يفيد إلى أن المرأة كانت تُعد المرجع الأخير في أمر الزواج.

وتجسد المركز القانوني المتميز في عقود الزواج الذي تمتعت به المرأة الفرعونية في نطاق الأسرة، بموجب ما قررته "مدونة بوكخوريس"؛ حيث أباح لها القانون العديد من الحقوق، منها: أن تشترط على زوجها عدم الزواج بغيرها، أيضًا لها الحق في أن تطلق نفسها، كما أباح لها القانون أن تضع شروطًا مالية في عقد الزواج تكفل لها ضمان كافة حقوقها في مواجهة الزوج.

وبعد توثيق عقد الزواج ثبت لدى الزوجة العديد من الحقوق المالية مثلها مثل الزوج تمامًا، وقد تجسد ذلك في البردية التي سُجلت لإجراء الزواج، والمعروفة "ببردية ليدن": أن حقوق الزوجين كانت تتحدد عند إبرام الزواج بناء على اتفاق تام ما بين الزوجين، وهذا الاتفاق كان في الغالب يتضمن جعل الأموال مشتركة ما بين الزوج وزوجته.

كما تعددت مسؤوليات المرأة المصرية القديمة من الناحية الأسرية، ومن قبيل الوظائف التي اعتادت الزوجة أن تقوم بها، أنها تحملت أعباء البيت وإنجاب الأولاد، كما تولت القيام بمساعدة زوجها في تدبير شؤون البيت، وتُعَد المرأة المصرية دعامةً رئيسة لجميع الشؤون المنزلية، فكانت تشرف على إدارة المنزل، وتدبير أموره، كما كانت تقوم على رعاية أسرتها وتربية الأطفال، بجانب اهتمامها بزوجها.

2-الحقوق الاقتصادية والسياسية للمرأة:

(أ) حقوق العمل والتعليم:

أدت المرأة المصرية منذ فجر تاريخها دورًا مهمًا ومثمرًا في الاقتصاد المصري القديم؛ حيث حملت المرأة مسؤوليات كبيرة، وتلقى دائمًا الإجلالَ والإكبار، واتضحت حقوق المرأة الفرعونية في قيام المرأة بالعديد من الأعمال، واستطاعت المرأة الدخول في العديد من ميادين العمل المختلفة، وشاركت في الحياة العامة، فعملت بالزراعة وحرث الأرض، فهي أول من اكتشفت فن الزراعة وأسرارها، وهي التي جمعت ما بين عملها في الحقل بجانب زوجها في مجال الزراعة، كما عملت بتربية الماشية والطيور وطحن الحبوب ...الخ

وقد أسهم إجادة بعض النساء للقراءة والكتابة والحساب في فتح آفاق للعمل، كمربية للأطفال في بيوت كبار الدولة والملوك، وكذلك ساد في الدولة الفرعونية مهنة المرضعة، كما كانت المرأة منذ عهد الدولة القديمة تسلك مجال الطب والجراحة ومهنة المولدة، بعد أن تتلقى مبادئ العلوم الطبية، وتُعد" مربت بتاح" من أشهر الشخصيات التي تولت منصب كبير الأطباء بالأسرة الثالثة في عهد الملك "زوسر".

ومن المناصب التي شغلتها المرأة المصرية القديمة منصب قاض، ووزير، مثل "نبت " في الأسرة السادسة، كما شغلت المرأة العديد من المناصب العليا، فجلست على كرسي العرش وحكمت الدولة؛ حيث تبوأت المرأة العديد من الوظائف السياسية من أدناها إلى أعلاها.

ويقرر المؤرخون أن "الوظائف العامة" كانت بصفة دائمة من نصيب بنات الأسر العظيمة أو سيدات القصر الملكي، حتى أنه في عهد الدولة الحديثة كانت الملكة حسبما جاء مسجلًا على معبد الكرنك كان يُطلق عليها "اليد الإلهية" أو "اليد المقدسة" أو "زوجة أو معبودة الإله".

كما شغلت المرأة مهنة سيدة أعمال، مثال: السيدة "نيفر "، وكانت صاحبة أرض شاسعة وعقارات مهمة، وكانت هذه السيدة توكل لوكلائها التجاريين في عهد الدولة الحديثة، وفي ذات السياق يشير إلى أن المرأة المصرية القديمة تولت مزاولة العديد من الحرف، منها: مهنة الغزل والنسج، وهذا يشير إلى أنهن كن يعملن في صناعة الملابس، كما عملت بالعديد من الصناعات، مثل: صناعة البيرة والخبز.

وعملت المرأة بالتجارة والصيد؛ حيث ثبت تاريخيًا أن المرأة قد شاركت في بناء الأهرامات، فقد وُجدت الكثير من مدافن النساء بمقابر العمال، وقال " هيرودوت " عن المرأة من أنها: "كانت تذهب إلى الأسواق، وتمارس كافة أنواع التجارة".

(ب)الوظائف الدينية للمرأة:

جاءت الوثائق التاريخية تفيد بوجود نساء بين "الكهنوت"، مثل: الكاهنة "حتب"، وكانت تُعد "خليلات الإله، وأخريات يعشن في المعابد عيشة الزهد، والنسك، والانزواء، وكانت الكهنة الأولى لمعبد الإله آمون في الكرنك.

(ج)اعتلاء عرش الحكم في البلاد:

والدليل على المكانة البارزة والمهمة التي احتلتها المرأة خلال عصر التقدم والازدهار أنها استطاعت أن تعتلي عرش المملكة الفرعونية، من أبرز نماذج الملكات في التاريخ الفرعوني، الملكتان "تتي شيري"، و "أياح حوتب" اللتان كان لهما دور كبير في محاربة الهكسوس والتصدي لهم.

وخلال فترة (الأسرة الثامنة عشرة) تعرفت الدولة المصرية إلى العديد من الملكات الشهيرات من الأسرة الثامنة عشرة، مثل: الملكة نفرتيتي، وكذلك الملكة حتشبسوت التي تُعد من أشهر الملكات اللاتي حكمن مصر، وأقواهن نفوذًا، وسُميت بالعديد من الألقاب، منها: (ابنة الملك) أو (الملكة العظمى) أو (أخت الملك) أو (زوجة المعبود-الملك)، كما أنها ظهرت في النقوش كملكة لمصر العليا والسفلى، وهي تتزيا أحيانًا بزي الرجال نفسه، كما تولت حكم مصر اثنتين وعشرين سنة، وكان حكمها نقطة بارزة في تاريخ مصر القديم كله.

3-حقوق المرأة الثقافية والترفيهية:

تمثلت الحقوق التي تمتعت بها المرأة المصرية القديمة أنها كان لها حظ كبير من الثقافة، وكانت تمارس الرياضة والسباحة مثلها كالرجال سواء بسواء.

وتمدنا مناظر المقابر، وقصص الأدب المصري القديم بالعديد من المعلومات التي نتبين منها أن الزوجة كانت ترافق زوجها وأبناءها في الرحلات الترفيهية، وبخاصة صيد الطيور البرية.

4-حقوق المرأة القضائية:

حظيت المرأة المصرية القديمة بأهلية قضائية كاملة، كما أنها كانت قادرة تمامًا على إجراء كافة التصرفات القانونية، وصياغة التسويات القانونية، وذلك دون إذن من والدها أو زوجها إن كانت متزوجة.

كما تمثلت الحقوق القضائية المخولة لدى المرأة الفرعونية أنها كانت تمتلك رفع الدعاوى القضائية ضد أشخاص آخرين، ولها تمثيل نفسها في المنازعات القانونية؛ أي أنها جاءت كمدعية، كما جاءت شاهدة أمام القضاء حينما تطلب شهادتها، وتجسدت مسؤوليتها في عقابها إذا ما اقترفت أي جريمة.

5-حقوق المرأة المالية:

خول القانون المصري تمتع المرأة بالعديد من الحقوق المالية، فلقد كانت أهلًا لتملك الأموال، وتكون ملكيتها خالصة لها، فقد كان لها ذمة مالية واستقلالها المالي عن الرجل، وكانت تستطيع أن تدير ممتلكاتها الخاصة، وتدير ممتلكاتها العامة بمفردها، ويمكنها أن تتعاقد باسمها، وتكون بالتالي موضوعًا للالتزام، وكانت حريتها في التعاقد مطلقة.

وقد أسهم في تحقيق هذه المكانة الكبيرة بالنسبة للمرأة الفرعونية:

(أ)-سيادة الأسرة الأمية:

أسس العديد من العلماء الامتياز الذي تمتعت به المرأة في القانون الفرعوني بسبب سيادة الأسرة الأمية التي اعتنقوها كأصل للأسرة الفرعونية، وعلى ذلك أشار "باتوريه" أن سلطة المرأة في المجتمع الفرعوني ارتكزت قبل كل شيء على فكرة (المرأة)، وبمقتضاه تمتعت بالعديد من الحقوق والامتيازات، سواء تزوجت أو أصبحت أمًّا أو ظلت بلا زوج أو أولاد.

(ب)-سيادة مبدأ المساواة في عصر الفراعنة:

ساد مبدأ المساواة في الدولة الفرعونية في أوج تقدمها وازدهارها، ويرجع ذلك إلى الروح العامة التي سادت مصر في عهودها الأولى من حلقات تاريخها، تؤكد أن البلاد عاشت في ظل نظام النزعة الفردية بتحقيق المساواة في أسمى معانيها.

ولقد كان الوضع الاجتماعي لكل شخص يحدد من خلال خبراته وعلمه دون النظر لنوع الجنس.

ولقد أشار العالم الأثري والقانوني (PATUREL) إلى التأكيد على تلك الحقيقة مهمة، من أن المرأة تساوت مع الرجل تمامًا في كافة الحقوق، سواء في نطاق الأسرة أم في أروقة المجتمع، وكانت لها السلطة نفسها تمامًا مثل الرجل.

واستنبط "PATUREL " رأيه من القوام الذي اتخذته التماثيل القديمة – فكان ذات التحليل شاهدًا قانونيًا على ذلك-في إشارة إلى أن المرأة وجدت تمامًا على قدم المساواة مع الرجل؛ حيث تظهر الزوجة جالسة على المقعد نفسه مع زوجها أو يظهران واقفين جنبًا إلى جنب، وفى الحجم والارتفاع أنفسهما، وبجانب الأب والأم يظهر الولد في نفس حجم أخته.

كما تقدم " بيرين " بنظرية أخرى ودافع عنها بحماسة، وبمقتضاها ناقش مركز المرأة وفقا للعصور التاريخية المصرية، واختلافها من عصر إلى آخر، فلقد سادت المساواة في العهود الفردية.

ثانيا: تأسيس القوانين على العدالة:

إن القانون المصري القديم كان معبرًا خير تعبير عن الحياة المصرية، وظروفها الاجتماعية والاقتصادية والدينية، وشهدت تطورات متعددة وفقًا لتطور المجتمع المصري، علاوة على أن التشريع المصري انبثق من عادات الشعب المصري القديم وأخلاقه، كما ارتبط القانون المصري بعلاقة وثيقة الصلة بالقواعد والتقاليد الدينية وصفه العدل، وأصبحت العدالة روح القانون؛ حيث تم تجسيد العدالة على شكل آلهة تُعبد، أُطلق عليها الإله (معات) maat.

وفي ذات الإطار يشير المؤرخون الإغريق، أمثال: "تيودور الصقلي، و "هيرودوت" بأن كهنة منف قالوا: "إن الألهة (إيزيس) هي التي وضعت لأجدادهم القوانين؛ كيما يحل العدل محل الظلم، والرفق محل القسوة الغاشمة".

ثانيا: المركز القانوني للمرأة في عصر الاضمحلال:

عقب ظهور العصر الإقطاعي الذي يمتد من أواخر الدولة القديمة قرابة سنة ٢٤٧٥ إلى بداية الأسرة الحادية عشرة، نحو سنة ٢١٤٠ق. م، انخفضت مكانة المرأة مع بداية ملكية الأرض، واستمر وضعها منخفضًا في عصر الدولة الوسطى في الأسرة الحادية عشرة حتى الأسرة الثالثة عشرة، وعصر الهكسوس، بسبب تفشي العبودية والظلم والإقطاع.

وخلال تلك العصور انتهت المساواة بين المرأة والرجل، كما نقصت أهلية المرأة وخضعت المرأة تحت وصاية الرجل، سواء تمثل في "أبيها أو زوجها أو ابنها الأكبر"، وقد اعتمد هذا الرأي على إثبات ما جاء ممثلًا في النقوش والتماثيل التي ترجع لعهد الأسرتين الخامسة والسادسة؛ حيث كانت تظهر فيها المرأة أقل حجمًا من الرجل بكثير، كما كانت تبدو راكعة عند قدميه (إذا كان زوجها)، تقدم له واجب الطاعة والاحترام، ومعنى ذلك أنها أصبحت أقل قدرًا وشأنًا من الرجل.

كما أظهرت النقوش كذلك أن الابن الأكبر ممسكًا بعصا السلطة، على حين وقفت أمه إلى جانبه في حجم ضئيل، شأنها في ذلك شأن سائر أفراد الأسرة.

الخلاصة:

احتلت المرأة في عصر التقدم والازدهار مكانة كبيرة لها أهميتها في المجتمع المصري القديم، أنها اشتغلت في جميع الأعمال، فقد كانت الأم والزوجة، وعملت المرأة كذلك وزيرة، وقاضية، تفصل بين المتخاصمين، ومستشارًا للملك، وعاملة، وصانعة ماهرة تتولى ممارسة العديد من الحرف والمهن، كما أنها كانت الكاهنة، والملكة التي تحكم.

وفي الفترة التي ضعفت فيها الدولة المصرية القديمة انعكس تأثير ذلك على أوضاع المرأة، ومركزها القانوني؛ حيث إن المرأة لم تستطع أن تسترد شيئًا من مكانتها الضائعة إلا في عصر الدولة الحديثة، تشمل الأسرات 18-20 (حوالي 1580 -1085 ق. م) بعد قيام ثورة النساء والعبيد والشعب المصري القديم ضد المستعمرين والإقطاع.

صانع أسطورة السلطة

(ابن زيدون سفير ملوك الطوائف)

د/ محمد سعيد عبد ربه عبد الرحمن

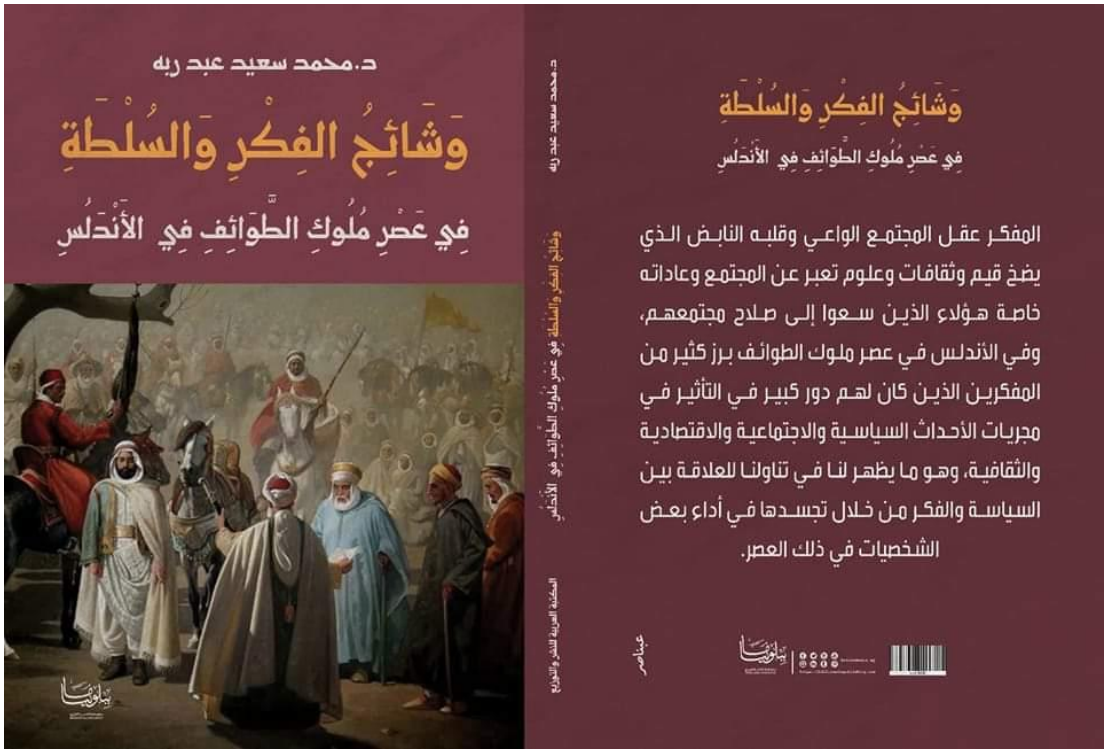

عاشت الأندلس عصر ملوك الطوائف في القرن الخامس الهجري/العاشر الميلادي، تحكمها دويلات متفرقة ومتناحرة فيما بينها، كل واحدة منها تسعى إلى تحقيق مصالحها الشخصية، وقد انعكس ذلك سلبًا على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية للبلاد. ومما زاد ذلك الوضع سوءًا تلك الاعتداءات المتكررة والغارات المتوالية من قبل النصارى الأسبان على الأراضي الأندلسية.

وفي ظل هذه الأوضاع برزت فئة المفكرين الذين كان لهم دور فاعل على مسرح الأحداث، وعلى جميع الصعد الثقافية والاجتماعية والسياسية؛ وقد حظيت هذه الفئة بمكانة بارزة في المجتمع الأندلسي، فقد كان المفكرون أصحاب الكلمة المسموعة، باعتبارهم مثقفي الأمة واللسان المعبر عن أحوال المجتمع، ونظرًا لذلك سعى أمراء الطوائف في كثير من الأحيان لتقريبهم وكسب رضاهم، وإفادة المجتمع منهم، ومن علومهم، وفي أحيان أخرى سعوا للقضاء عليهم والتخلص منهم، عند تجاوزهم وتطاولهم، ومن أمثلة الذين تقربوا من السلطة كان ابن زيدون سفير ملوك الطوائف.

أولاً: مولده وموطنه

أبو الوليد أحمد بن عبد الله المخزومي المشهور بابن زيدون؛ وُلد بالرصافة من ضواحي قرطبة سنة 394هـ/1003م، فهو ينحدر من بني مخزوم، أي أنه قريشي الأصل، وكان لأسرته شأن في قرطبة، فكان أبوه من وجهاء قرطبة وأغنيائها وفقهائها، فأحضر له الأدباء والمربين، مما ساعد على أن ينشأ في بيئة مثقفة، ولما مات والده كان في الحادية عشرة من عمره، فاهتم به جدُّه لأمه، فتثقف ثقافة حسنة، ونظم الشعر باكرًا.

ثانيًا: نشأة ابن زيدون العلمية والسياسية

ساعدت نشأة ابن زيدون العلمية، والأجواء الثقافية التي أحاطت به على علو نجمه في سماء الأندلس، ليس كمفكر فحسب، وإنما كشخصية مثقفة مؤثرة في المجتمع بشكل كبير، كما أن الظروف المحيطة به أجبرته على أن يخوض غمار السياسة بكل جوارحه، فقد كان أبوه قاضيًا أو مستشارًا للقاضي بقرطبة، وللقضاة في ذلك العهد منزلة عالية، كما أن الرجل الذي تولى أمره بعد وفاة والده، وهو جده لأمه، كان يتولى أحكام الشرطة والسوق، وقد قُتل على يد بني أمية، ولذلك يغلب على الظن أن يكون قتله سياسيًّا، وأن يكون ذلك قد حرك في نفس ابن زيدون عوامل السياسة.

كان ابن زيدون ذكيًا، أبيًا، حكيمًا، مجاملًا بعض الشيء، صبورًا، لماحًا، وعاش حياته كلها كريمًا على نفسه، وكان عارفًا بقيمة الإنسان الحقيقية في الحياة والممات، ولهذا كان حريصًا على واجبه، وعلى أخلاقه بعض الشيء، كما كان حريصًا بالقدر ذاته على صورته، وعلى آثاره.

بدأ ابن زيدون حياته الوظيفية بالمشاركة الإيجابية في أحداث عصره، فكان ينتظره مستقبل مرموق في سلك السياسة، فهو منظم الفكر، قادر على الفهم والتخطيط والتسبيب والترتيب والإسناد والاستشهاد، فكان يدلي بدلوه في أحداث عصره، فلا يمكن لشاب بذكائه وطموحه أن يكون بمنأى عن الأحداث التي هزت قرطبة وأدت إلى اضطرابها، فاتصاله بأهل الرأي والعلم، وتردده على منتديات اللهو والثقافة التي يقبل عليها علية القوم، قد جعل ابن زيدون حساسًا لكل هذه الأحداث ومشاركًا فيها.

ثالثًا: ابن زيدون ما بين الحب والسعايات

دخل ابن زيدون في منافسة غير متكافئة مع الوزير الخطير أبي عامر بن عبدوس الملقّب بالفار، وزير بني جهور في قرطبة، الذي راح ينسج خيوطه حول قلب محبوبة ابن زيدون، ولادة بنت الخليفة المستكفي (414-416ه) (1024-1025م)، التي اِشتُهرت في قرطبة بمنتداها الثقافي والفكري، فكان ملتقى للكثير من الأمراء والشعراء والأدباء، وكان ابن زيدون يتردد على منتداها الثقافي، وقد فُتن بها وتعلق بها أشد التعلق.

وقد بادلته ولادة في أول الأمر حبًا بحب، وكانت لهما لقاءات تبادلا فيها الحب والقرب؛ حيث عشقها، وجرت له معها أخبار مشهورة، غير أن الألفة بينهما تبدلت، فحصلت جفوة سببها أن الشاعر سمع جارية ولادة تغني، ولما فرغت سألها بغير أمر ولادة التي عاتبت جاريتها، وكانت تُدعى (عتبى)، وضربتها.

وكان الوزير أبو عامر بن عبدوس، ينافس ابن زيدون على قلب ولادة، فاغتنم الجفوة وراح يتودد إليها؛ مما جعل الغيرة تدبّ إلى قلب الشاعر ابن زيدون، وبعدما تصالح الحبيبان أرسل الوزير ابن عبدوس امرأة إلى ولادة تستميلها إليه، فبلغ ابن زيدون، فكتب عن لسانها رسالة مشهورة في هجو الوزير أبي عامر بن عبدوس، والتهكم به، والسخرية منه، الأمر الذي ربما أغضب ولادة منه، فقد وقعت القطيعة بينهما، وفضلت ولادة عليه الوزير أبا عامر بن عبدوس، لذلك راح ابن زيدون يبحث عن منصب في بلاط السلطة، واللحاق بركبها؛ ليكون ندًا للوزير أبي عامر بن عبدوس، ويثبت لولادة بأنه ليس بأقل منه.

فاتصل ابن زيدون بأبي الحزم وعمل له، ولكن من الأرجح ألا يكون ابن زيدون في بداية حكم بني جهور في قرطبة، قد احتل مكانًا ممتازًا في عالم السياسة، وأغلب الظن أنه لم يكن سوى شاعر شاب يتمتع بسمعة أدبية واسعة، ولكنه لم يكن رجلًا من رجال السلطة، فهو لم يكن قد جاوز الثلاثين عندما تولى أبو الحزم بن جهور السلطة، مما يجعل من الصعب أن يرتقي سلم المناصب العليا في دولة ناشئة مثل دولة بني جهور، وأيًا ما كان الأمر فإن أبا الحزم سرعان ما غضب على الشاعر، وألقى به في السجن الذي ظل بين جدرانه قرابة عامين، ولم ينقذه سوى الهروب.

وقد ثار الجدل حول أسباب سجن ابن زيدون، وأكثر الأقوال على أنه قام بمؤامرة ضد بني جهور هو وجماعة من المتآمرين لإعادة حكم بني أمية، ذلك لأن الشاعر ابن زيدون كان يطمع أن يحصل على منصب ذي شأن في دولة بني جهور، فلما لم يعيروه التفاتًا تآمر عليهم، ولكن المؤامرات فشلت، فقُبض عليه وأودع السجن، وهذا الرأي قائم على أن ابن زيدون كان في ذلك الوقت شخصية سياسية خطيرة تؤثر في الأحداث، وعلى ما يبدو أن هذا من الاتهامات التي وُجهت لابن زيدون، ونعتقد أن السبب وراء هذا هو الوزير ابن عبدوس، فاتُّهم ابن زيدون بالتحزب للأمويين، وكان هذا الاتهام باطلًا، دبره له الوزير ابن عبدوس منافسه في حب ولادة؛ لكي يبعده عنها، فلم يكن ابن زيدون متحزبًا للأمويين، وإنما كان منضمًا لحركة الجهاورة.

ويذكر بعضهم سببًا آخر نميل له، وهو أن تهتك ابن زيدون ومجونه، وتسلطه على أعراض الناس وعلاقته الشائعة بولادة، كان سببًا في إساءة سمعته الخُلقية؛ مما أدى إلى غضب الحكام، فألقوا به في السجن.

على أن ابن زيدون نفسه يوضح لنا من خلال رسائله أنه حُوكم بسبب إرث اتُّهم باغتصابه بعد وفاة صاحبه، وبالرغم من أنه برأ ساحته من تلك التهمة، إلا أن القاضي المعروف عبد الله بن أحمد بن المكوي لم يصغ إليه، وأدانه وأودعه السجن، وذلك لضغينة بين الشاعر والقاضي المذكور، فيبقى الشاعر في السجن أيامًا طويلة، وظل يناشد ابن جهور ويستعطفه أن يعفو فلا يعفو.

وعلى الأرجح أن سبب ذلك الاتهام كان له دوافع سياسية مبطنة، وحسد وغيرة لابن زيدون، فمن الواضح أن وراء ذلك التحريض الوزير ابن عبدوس الذي حرض القاضي ابن المكوي لإلصاق الاتهام بابن زيدون والزج به في السجن، وهو ما وقع لابن زيدون؛ حيث أراد الوزير ابن عبدوس التخلص من منافسة اللدود ابن زيدون؛ لينفرد وحده بقلب ولادة، كما كان في علو مكانة ابن زيدون الأدبية والسياسية دافع قوي ليقوم الوزير بتلك الوشايات للتخلص من ابن زيدون.

ومهما يكن من أمر، فسجن الشاعر كان نتيجة لما حاكه حساده حوله من مؤامرات، وكان في طليعة هؤلاء الحساد الوزير ابن عبدوس، فاستطاع أن يوغر صدر الأمير ابن جهور عليه، وقد يكون هؤلاء الحساد قد أثاروا أيضًا ضده قضية حبه لولادة.

ومن السجن أرسل ابن زيدون رسالته إلى ابن جهور ليستعطفه فيها، كما أرسل له عدة قصائد مؤثرة يطلب فيها عفوه، ويناشده الصفح والعفو، وفيها يشكو من طول بقائه في السجن، طمعًا أن ينال العفو، وأملًا أن ينصت له ابن جهور، فقال: "وليت شعري ما الذنب الذي أذنبتُ، ولم يَسَعْهُ العفو؟، ولا أخلو من أن أكون بريئًا، فأين العدل؟، أو مسيئًا فأين الفضل؟....".

وجد ابن زيدون جميع الطرق أمامه مقفلة؛ لينال الشفاعة والعفو من أبي الحزم بن جهور، وأصبح أمامه طريق واحد يفكر فيه، وهو الهروب من سجنه، ففر من السجن، ويُقال إن أبا الوليد بن أبي الحزم بن جهور هو الذي ساعده على الفرار لصداقة بينهما، وأن أبا الوليد حاول أن يشفع له عند والده، إلا أنه رفض شفاعته، ويفر الشاعر سنة 433هـ/1041م.

وعلى الرغم من أن المصادر لم تُشر إلى تفاصيل عن هرب ابن زيدون من محبسه، وهو ما جعل بعض المؤرخين يشيرون إلى أن ابن زيدون نال العفو، وأُطلق سراحه قبل القدوم على الهرب، وبعضهم الآخر ذهب

إلى أن ابن زيدون هرب وتوجه إلى إشبيلية؛ حيث التحق بالمعتضد، إلا أننا نميل إلى أن ابن زيدون هرب من محبسه، وأسرع بالخروج من قرطبة، ولكن لم يتوجه إلى إشبيلية، ولكن توجه إلى غرناطة؛ حيث التحق بباديس، وما يؤكد ذلك أنه ألف قصيدة من الشعر يمدح فيها أبا الحزم بن جهور، ويشكر باديس صاحب غرناطة، فقال:

فِداءٌ، لِبادِيسَ، النّفُوسُ، وجاده ... من الشّكرِ، في أُفْقِ الوَفاءِ، غَمامُ
فَمَا لحقَتْ، تلكَ العهودَ، مَلامَةٌ ... وَلا ذُمّ، من ذاكَ الحِفَاظِ، ذِمامُ

ولكن ابن زيدون كان قلبه معلقًا بقرطبة موطن صباه ومرتع هواه، فلم يطق صبرًا على غربته وعاد إلى قرطبة، واستخفى بضاحيتها الزهراء وأخذ يتشفع بأصدقائه؛ ليشفعوا له عند أبي الحزم بن جهور. فتدخل بعضهم وطلبوا العفو عنه، كما تدخل أبو الوليد بن أبي الحزم بن جهور، وطلب من والده نفس الطلب مرة أخرى، وأمام تلك الشفاعات والوساطات لم يستطع أبو الحزم رفض الأمر، فعفا عن ابن زيدون بعد أن لان قلبه له، ولكن لم يلبث أبو الحزم بن جهور أن مات سنة 435هـ/1043م، ويرثيه ابن زيدون بأبيات من الشعر، ويمدح ابنه أبا الوليد بن جهور، فيقول:

ألم تر أنَّ الشمس قد ضَمّها القَبْرُ ... وأن قد كفانا فقدها القمرُ البدرُ

وبتولية أبي الوليد زمام الأمور في قرطبة يبدأ عهدًا جديدًا، وصفحة جديدة لابن زيدون في قرطبة، فترتفع مكانته ومرتبته السياسية والأدبية؛ ليحقق ما كان يحلم به ويسعى إليه.

<u>رابعًا: ابن زيدون سفير ملوك الطوائف</u>

لم ينسَ أبو الوليد بن جهور صديقه ابن زيدون، ورغبته في الوزارة، فيوليه النظر على أهل الذمة، ولكن ابن زيدون مع هذا آثر أن يرتاد آفاق العمل الدبلوماسي، فيرفعه أبو الوليد بن جهور إلى مرتبة السفارة، فكان سفيرًا له إلى ملوك وأمراء دول الطوائف، نظرًا لما تمتع به من قدرات فكرية وأدبية عالية، أضف إلى ذلك أسلوبه الدبلوماسي الراقي، جعل منه رمزًا مشرفًا للتمثيل الدبلوماسي لقرطبة في تلك الأثناء.

صعد نجم ابن زيدون كما لم يصعد نجم آخر في الحياة القرطبية بشكل خاص، والحياة الأندلسية بوجه عام، فتوثقت علاقاته بعدد كبير من ملوك وأمراء الطوائف بحكم منصبه الدبلوماسي، فأحبه الكثير منهم، فمع أن تجربة السجن التي مر بها وفقدان الحرية كانت جديدة عليه، وكانت قاسية عليه، إلا أنه استطاع أن يجتاز هذه التجربة كما يجتاز الإنسان السوي محنة المرض، ومحنة الألم، وخرج من هذه التجربة، وقد ارتقت مكانته ونفوذه لأبعد مما كان يتخيل أو يتصور.

فأصبح واحدًا من أفضل الدبلوماسيين الأندلسيين، كما كان من أفضل مفكري العصر كذلك، ظل على نحو ما عاش حياته كلها متفانيًا في أداء رسالته؛ إذ كان يؤمن أن الدبلوماسية رسالة في المقام الأول والأخير، فنجح في منصبه كسفير للسلطة في قرطبة إلى ملوك وأمراء الطوائف في الأندلس، فكان منفذًا كل ما يطلب له، كما كان أداؤه على درجة كبيرة من الرقي والوعي.

وإذا ما نظرنا إلى الدور الذي كان يلعبه ابن زيدون في سفارته التي لاقى فيها نجاحًا عظيمًا، نجد أن دوره تمثل في إقامة علاقات ودية مع الملوك المجاورين، وعقد اتفاقات مودة مع الكثير منهم، فقد تمتعت دولة بني جهور بين دول الطوائف وأمرائها بمركز أدبي خاص، فكانت في أحيان كثيرة تتخذ مركز الوسيط والحكم في فض المنازعات وإقرار السلم بين الأمراء، فكان لابن زيدون دور كبير وفضل عظيم فيما وصلت إليه الدولة من زعامة وتمثيل دبلوماسي راقٍ.

أصبح ابن زيدون في بلاط بني جهور هو المسئول الأول والوحيد عن علاقات السلطة الخارجية، فلم ينافسه شخص في ذلك؛ حيث امتلك صفات وقدرات لم تتوافر في الكثير من مفكري وأدباء عصره، فرسائله وتمثيله الدبلوماسي للسلطة لاقى إعجاب الكثير من ملوك وأمراء الطوائف، فمن بعده أصبح مفكرو الدبلوماسية شيئًا آخر غير هذا الفكر المتدفق في كل لقطة، وفي كل جملة، وفي كل مقطع، وقد أدرك ابن زيدون أعلام الجيل السابق على جيله في الفكر والثقافة والأدب، ووضع رأسه برأسهم، فكان له ما أراد، كما قُدّر له أن يعيش رمزًا للتجديد الدبلوماسي الذي كان عصره قد انتهى، وللتعبير المجيد عن المشاعر الرقيقة والنادرة، التي ظهرت بشكل واضح في رسائله الدبلوماسية والسياسية.

وفي هذه الفترة يتغنى ابن زيدون بأبي الوليد، ويقول فيه المدائح ما يظهر فيه رنة الإخلاص، ويشيع فيها نبضات الحب، على أن الأمر يفتر بين ابن زيدون وأبي الوليد بن جهور عندما تقوم طائفة من بني ذكوان، وهم أسرة أستاذه ومعلمه أبي ذكوان قاضي قرطبة السابق، بمحاولة الاستيلاء على السلطان بقرطبة، وقد أحاطت الشبهة بابن زيدون، ولذا نراه يحاول أن ينفي عنه هذه التهمة، وكأنه يخشى غضب الأمير.

كانت النخبة المثقفة فيما يبدو المحيطة بأبي الوليد بن جهور تدرك أنه يحترم ابن زيدون ويحبه، كما أن علاقة الصداقة بينهما زادت من الترابط بين ابن زيدون، وأبي الوليد بن جهور، غير أن ذلك لم يمنعهم السعاية به، وإيغار صدر السلطة عليه، فحاولوا أن يستغلوا أي حادث ليقحموا فيه اسم ابن زيدون، فربما كانوا وراء اتهامه بتدبير مؤامرة مع مجموعة من بني ذكوان للإطاحة بالسلطة، غير أن أبا الوليد لم يلتفت إلى ذلك الاتهام، إلا أن قلبه تغير عليه، ومودته له أصيبت بالجفاء، إلا أنه لم يعزله من منصبه كسفير دبلوماسي لدولته في قرطبة، فربما ظل ابن زيدون في منصبه بحكم أنه كان من الصعب أن يتم تغييره في التو واللحظة.

غير أن العلاقة ما لبثت أن فسدت وأُصيبت بالتوتر والفتور بين ابن زيدون وبين أبي الوليد بن جهور نتيجة السعايات، وحسد الحساد الذين نجحوا في إثارة شكوك السلطة حول تصرفات ابن زيدون، وعلاقاته ببعض ملوك وأمراء الطوائف، وهو ما جعل السلطة تترقب وترتاب في أمر ابن زيدون، ولذلك انتظرت السلطة التوقيت المناسب لاتخاذ اللازم ضد ابن زيدون، فعندما أرسله أبو الوليد سفيرًا إلى إدريس بن علي الحسني434-438هـ/1043-1046م في مالقة، فيطيل الشاعر إقامته هناك، فعلى ما يبدو أن أبا الوليد بن جهور بدأ يتشكك في أمر ابن زيدون، فغضب عليه، ولم يكتفِ بذلك، بل عزله عن السفارة، الأمر الذي جعل ابن زيدون يتشكك في ما يمكن أن يحدث له على يد أبي الوليد بن جهور إنْ هو عاد إلى قرطبة، فيهرب ويولي وجهه تجاه بلنسية، ثم إلى طرطوس، ومنها إلى بطليوس، فيلقى من أمرائها كل ترحيب وإجلال فيمدحهم.

وعلى الرغم من الترحيب والتكريم الذي لقيه ابن زيدون من أمراء تلك المناطق التي أقام فيها إلا أن ذلك لم يرضِ طموحه، فكان يتطلع إلى بلاط رحب وملك أوسع، فعزم على الرحيل إلى المعتضد بن عباد ملك إشبيلية الذي ذاع صيته، واشتهر بحبه للأدب والأدباء.

خامسًا: ابن زيدون صانع الأسطورة في بلاط بني عباد

كتب ابن زيدون رسالة إلى الوزير الأديب أبي عامر محمد بن مسلمة وزير المعتضد بن عباد، من أجل أن يتوسط لدى ولي أمره من أجل الحصول على وظيفة في بلاطه؛ وبالفعل نجحت وساطة ومساعي الوزير أبو عامر بن مسلمة، فرحل ابن زيدون إلى إشبيلية عام 341هـ/1046م، بعد أن تأكد أنه سوف يلقى منه كل ترحيب وإعزاز.

بقي ابن زيدون في بلاط بني عباد بعد ذلك حتى لحق بربه سنة 463هـ/1066م، وقد بلغ في هذه الفترة أعلى مراتب المجد السياسي والاجتماعي والفكري، ففتحت أمامه جميع الأبواب، فولاه المعتضد الوزارة، ولُقب بذي الوزارتين، وقلده أمور دولته، وجعله من أقرب المقربين إليه، ودامت وزارته للمعتضد أكثر من عشرين عامًا، صار فيها موضع ثقته ومساعده الأيمن، فكان رجله الأول الذي يعتمد عليه كل الاعتماد.

كان المعتضد بن عباد صاحب إشبيلية ذا مزاج متناقض غريب، يجمع بين الدهاء والقسوة، وكانت له -إلى ذلك- ذاكرة واعية، وقريحة شاعرية طيبة جعلت معاصريه يضعونه في صفوف البارزين من القراء، وأحاط المعتضد نفسه بهالة من الشعراء جعلت همها مدحه، وأفرغ عليهم الأموال، فبدا في هيئة خلّابة من العظمة، وكان من بين هؤلاء الشعراء ابن زيدون أبرز الذين صنعوا أسطورة المعتضد بن عباد.

الأسطورة في معناها اللغوي الأصلي هي الشيء المكتوب، لكن الناس يتصورون ويتداولون في حديثهم أن الأسطورة هي الشيء الذي لا يصدقه العقل، فكانوا يقولون إن حكم المعتضد بقدراته المعروفة لإشبيلية كان أسطورة، والحقيقة أن المعتضد لم يحكم إشبيلية بالمعتضد وحده ولكنه حكمها بآخرين من المفكرين، وإذا كان المعتضد أسطورة حكمت إشبيلية، فقد كان هناك من صنع هذه الأسطورة، وأكبر هؤلاء أثرًا هو ابن زيدون الذي لازم المعتضد منذ خروجه من قرطبة ودخوله إشبيلية، وحتى وفاته، وتولية ابنه المعتمد الحكم، فقد لازمه هو الآخر.

كان ابن زيدون رجلًا حاد الذكاء موفور النشاط، وقد أدرك من المعرفة السياسية حدًا جعله مُتّئِد الخطوة في الوقت الذي كان غيره يحب سرعة الخطو، لكن حكمته غلبت نزوته منذ مرحلة مبكرة في حياة نظرائه، وكان هذا سر استمرار لمعانه، كما كان أيضًا سرًا من أسرار صناعة أسطورة المعتضد على النحو الذي صنعت به، وتمكنت من السيطرة على مقدرات الحياة السياسية في إشبيلية طوال حكم المعتضد، وحكم ابنه المعتمد حتى لحق ابن زيدون بربه سنة 463هـ/1066م.

انتهج ابن زيدون نهج الكثير من شعراء إشبيلية، فمدح المعتضد باثنتي عشرة قصيدة، وهي من خيرة مدائحه وأرقاها؛ ذلك أنه قد رضي عن حياته في إشبيلية، ووجد عند المعتضد الجاه والمال والسلطان والتقدير، وقد طرب المعتضد لهذا المديح؛ فزاد في إكرام الشاعر، كما قربه إليه، ومن هذه القصائد قصيدته التي جاء في مطلعها:

لِلحُبّ، في تِلْكَ القِبَابِ، مَرَادُ لَوْ سَاعَفَ الكَلِفَ المَشُوقَ مُرَادُ

فعاد لمنصبه السابق كما كان في قرطبة، سفير السلطة إلى ملوك وأمراء الطوائف، ولكن في تلك المرة في بلاط بني عباد في إشبيلية، فقد توثقت علاقته بالمعتضد بدرجة جعلت منه مفكر ومثقف إشبيلية الأول، وهو ما يجعلنا نستنتج أن جميع رسائل وكتابات وأشعار المعتضد كانت من تأليف ابن زيدون نفسه، فعلى الرغم من أن المعتضد له شعر يضعه في مراتب الشعراء المُبرَزين، إلا أنه كانت له أشعار تجعل المرء يشكك في شاعريته.

لم يكن ابن زيدون يكتب خطابات ورسائل المعتضد، لكنه كان يؤلفها كلها، فيبدو أن المعتضد كان يكتفي بأن يحدد له الأفكار التي يريد الحديث عنها، والمعاني التي يريد التطرق إليها، والقضايا التي يريد أن يبدي فيها رأيًا، بل كان يحدد بالطبع بعض التصريحات أو التلميحات أو التهديدات التي يريد عرضها أو تسريبها، وكان ابن زيدون يجتهد في تقديم أفضل الصياغات لهذه المعاني، فلم يكن شريكًا للمعتضد في الرأي تجاه الأحداث المفاجئة، لكنه كان صانعًا لهذا الرأي، صحيح أن المعتضد كان يملك قدرة جيدة على اختيار البديل، لكن ابن زيدون كان هو صاحب البدائل كلها، وكان بهدوء أعصابه وهدوء أدائه قادرًا على الوصول بالمعتضد إلى النقطة الحاسمة في التوجه السياسي والاستراتيجي.

سادسًا: سعاية ابن زيدون بعدد من مفكري عصره

اتبع ذو الوزارتين ابن زيدون سياسة معادية ضد الكثير من مفكري عصره للتخلص منهم، نتيجة المنافسة الشديدة بينهم، فسعى للتخلص منهم، ففتك المعتضد بن عبَّاد ببعضهم، فقد كان ابن زيدون يسعى للتخلص من جميع منافسيه من أجل المكانة السياسية.

فقد وصل المعتضد إلى مرحلة أنه كان يأخذ بكل وشايات ابن زيدون، فيتخلص بمن يوشي بهم دون التحقق من تلك الوشايات، فقد وجد ابن زيدون الطريق مفتوحًا أمامه وممهدًا للتخلص من جميع منافسيه من أجل الانفراد بمكانة سياسية بارزة في إشبيلية دون منافسة من أي شخص، وهو ما نجح على ما يبدو في تحقيقه.

سابعًا: وشاية المفكرين بابن زيدون عند السلطة

بعد أن تُوفي المعتضد عام 461هـ/1068م، وتولى ابنه المعتمد من بعده، ولقي منه ابن زيدون كل تقدير واحترام، فقد كان صديقًا لابن زيدون قبل أن يتولى الملك، كما أن المعتمد كان تلميذًا عنده، أضف إلى ذلك أن المعتمد كان شاعرًا يقرب إليه الأدباء والشعراء والمفكرين، وكان بلاطه وجهة كل أديب ومنزل لكل شاعر، وقد حاول أعداء الشاعر ومنافسوه أن يوقعوا بين الشاعر والمعتمد عند توليه الحكم، ولكن المعتمد فوت عليهم غرضهم، ولم يصغِ إليهم، فحمد ابن زيدون له هذا العمل، ومدحه بقصائد كثيرة.

فتعرض ابن زيدون لسعايات الكثير من المفكرين، خاصة هؤلاء المنافسين له، وممن أوقع بهم ابن زيدون في أيام المعتضد، فأغروا بنكبته وسعوا في طلبه، والتخلص منه، وكتبوا رقعة إلى المعتمد منها:

يا أيها المَلِكُ العلي الأعظَــمُ اقطَعْ وريدَيْ كُل باغٍ ينئِمُ

فعندما قرأ المعتمد الرقعة التي كتبوها، أعرض عنهم ونبذهم، وعندما علم ابن زيدون بذلك شكره ومدحه، فقد كان المعتمد شاعرًا، بل وتلميذًا لابن زيدون؛ لذا لم تفلح كل المحاولات التي سعت لإيقاع ابن زيدون، ولم تنجح تلك السعايات، وقد كان المعتمد بن عبَّاد من الملوك الفضلاء والشجعان العقلاء مخالفًا لأبيه في القهر والسفك، ولم يكن يأخذ بأدنى سعاية، غير أن ابن زيدون كان مقربًا وعزيزًا على المعتمد بن عبَّاد.

ولم يلبث ابن زيدون أن يتخلص من الساعين به لدى السلطة حتى يصله تهديد سلطة قرطبة، فلم يترك أبو الوليد بن جهور، ابن زيدون في حاله، فكان يرسل له التهديدات، ويتعرض له في حديثه بما يسيئه، وهو ما أحزن ابن زيدون، فخاطب بني جهور قائلاً:

بني جهورٍ أحرقتُمو بجفائكم فؤادي، فما بال المدائح تعبقُ
تعدُونني كالعنبرِ الورد إنما تفوح لكم أنفاسُه حين يُحرقُ

لقد كان رد ابن زيدون، يعكس مدى ما وصل إليه في إشبيلية من مكانة وسلطة ونفوذ، لقد نجح في أن يصل إلى أعلى وأرقى المناصب في بلاط إشبيلية، مكنته من تحقيق كل طموحه وأهدافه.

وفي سنة 462هـ/1069م استولى المعتمد على قرطبة، بتحريض من ابن زيدون، الذي راح يساعد المعتمد لتسهيل مهمة إحكام السيطرة على موطنه قرطبة، مستغلًا شعبيته وتعلق الناس به، فنادى أهالي قرطبة بالمعتمد ملكًا عليهم، ويدخل ابن زيدون قرطبة قرير العين، فرحًا بعودته إلى وطنه، ويزداد قدره عند المعتمد، فتتحرك كوامن الحقد والحسد في قلب وزراء المعتمد، فيكيدوا له، ويشيروا على المعتمد أن يرسله إلى إشبيلية ليهدئ فتنة قامت هناك، ويغادر ابن زيدون قرطبة، وهو مريض أشد المرض فيهلك في الطريق، ويكون ذلك في سنة 463هـ/1070م، فيحزن الناس عليه في قرطبة، ويشتد أساهم على شاعرها العبقري الذي سكت صوته الصداح بعد أن غنى شعرًا خالدًا.

مدينة الكتب قرطبة

أ. حنان العواجة

لطالما اهتم العرب المسلمون قديمًا بالكتب، وبأخذ العلم وتدوينه، ودأبوا على تأليف الكتب وتصنيف العلوم، وكرسوا جهدهم للبحث عن المعلومة، حتى سافروا من أجلها إلى أصقاع الأرض؛ فبقيت مؤلفاتهم شاهدة على ثقافتهم وغزارة علمهم وعلمائهم الموسوعيين جهابذة اللغة العربية، وخصوصًا في العصر الذهبي للإسلام، ألا وهو العصر الأموي، وما شهدته المنطقة العربية من حركة علمية وأدبية حتى أصبحت تزخر بالكتب، ويرتاد جامعاتها طلبة العلم من مشارق الأرض ومغاربها، حتى وصلت العلوم العربية الإسلامية إلى الأندلس عند فتحها.

فكيف كانت بداية وصول هذه العلوم إلى قرطبة؟ وما مكانة هذه المدينة العريقة بالنسبة إلى المسلمين والعالم في زمن الفتح الأندلسي؟ وماذا تخفي مكتبتها من أسرار؟

أصل تسمية قرطبة

قرطبة: وتعني في اللغة العربية العدو الشديد(١)، ويقال طعنه فقرطبه؛ إذا صرعه، ويقال إنه مأخوذ من اللغة الأيبيرية القديمة، ويرى البعض أنه مأخوذ من اللغة الفينيقية القديمة بمعنى المدينة الصالحة، أما في اللغة الإسبانية فيقال (كردبا).

آثار قرطبة الإسلامية

مكانة قرطبة وأهميتها

تقع قرطبة جنوبي إسبانيا، وكانت تعدّ قديمًا الجزء الشمالي الأوسط للأندلس، وتتمركز على السفح الجنوبي لجبال مورينا المعروفة أيضًا باسم جبل العروس، إلى الضفة الشمالية لنهر الوادي الكبير، وهي الخاصرة الشرقية لإشبيليا، وتعد قرطبة مدينة حصينة لها سور من الحجارة، سكنها السلاطين وبنوا فيها القصور والمساجد والبساتين، ويقال إنها كانت تتكون من خمسة عشر إقليمًا، ونظرًا لموقعها الجغرافي ومساحتها الكبيرة، وارتفاعها عن سطح البحر ب١٢٧م والذي منحها مناخًا معتدلًا، إضافة لتحصينها؛ اتخذها الخلفاء الأمويون عاصمة لهم.

الفتح الإسلامي وتأثير الحضارة العربية الإسلامية فيها

توجهت الجيوش الإسلامية تجاه أوروبا بقيادة القائد طريف بن مالك الذي اختار طارق بن زياد لقيادة المعركة في ٢٨ رمضان سنة ٩٢هجرية، ودارت معركة عظيمة انتصر فيها المسلمون، وتُعرف هذه المعركة باسم وادي لكة، وكانت هذه بداية انتشار الإسلام فيها ودخول المسلمين إليها.

ولأن الفتوحات الإسلامية تختلف عن الاستعمار الغربي اختلافًا كبيرًا؛ نشأت حركة تطوير وتعمير بما يتوافق مع رؤية المسلمين وحضارتهم في مدينة قرطبة، وأضافوا إليها من حضارتهم وثقافتهم ونقلوا إليها لغتهم ودينهم. أما الاستعمار الغربي فمذهبه التدمير والتخريب والقضاء على العلم كما فعل المغول عند احتلال بغداد، إذ ألقوا الكتب في نهر دجلة حتى اصطبغ النهر بلون الحبر.

وبالرغم من أن الإصلاحات كانت عظيمة في شتى المجالات كالعدالة والتكافؤ، وإزالة الفوارق وكفالة الحريات، إلا أننا سنركز هنا على الجانب الأدبي، وانتقال العلوم العربية الإسلامية إلى قرطبة، وسنبدأ باللغة العربية التي انتشرت في الأندلس، كيف لا وهي لغة القرآن وحجر الأساس لنشر الإسلام في البلدان التي تُفتح.

فقد نقل المسلمون حضارتهم إلى تلك البلدان، وبرز فيها العديد من العلماء الذين كان لهم دور بارز في تأليف الكتب، منهم:

- أبو علي القالي، ومن مؤلفاته كتاب "البارع في اللغة".
- وابن عبد ربه، ومصنفه "العقد الفريد".

ثم ظهرت أسماء غربية اقتبست من المؤلفين العرب منهم يوكاشيو الذي كتب حكاياته "الصباحات العشرة" مستخدمًا أسلوب ألف ليلة وليلة، واقتبس منها شكسبير مسرحيته "العبرة بالخواتيم".

كما أسهم العرب بانتقال الفلسفة اليونانية إلى أوروبا من خلال ترجمة الكتب اليونانية، فأخذها الأوربيون وترجموها من العربية إلى اللاتينية، فكانت اللغة العربية حلقة الوصل لتعريف أوروبا بالفلسفة اليونانية لأول مرة.

ومن أبرز الفلاسفة العرب المسلمين في ذلك الوقت الكندي وكتابه "رسائل الكندي الفلسفية"، والفارابي، وابن رشد، وابن ماجه، وابن الطفيل، وابن حزم الأندلسي، كما تُرجمت مؤلفات الطبري وغيره إلى لغات أوروبية عدة، وتُرجم كتاب "نزهة المشتاق" للإدريسي إلى اللغة اللاتينية، فغزرت حركة الفلسفة والشعر وجميع فروع الأدب والعلوم.

ومن خلال حركة الترجمة والتأليف، هذه نلاحظ زخم الكتب في تلك البقاع من الأندلس، فكانت هناك المؤلفات العربية التي تُرجمت إلى عدة لغات، وكتب يونانية تُرجمت إلى العربية ثم إلى اللاتينية، لذلك استحقت قرطبة أن تكون مدينة الكتب، ومن هنا نشأت مكتبتها العظيمة والتاريخية التي سنُبحر في دهاليزها في الفِقرة الآتية.

مكتبة قرطبة العظيمة

المكتبة ركن كل عاشق للكتب، وجنّته على الأرض، دخولها يسحر العيون، ويسلب العقول، ويأسر النفوس، فكيف لو كانت مكتبة تاريخية شهدت على العصر الذهبي للكتب والتأليف، واحتوت بين جدرانها مؤلفات لأعظم المؤلفين الذين عاشوا تلك الحقبة؟!

وواحدة من هذه المكتبات التاريخية مكتبة قرطبة بالأندلس التي أُسّست في عصر محمد الأول عام ٢٣٨-٢٧٣هجرية/٨٥٣-٨٨٧م.

ثم تولى مسؤوليتها الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله، وكان هذا الخليفة مولعًا بالكتب شغوفًا بالقراءة.

بلغت أهمية الكتب في الأندلس إلى حد التفاخر، ويذكر والد ابن سعيد الأندلسي متحدثًا عن قرطبة: "وهي أكثر بلاد الأندلس كتبًا، وأشد الناس اعتناءً بخزائن الكتب، فصار ذلك عندهم من آلات التعيين والرئاسة، حتى إن الرئيس منهم الذي لا تكون عنده المعرفة يحتفل في أن تكون في بيته خزانة كتب وينتخب فيها، ليس إلا لأن يقال: فلان ليس عنده خزانة كتب، والكتاب الفلاني ليس هو عند أحد غيره، والكتاب الذي هو بخط فلان قد حصله وظفر به".

أقسام مكتبة قرطبة الأموية

في بادئ الأمر لم تكن المكتبة مستقلة، إنما كانت جزءًا من القصر، لكن نظرًا لغزارة الكتب؛ لم تعد مكتبة القصر تتسع لها، مما أدى لنقلها إلى مبنًى جديد، واستغرقت عملية نقل الكتب ستة أشهر.

واحتوى المبنى الجديد على أقسام عدة هي:

1 - قاعة المكتبة: وكانت تحتضن الكتب التي جمعت من كل بقاع الأرض، ويقال إن الحكم المستنصر جمع على وقته أربعمائة ألف مجلد أنفق عليها أموال طائلة نُقِلت جميعها إلى المبنى الجديد. أما مصدر بقية الكتب فإما هِبات وهداية أو من الوقف أو تشترى، وقد فُهرست الكتب بـ ٤٤ فهرس لكل موضوع، وفي كل فهرس ٢٠ ورقة.

2 - مركز البحث والتأليف: وقد كُلف لهذه المهمة مختصون وعلماء في جميع فروع المعرفة، إضافة لتكليف بعضهم بتأليف كتب خاصة للمكتبة.

3 - مركز النقل والترجمة: وُظّف نخبة من أفضل المترجمين لهذا القسم، دورهم تزويد المكتبة بالمصنفات الخاصة بالحضارات المختلفة، وكذلك ترجمة أمهات الكتب من مختلف اللغات إلى العربية كترجمة الكتب اليونانية واللاتينية، وأكثر فروع الكتب التي تُرجمت هي العلمية، منها: كتب الطب والهندسة والفلك.

4 - مركز التدقيق والمراجعة: تكمن أهمية هذا المركز في مراجعة وتصحيح الكتب وتهذيبها المؤلف منها والمترجم؛ لتصبح خالية من الأخطاء أو النقص.

5 - إدارة المكتبة: كأي مؤسسة لا بدّ من فريق عمل لإدارة المكتبة، فكان في المكتبة إدارة مكونة من المؤلفين والنسّاخين، والمراجعين، والمجلِّدين والمزخرِفين، إضافة للقائمين بالأعمال الفنية والخدمات، وفئة العاملين، وأفراد الأمن والحراسة، والقائمين على أعمال التنظيف وتنظيم والأثاث، ولكل فئة من هؤلاء مشرف يوزع عليهم المهام، وفوق كل هؤلاء مدير المكتبة الذي يسمى "الخازن"، وينتخب لهذه الوظيفة أحد أفضل العلماء ومشاهير الأدب؛ لكي تتيح له خبرته القيام بدوره على أتم وجه.

اندثار المكتبة وتدهورها

على مر العصور في جميع الحضارات عبر التاريخ كانت الحروب وما زالت سببًا لانهيار العلم، فعند حصار البربر لقرطبة عام ٤٠٠هجرية/١٠١٠م بيعت الكثير من الكتب لسد الاحتياج من المال، كما أُحرقت ونهبت الكثير من الكتب عندما تمكّن البربر من دخول مدينة قرطبة عام ٤٠٣هجرية/١٠١٣م.

وجرّد المنصور محمد بن أبي عامر المكتبة من كتب الفلسفة وأحرقها بنفسه تقرّبًا للناس؛ ليثبت أنه غيور على دينه، كما أحرق الناصر قبله كتب ابن مسرة القرطبي؛ لاحتوائها على إشارات غامضة تتعلق بالملحدين، فكانت هذه نهاية لإحدى أعظم المكتبات التي عرفها التاريخ.

المراجع: كتاب تأثير بلاد الشام الحضارية على نهضة قرطبة العمرانية في عصر الإمارة والخلافة.

العدالة فى الحضارة المصرية القديمة

أ. كرم عبد المنعم حامد محمد

حظيت العديد من الأفكار الفلسفية والأخلاقية بالتقديس والعبادة في المجتمعات القديمة عامة، والمجتمع المصري خاصة الذى تميز بوجود العديد من الآلهة، فكان هناك آله للحكمة، وأخرى للموت، وثالثة للبعث، وأيضاً كان للعدالة آلهتها، حيث أحتلت الأخيرة مكانة بارزة عند المصريين القدامى، فقد كانت «ماعت» بالنسبة للجميع ناموس الحياة ومنهجها القويم و السليم، وترتيباً على ذلك أطلق عليها العديد من المفاهيم منها؛ " معات "،" ابنة الإله رع "، "سيدة السماء " وأحياناً " حاكمة القطرين.

فعلى صعيد الحضارة المصرية القديمة تم تصوير العدالة "ماعت" على هيئة سيدة ذات وجه جميل تعلو رأسها ريشة النعام رمز العدالة، وممسكة في إحدى يديها مفتاح الحياة "عنخ"، أما يدها الأخرى فتمسك به صولجان الحكم.

و يدور مفهوم العدالة في الدولة المصرية القديمة في عبارات اتسمت بالبساطة والدقة والوضوح تدور حول اتباع السلوك القويم، والنهج السليم، والأخلاق الكريمة، لكل من أراد أن يسير في طريق الحق والاستقامة والفضيلة.

وبمعنى أخر فأن "الشخص الماعتي" يتعين أن يتسم بالمثالية، والأخلاق القويمة ، والأعراف الثقافية والسياسية والاجتماعية .

ومفهوم العدالة لم يتجسد في أسلوب نظري مرسل، وإنما اتصل بالواقع العملي، وهو ما تحدثت عنه بوضوح الكثير من النصوص والنقوش الهيروغليفية، بجانب الحفائر الأثرية المتعددة التي تضمنتها الآثار المتبقية من الحضارة المصرية القديمة، والتماثيل الموجودة بالمعابد والمحفورة بالمقابر، وعلى ذلك يمكن القول: إن الحياة بالكامل تديرها "ماعت"، فكانت بمثابة مبدأً إرشاديً تحوي العديد من المبادئ المتعلقة بالخير والنماء لدى المجتمع المصري القديم.

كما تميزت" العدالة" بأنها كانت جزءًا لا يتجزأ من جميع جوانب المجتمع المصري القديم وثقافته سواء على صعيد الحياة الدنيا أو الآخرة.

ولقد كانت نظرة البعض الفلسفية التي بمقتضاه تم وصفها بأنها تجمع ما بين النظام الاجتماعي والنظام الكوني، فهناك رابطة وثيقة الصلة ما بين الإنسان والكون، فيتكامل الإنسان بوصفه صورة مصغرة من التي يشملها الكون الكبير ككل.

ولقد أقيم جسر العدالة في الحضارة المصرية القديمة على فكرة الحق والحقيقة والعدل والاستقامة، والصدق والمصداقية، والنظام والانتظام، كما أن جسر العدالة يمتاز بالكمال، حيث لم يقتصر ذات المفهوم على نظام

محدد، بل امتد إلى كافة المناحي الحياتية والدنيوية المختلفة، وعلى كافة المستويات، وأيضاً العدالة أتسع و أمتد نطاقها للحياة الآخروية لما بعد الممات، حيث ترسخ لدى العقيدة المصرية القديمة مفهوم الحياة بعد الموت "البعث والخلود"، وبناء عليه فالإنسان العادل في حياته الدنيا، يمتد عدله إلى الحياة الأخرى بعد مماته.

بالإضافة إلى أن أمر تطبيق العدالة لم يقتصر على فئة اجتماعية دون غيرها، بل طبق لدى الجميع الحكام والمحكومين على حد سواء.

ويجب أن نشير أن "ماعت" لم يكن لها معيارثابت في كافة عصور الدولة المصرية القديمة ،ففي العصر الذى ضعفت فيه الدولة المصرية افتقدت فيها العدالة" ماعت" /العدل.

اولاً- العدالة لها شأن ديني في الحضارة الفرعونية :

نهض الدين بدور بارز في تنظيم الدولة المصرية، حيث قامت الديانة في الحضارة الفرعونية القديمة على الممارسات الحياتية اليومية بشكل مادى، على كافة الصعد الحياتية في محيط العلاقات الأسرية والمجتمعية، ولكن كان جوهر تلك الممارسات والعلاقات يقوم محورها على العدالة التي ارتبطت بالعديد من الأرباب والمعبودات؛ حيث ارتبطت العدالة بالآلهة (رع)، وبالمعبود "چحوتي" رب الحكمة والمعرفة.

فإذا كانت الدولة المصرية استمدت وجودها بطابع فريد هو علو الآلهة على البشر وكان (رع) اول ملك آلهى شيد بمساعدة الآلهات الأخرى –مصر- وأعطاها قوانين ثابتة مستقرة وكانت عدالة الشمس رمز الآلهة عند الفراعنة عدالة نموذجية وكاملة وغير معيبة وكان (آمون رع) يحكم بالعدل أثناء حكمه في الأرض وينصف التعيس ولا يقبل هدايا أو قرابين من الظالمين الارهابيين ....من هذه العبارة المستقاة من النصوص والنقوش الأثرية التاريخية يتضح أن العدالة وضعت لتكون فيها الخير لجميع البشر والكون.

ولقد كان نقيض العدالة "ماعت" هو "إسفت" ويعني ذات المصطلح الفوضى، بما تتضمنه من سلوكيات أخلاقية سيئة بأن يكون الشخص غير عادل، أو ظالم، أو متآمر على الملك أو النظام ، أو غير الصادق...الخ

ثانياً- العدالة أساس الحكم في الدولة المصرية القديمة:

احتل الحاكم (الفرعون) مكانة كبيرة في الدولة المصرية، حيث كان الملك محور الحضارة المصرية القديمة، فعند تتويج الحاكم أو عند تجديد ولايته، كان من عادة المصري في هذا الزمن أن يهدى "ماعت" للحاكم في صورة تمثال صغير للتذكير بالعدل في البلاد.

ولقد كان الاعتقاد الراسخ هو أن الحاكم، كان ذات طبيعة إلهية، حيث كانت الآلهة تنزل على الأرض وتتجسد في جسد فرعون لتحكم بين الناس بالحق والعدل، حيث كان الفرعون آلة, فأصبح يملك ويحكم ويدير، فوضعت العدالة قبلته مشرعاً أو قاضياً، فقد كان الفرعون مصدر القانون ينطق القانون ويطبقه ويفسره، دون غيره،

فسنت القوانين والمراسيم التي تتلاءم مع حاجيات ومتطلبات المجتمع المصري، فقد كان هو المسؤول الأول بهدف الحفاظ على القانون والنظام في البلاد، كما أنه هو القاضي الأعظم في البلاد.

وبالرغم من أن الفرعون كان يملك مصر من أعلاها إلى أسفلها، بيد أن صفة الآلوهية التي تمتع بها الحاكم(الفرعون) أوجبته والزمته بأن يكون مسؤولاً عن إقرار النظام والعدالة في الدولة، وأن عدالته أحد سمات حكمه مثل أجداده وأسلافه الآلهة، من هنا كان حرص الفراعنة على حث الناس على إرضاء آلهة العدالة " معات "

وتجسد أمر العدالة في شكاوى "الفلاح الفصيح" الذي يخاطب الحاكم الظالم"بيبي" مذكرًا إياه بمسؤلياته تجاه الحكم قائلاً: "إن كنت أبا لليتيم فأنت حبيب الماعت وإن راعيت الفقير والمريض فأنت حبيب لماعت.. . وإن كنت لسانًا للمظلوم وأذنا صاغية لشكواه فأنت حبيب لماعت ... ..."

وذات العدل الذى كان يقع على عاتق فرعون لم يكن فقط واجباً سياسياً بل كان كذلك واجباً دينياً وأخلاقياً، كما أن الفرعون كان يستمع دائماً الى كلمات الألة "حوريس" المقدسة "قل العدالة ,اصنع العدالة, لان العدالة قادرة ، إنها عظيمة, إنها سرمدية "

كما تؤكد العديد من الوثائق التاريخية فكرة العدالة، فهناك نص يرجع إلى الأسرة الثانية عشرة جاء فيه على لسان " رع " (لقد خلقت كل إنسان مماثلاً لأخيه، لقد حرمت أن يأتي الناس الظلم، ولكن قلوبهم قد نقضت ما أمر به كلامي)

كما تضمنت العدالة بألفاظ صريحة خلصت إليها إحدى الوثائق التاريخية المنسوبة إلى الحكيم " إيبورو " فى وجه الملك " بيبي الثاني " خامس ملوك الأسرة السادسة عندما تنكب تحقيق العدالة ، مذكراً إياه بالحق والعدل وضرورة الحكم بموجبها, كما يقول أبو الحكماء "بتاح حوتب" أيضا: "حافظ على ماعت ... وإياك أن تفرط فيها أو تضيعها" .

كما تضمنت العديد من تعاليم الملك "خيتى الرابع" التي ينصح فيها ابنة الملك "مريكارع" وهو على فراش الموت يحدثه عن العدالة بقوله " كن عادلا حتى يخلد اسمك على الأرض :هدئ من روع الباكي، ولا تضطهد الأرملة ولا تطرد إنسانا من أملاك أبيه أو موظفا من عملة, ولا تجرد القضاة من مناصبهم, واحذر أن تعاقب خطأ, فالقتل لن يفيدك ","ان الحق معات يأتي إليك مختبرا حسبما كان علية الأجداد فعليك إذن أن تقتدى بآبائك وأسلافك "

ولعل أعظم من تحدث عن العدالة وتحقيقها حكيم الدولة القديمة "بتاح حتب" فقد جاء فى برديتة ما كان ينصح بها ابنه الذى طلب من الملك "زركارع اسيسى"أن يعينه وزيرا خلفا له وكان ذلك عند بداية عصر الأسرة الخامسة "

وكانت العدالة بمثابة قيد بين مشاعر الحاكم وضميره، تجذبه دائماً نحو صالح المحكومين ، وحتى الملوك أن وجهوًا نصحهم الدائم إلى أبنائهم وإلى وزرائهم لاتخاذ العدالة منهجاً وأساساً لحكمهم " إذ إن ما تحبه الآله، أن تصان العدالة ، وهذا هو مذهب الحاكمين جميعاً ودستورهم في الحكم".

ثالثاً- العدالة أساس القانون والقضاء في مصر الفرعونية:

إن القانون المصري القديم كان معبرا خير تعبير عن الحياة المصرية وظروفها الاجتماعية والاقتصادية والدينية، وشهدت تطورات متعددة وفقا لتطور المجتمع المصري، علاوة على أن التشريع المصري انبثق من عادات الشعب المصري القديم وأخلاقه، كما ارتبط القانون المصري بعلاقة وثيقة الصلة بالقواعد والتقاليد الدينية وصفة العدل، وأصبحت العدالة روح القانون حيث تم تجسيد العدالة على شكل آلهة تعبد أطلق عليها الإله (معات) maat

وفي ذات الإطار يشير المؤرخون الإغريق أمثال "ديودور الصقلى و "هيردوت "بأن كهنة منف قالوا إن الآلهة (ايزيس)هي التي وضعت لأجدادهم القوانين ليحل العدل محل الظلم والرفق محل القسوة الغاشمة.

كما سلطت كذلك النصوص المصرية القديمة الضوء على أهمية الأخلاق ومكانتها البارزة، كما شغلت مكارم الأخلاق حيزًا كبيرًا فكان جوهر حياة المصريين، حيث تم الاستناد فيها إلى تقاليد وعادات المصريين الاجتماعية المتنوعة والممتدة عبر تاريخهم الطويل، كما تطرقت النصوص بالعمل على مكافحة الجريمة والتصدي لها بجزاءات مختلفة، وارتبطت الجريمة والعقوبة في مصر القديمة بعوامل أخلاقية وعرفية ودينية، استندت جميعها إلى مفهوم ماعت الذي يشير إلى "الحقيقة والعدالة" في المجتمع

وأمر تحقيق العدالة لم يقتصر على المسائل القانونية، بل أمتد كذلك إلى النظام القضائي في البلاد، في محراب القضاء، حيث إن جميع القضاة مسؤولون حكوميون كانوا يمثلون الفرعون(الحاكم) في المسائل القانونية والقضائية، وكان يطلق على كل القضاة لقب "كهنة ماعت"...

وبالرغم من أن المحاكم في الحضارة الفرعونية القديمة اتخذت العديد من الأنماط والصور سواء تمثلت في جمعيات أو مجالس وظيفية محلية تتولى الفصل في المنازعات المدنية أو الجنائية أو الإدارية، بيد أن العدالة كانت بمثابة القاسم المشترك الذى كان يجمعها.

ولقد اعتمد القاضي في إصدار أحكامه على العدالة التي كانت تنبع من التشريعات والمراسيم، وكذلك ما استقر عليه ضميره ووعيه، فجاءت الأحكام القضائية تضم بين طياتها المبادئ والأحكام العامة المتعلقة بالإنصاف والأخلاق، التي تضمن نزاهة القاضي، وعليه فإن أي سوء تصرف قضائي ينعكس بشكل مباشر على الفرعون

وبمقتضى ما تقدم؛ تقيد القضاة بكافة الاحتياطات المتعلقة بالعدالة، فكانت جميع ما يصدره من أحكام تدور حول محراب العدالة.

رابعاً- العدالة فى التنظيم الإداري للدولة المصرية القديمة:

تولي فرعون جميع السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية، فخضعت جميعها تحت قبضته، ومن قبيل السلطات التنفيذية التي تمتع بها الفرعون الملك، القيام بتعيين الموظفين ونقلهم وترقيتهم، وكذلك تحديد اختصاصاتهم، بل وعزلهم ، ولا يمكن الجزم المطلق بأن سلطات الفرعون كانت مطلقة ومهيمنة على الجهاز الإداري للدولة، بل أن سلطاته المتعلقة بقراراته الإدارية كانت تتقيد بما استقر عليه العرف الإداري في البلاد، طبقا للقيود والمعايير اللازمة للتنظيم الإداري للدولة

ولقد تجسد أمر تحقيق العدالة في أبهى صورة لها في قمة الهرم الإداري للدولة الفرعونية بما تضمنته أحد التوجيهات الرئيسية للملوك عند مراسيم تعيين وزرائهم فقد جاء في توجيه الملك "تحتمس الثالث" لوزيره رخمارع 1458 ق.م "عندما يأتى شاك من مصر العليا أو السفلى فعليك أن تتأكد من أن كل شيء مطابق للقانون .. فإن ما يحبه الإله هو أن يتحقق العدل"

وترتب على تطبيق العدالة في السلطة التنفيذية، أن أصبحت مسألة شغل وظائف الدولة ليست وراثية، كما لم يعد لأي شخص فضل على غيره لمجرد انتمائه لفئة معينة، بل كانت الوظائف الإدارية متاحة لدى جميع المصريين سواسية، دون تمييز أو تفرقة،

خامساً- العدالة في العالم الآخر:

أمر تطبيق العدالة لدى الدولة المصرية القديمة ظهر في الحياة الآخرة لما بعد الممات ، وهو ما جسدته بوضوح "كتب الموتى"

وترتيبًا على ما تقدم لم تقتصر العدالة على الأحكام القضائية الصادرة من القاضي في محراب القضاء، بل أن العملية القضائية استمرت على أيدي الآلهة في العالم الآخر، حيث كانت تتم محاكمة المتوفى لحظة وفاته بمقياس العدالة على ميزان "ماعت"، ويتم ذلك بوضع قلب المتوفى.

فوجد "أوزوريس" آلة الأموات في العديد من النقوش التاريخية تولي مسألة محاكمة (المتوفى) في محكمة الموت المكونة من اثنين وأربعين مساعدا له

وفي ذات المضمار استقرت العقيدة المصرية بأن العدالة في الحياة الآخرة كانت تطبق لدى المحكومين، والحكام وهو ما اكدته "متون الأهرام" بأن الملك عندما يمثل أمام المحكمة بعد موته في العالم الآخر يقوم بتقديم كشف حساب بأعماله بقوله "لقد كنت أحكُم وفق الماعت، ولم أخالفها قط".

واحة العلم

الفسيولوجية المرضية للسكته الدماغية (Stroke)

د. نوره إبراهيم الزاعل

السكتة الدماغية تحدث حين يتعرض جزء من الدماغ للضرر نتيجة نقص تدفق الدم إليه أو تمزق وعاء دموي، أي حدوث نزيف في الدماغ. وتؤدي بعض السكتات الدماغية إلى انهيار المصاب وفقدانه الوعي فجأة. وغالباً ما ينتج هذا النوع من السكتات عن نزيف كبير في الدماغ، ومما لا شك فيه أن السكتة الدماغية ليست عرضاً، بل غالباً ما تنتج عن عقود من تمزق واهتراء وانسداد الأوعية التي تغذي الدماغ بالدماء.

إن السكتات الدماغية شائعة جداً، ولابد أن كلا منا يعرف شخصاً ما أُصيب بسكتة دماغية. ولكن لم تكن السكتات الدماغية حتى عهد قريب تشكل أولوية طبية، وربما يعود ذلك إلى أن معظم من يصابون بها هم من كبار السن، أو أنهم يصابون بعجز كبير يمنعهم من إحداث كثير من الضجة حول وضعهم. ولكن هذا لا يعني أن يتم تجاهل أمر السكتات الدماغية، فهي ثالث أكبر مسبب للوفيات في المملكة المتحدة، وأحد أكبر مسببات العجز. وقد بات الأطباء اليوم أكثر حكمةً، ويدركون أنه يمكن فعل الكثير للوقاية من السكتات ومعالجتها، وأحياناً عكس مفعولها بواسطة برامج إعادة التأهيل.

يخلط كثيرون ما بين السكتة الدماغية والنوبة القلبية. وعلى الرغم من وجود تشابه بينهما، إلا أن النوبة القلبية تنتج عن انسداد في الأوعية الدموية الموجودة في القلب، بينما تنتج السكتة الدماغية عن انسداد في الأوعية الدموية الموجودة في الدماغ. وتترافق النوبات القلبية بألم مفاجئ بالصدر والذراع بالإضافة إلى الشعور بالغثيان والدوار، فيما لا يصاحب السكتات الدماغية ألم، ولكن أعراض مختلفة، بما في ذلك فقدان مفاجئ للحركة ومشاكل في الحديث والرؤية والتوازن.

يتحكم الدماغ بحركة الجسم، ويعالج المعلومات القادمة من العالم الخارجي، ويمكننا من التواصل مع الآخرين. وتحدث السكتة حين يتوقف جزء من الدماغ عن العمل بسبب حدوث مشاكل في تدفق الدم، ما يؤدي إلى الإصابة بالأعراض الكلاسيكية للسكتة الدماغية، مثل الوهن المفاجئ في الذراع والساق في نفس الجانب من الجسم .

يعتبر الدماغ أحد أكثر الأجزاء دقة في الجسم. ولذلك فقد يؤدي انقطاع الدم عنه، ولو لفترة قصيرة جداً، إلى حدوث عواقب كارثية. فمثلاً، على الرغم من أنه بالإمكان إنقاذ إصبع، أو حتى ساق بنجاح بعد ساعات من توقف تغذيتها بالدم، إلا أن الدماغ يتضرر بعد دقائق فقط من حدوث توقف كهذا. وعادة ما تظهر أعراض السكتة الدماغية بسرعة، وقد تكون خطرة جداً.

أسباب السكتة الدماغية

يستخدم الدماغ كميات كبيرة من اللأكسجين والمواد الغذائية مثل الغلوكوز، التي تصل إليه عبر الدورة الدموية. ويعد السبب الأكثر شيوعاً للسكتة الدماغية هو انسداد وعاء دموي يزود الدماغ بهذه المواد الغذائية الأساسية بسبب حدوث جلطة دموية، تعرف بالخثر الدموي، والتي قد تتشكل محلياً في شريان دماغي أو في مكان آخر، مثلا في القلب وتعبر في مجرى الدم لتصل إلى الدماغ.

يعرف هذا النوع من التخثر المتنقل بالانصمام، إذ ينسد وعاء دموي في الدماغ. وسرعان ما تُحرم الخلايا الدماغية التي يغذيها من الأكسجين والغلوكوز وتتوقف عن العمل بشكل ملائم. وفي حال لم يُستأنف تدفق الدم بسرعة، تموت تلك الخلايا الدماغية. ويعرف هذا النوع من السكتات بالسكتة الدماغية اللافقارية، أو الاحتشاء الدماغي. ويعني اللافقاري نقص الدماء، فيما يشير الاحتشاء إلى موت جزء من الجسم.

أما السبب الثاني الأكثر شيوعاً للسكتات، فهو النزيف الدماغي، والذي يحدث لدى انفجار وعاء دموي في الرأس. وبالإضافة إلى إعاقته تدفق الأكسجين والغلوكوز إلى بعض المناطق في الدماغ، يمكن أن يتسبب الدم المتسرب بإحداث تخثر أو تورم أو التهابات. فالتخثر هو السبب الأكثر شيوعاً للسكتات الدماغية – حيث ينسد وعاء دموي يزود الدماغ بالمغذيات الأساسية بخثرة دموية.

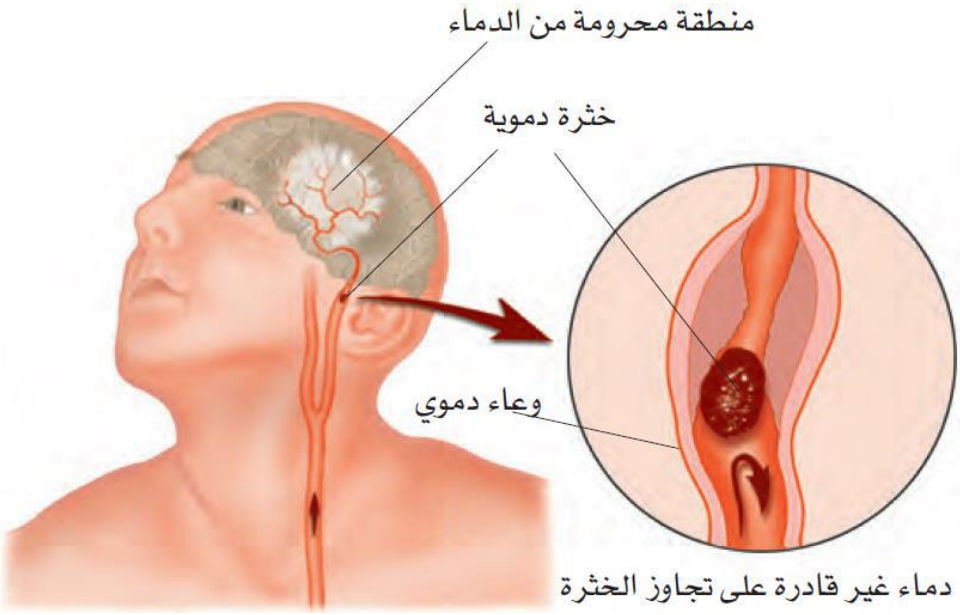

شكل1: انسداد وعاء دموي في الدماغ نتيجة خثرة دموية

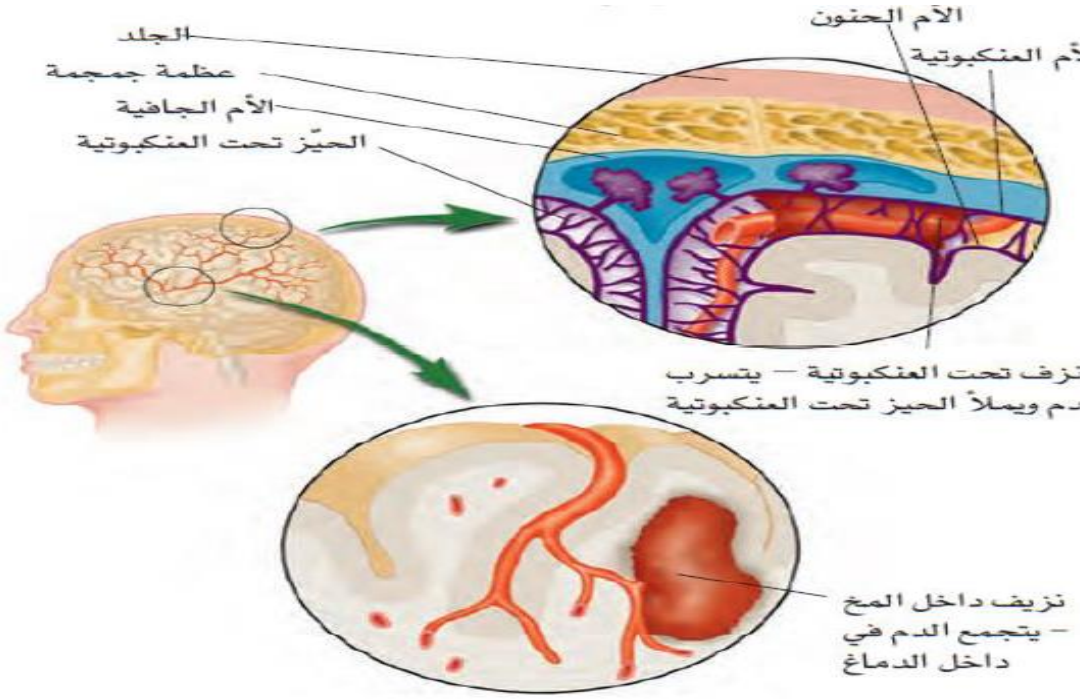

شكل 2: النزيف الدماغي

ثمة نوعان من النزيف الدماغي: نزيف داخل أنسجة المخ حيث يتجمع الدم في الدماغ، ونزيف تحت الخلايا العنكبوتية، حيث يتجمع الدم بين الجمجمة والدماغ.

ويعد أي نزيف، أو تخثر، في الرأس يؤدي إلى فقدان إحدى الوظائف الجسدية لأكثر من 24 ساعة في حال النجاة (سكتة دماغية). وأما الأعراض التي تدوم أقل من 24 ساعة، ويتعافى منها المريض تماماً فتُعرف بالنوبة العابرة أو السكتة الصغرى.

أنواع السكتات الدماغية

يرتبط نوع السكتة بالمنطقة الدماغية التي تتعرض للضرر. وبما أن أي جزء في نظام الأوعية الدموية يمكن أن يواجه انسداداً، فإننا نشهد أنواعاً مختلفة من السكتات. كما أن تدفق الدم إلى الدماغ يختلف من شخص إلى آخر، وبكمية قد يستغربها البعض. إضافة إلى ذلك، فقد تنسد ثلاثة شرايين من أصل أربعة شرايين لدى شخص ما، ولا يصاب بسكتة دماغية، في حين قد يُصاب آخرون بسكتة دماغية خطرة بانسداد شريان واحد فقط. وقد ساهم ذلك في زيادة صعوبة تصنيف السكتات الدماغية، مما أدى إلى وجود تصنيفات مختلفة في العالم حالياً.

1- سكتة في الجهة اليسرى من الدماغ

عادة ما تنتج السكتة التي تصيب الجانب الأيمن من الجسم من مشاكل في الجهة اليسرى من الدماغ والعكس صحيح. يعد النوع الأكثر شيوعاً من السكتات الدماغية إصابة شخص ما فجأة بوهن في الجهة اليمنى أو

اليسرى من الوجه أو الذراع أو الساق. ويسهل ملاحظة هذه المشكلة التي تعرف بالفالج . ويتراوح مثل هذا الوهن ما بين خفيف جداً وشلل تام، وهو غالب أما يصيب الوجه والذراع والساق معاً. غير أن بعض السكتات الأقل حدة تصيب الوجه وحده أو الساق أو الذراع. وفي حالات أقل شيوعاً، قد تسبب السكتات فقدان الإحساس في الوجه أو الذراع أو الساق فقط، أو مزيجاً من فقدان الإحساس والوهن.

2- سكتة في الجانب الأيمن من الدماغ

يتحكم الجانب الأيمن من الدماغ بالجهة اليسرى من الجسم، وعادة ما يكون الجانب الأيسر من الجسم أقل سيطرة في الأشخاص الذين يستخدمون أيديهم اليمنى. وتعد المشاكل التي تطرأ في هذه الحالة شبيهة بمشاكل جهة اليمين التي تناولنها أعلاه، غير أن مشاكل اللغة تكون أقل شيوعاً. من المشاكل الشائعة لدى الأشخاص الذين يصابون بسكتات دماغية أكبر في الجانب الأيسر من الجسم، هي أنهم غالباً ما يبدون معوقون، ويصعب في البداية تحديد السبب. غير أن المشكلة هي بسبب فشل الدماغ في إدراك انتماء الذراع والساق اليسريَين إلى المريض. إذ يتضرر بشكل كبير الجزء من الدماغ الذي ينبئك بوجود يد وذراع يسرى، لدرجة يعتقد دماغك بعدم وجود جانب أيسر لديك. ولذا فحين تكون الإصابة شديدة جداً، يتجاهل البعض الطعام في الجانب الأيسر من الصحن، ويفقدون ذراعهم وساقهم اليُسريَين. ويُعد شذوذ الكلام، إذ يصبح الكلام رتيباً، من المشاكل الأخرى التي يعاني منها الذين يُصابون بوهن في الجانب الأيسر. فنمط الخطابة الذي يتمتع بإيقاع هو من اختصاص الجهة اليمنى (غير المسيطرة) من الدماغ.

أمراض قد تشبه السكتة الدماغية

يمكن لعدة أمراض أن تحاكي السكتة الدماغية، بما فيها التالي:

1- الأورام الدماغية:

من أبرز مميزات السكتة الدماغية هو ظهور أعراضها بسرعة كبيرة. ويمكن للورم الدماغي أن يتسبب بالمشاكل عينها مثل السكتة الدماغية، ولكن أعراضه تبدأ تدريجياً وتزداد سوءاً بمرور الأيام والأسابيع.

2- الصداع النصفي (الشقيقة):

الصداع النصفي مرض شائع جداً، غير أن أعراض نوبات الألم تختلف من شخص إلى آخر. فثمة من يعاني من الوميض وثغرات في الرؤية، وحتى من وهن في الذراع والساق. وقد يكون العلاج صعبا في حالات كثيرة. وقد يخطئ البعض فيعتقد أن بعض نوبات الشقيقة هي سكتات دماغية، ولكن في حالات نادرة يمكن لنوبة شقيقة أن تسبب سكتة دماغية. لذا من المهم الحصول على رأي طبي خبير في هذه المسألة.

3- المَذَل:

هو شعور بالوخز وتنمل في الجسم، وهو عارض شائع جداً، غير أنه نادراً ما يكون بسبب حدوث سكتة دماغية. وغالباً ما تكون هذه الأعراض بسبب عصب محتَبَس، ولا علاقة لها بالسكتات الدماغية.

عوامل أخرى تساعد في تسبب السكتة الدماغية:

- تصلّب الشرايين:

تصلب الشرايين مشكلة شائعة تصيب الشرايين، ويمكن أن يحدث في عمر مبكر حين تبدأ بقع دهنية (تعصد الأوعية) بالظهور في جدار الوعاء الدموي. وبتقدم المرء في السن، يمكن لهذه البقع أن تلحق ما يكفي من الضرر لتسبب تخثراً في الدم داخل الشريان، ما يؤدي إلى تضييقه والحد من تدفق الدم فيه. كذلك يمكن لخثرات الدم هذه أن تؤدي إلى انسداد الوعاء الدموي والتسبب بحدوث سكتة دماغية، إن كان الشريان يغذي الدماغ. وتنتج معظم السكتات اللافقارية والسكتات الفقارية العابرة من هذا النوع من المشاكل.

ويمكن الحد من خطر احتمال الإصابة بتصلب الشرايين بإدخال تعديلات على نمط حياتك. باتباع نظام غذائي قليل الدهون، وتناول خمس حصص من الفاكهة والخضار الطازجة يومياً، وممارسة التمارين الرياضية يساهم في الحماية من خطر تصلب الشرايين، واحتمال التعرض للسكتات الدماغية بالاضافة إلى أنواع أخرى من الأمرا ض المرتبطة بالدورة الدموية، مثل أمراض القلب والشرايين وارتفاع ضغط الدم. ومن المهم جداً التقليل من تناول الدهون المشبعة، خصوصا تلك الموجودة في اللحم الأحمر ومشتقات الحليب، إذ إن هذا النوع من الدهون يزيد من معدل الكوليسترول في الدم، ما يساهم في ازدياد حدوث خثرات دموية.

- ارتفاع ضغط الدم:

يدرك معظم الناس أن ارتفاع ضغط الدم مضر بالصحة، ولكن قليلين هم من يعرفون أن ارتفاع ضغط الدم يزيد من خطر الإصابة بالسكتة الدماغية. فحين يُدفع الدم عبر جهاز الدورة الدموية بضغط كبير، تتلقى جدران الشريان ضربات تلحق الضرر بها، لذا يصبح تصلب الشرايين وتخثر الدم أكثر احتمالا. لذا سيكون من شأن تخفيض ضغط الدم الحد من خطر الإصابة بالسكتة الدماغية. وقد طرأت الكثير من التغييرات في هذا الشأن حديثاً، غير أن معظم الخبراء يشددون على أهمية بقاء ضغط الدم دون 150/ 90.

وقد أظهرت دراسات حديثة أن التغيرات في معدل ضغط الدم يساهم في الإصابة بالسكتات الدماغية أكثر من بقاء مستوى الضغط ثابتاً. فارتفاع ضغط الدم من حين إلى آخر، في ما يعرف بارتفاع ضغط الدم العرضي يحمل معه زيادة في خطر الإصابة بالسكتة الدماغية.

ومن المعلوم لدينا أن استهلاك الملح بكميات كبيرة يرتبط بارتفاع ضغط الدم. ويساهم الملح في رفع ضغط الدم بجذبه السوائل إلى الدورة الدموية، مما يزيد من حجم الدم ويخفض كمية السوائل التي تخرج عبر الكليتين. ويقول بعض الخبراء إن التقليل من تناول الملح قد يحد من خطر الإصابة بالسكتات الدماغية لدى كافة السكان بشكل دراماتيكي. ويمكن تحقيق ذلك بتخفيف كمية الملح في الأطعمة المصنعة، أو وضع ملصقات تحدد كمية الأملاح الموجودة في كل منتج لتمكين المستهلك من تفادي تناول الأطعمة المالحة.

كما يمكن تخفيض ضغط الدم باستخدام وسائل أخرى أيضاً، من بينها الإقلاع عن التدخين، وتجنب تناول المشروبات الممنوعة، وممارسة التمارين الرياضية بانتظام . وإن أخفقت جميع هذه الوسائل، فيمكن أن يصف لك الطبيب دواءً آمناً لتخفيض ضغط الدم.

عوامل خطر أخرى تساهم بشكل غير مباشر في السكتات الدماغية:

التقدم في السن - التدخين - السكري - مشاكل القلب - قلة ممارسة التمارين الرياضية - اضطرابات في الدم مثل مرض فقر الدم المنجلي - الإفراط في تناول المشروبات الممنوعة.

عوامل الخطر التي قد تسبب سكتات دماغية فيمن هم دون الخامسة والخمسين من العمر:

تصلب الشرايين المبكر - ضربة قوية على الرأس تسبب صدمة - الصداع النصفي (الشقيقة) - الأمرا ض الالتهابية مثل (الالتهابات الوعائية) - الذئبة الحمامية المجموعية - فقر الدم الحاد - الإفراط في تناول المشروبات الممنوعة - تناول حبوب منع الحمل – الحمل - اضطرابات في الدم - فقر الدم المنجلي - نقص البروتين - اضطرابات الصفائح - تعاطي المواد الممنوعة - اضطرابات وراثية تساهم في تكون خثرات الدم.

العلاج الدوائي:

- الأسبرين وعلاقته بالسكتة الدماغية:

أظهرت تجربتان سريريتان كبريان أن تناول جرعة تتراوح بين 160 و 300 ملغرام يومياً من الأسبرين قد يفيد الأشخاص الذين عانوا من سكتة دماغية. ولكن قبل تناوله، لا بد من أن يتحقق الطبيب إن كانت السكتة الدماغية نتجت عن نزيف (لأن الأسبرين قد يزيد الوضع سوءاً) بإجراء صورة بالأشعة فوق الصوتية لدماغ المريض. ويعمل الأسبرين بتخفيف لزوجة صفيحات الخلايا الدموية التي تتكتل لتشكل خثرة، فيخفف من خطر تشكل خثرة جديدة، وبالتالي من إصابة المريض بسكتة دماغية جديدة، فضلا عن أنه قد يقي من زيادة سوء حالة السكتة الأولى. غير أن العلاج بالأسبرين ليس قوياً جداً. فمن بين كل 100 شخص يتناولون الأسبرين، تتم وقاية شخص واحد فقط من الموت أو الإعاقة في الأشهر الأولى التي تلي السكتة. ولكن من المحبذ اتباع هذا العلاج لأنه سهل ويتمتع بآثار جانبية قليلة، وهو زهيد الثمن. إذاً بعبارة أخرى، فقيمة الأسبرين في الأسبوعين الأولين بعد حدوث السكتة الدماغية أو النوبة اللاقفارية العابرة، تساوي قيمته في حال تناوله في الأشهر الإثنى عشر المقبلة للوقاية من سكتة ثانية.

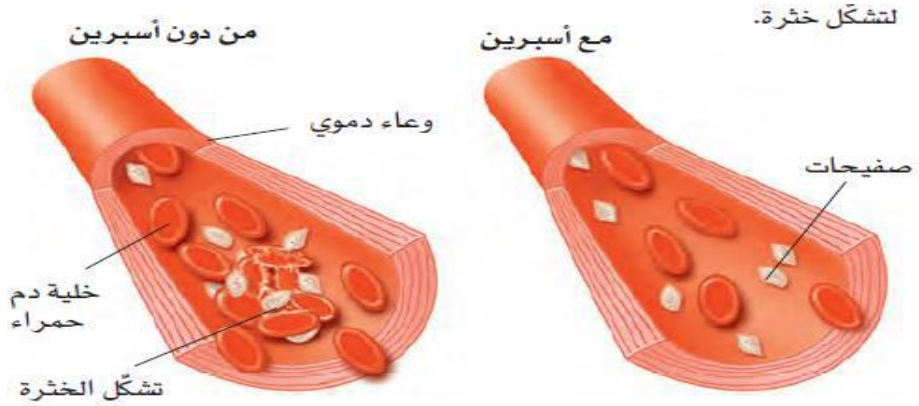

شكل 3: دور الأسبرين في منع تشكل الخثرة

- الهيبارين والوارفارين

هذان عقاران يستخدمان كمضادات للتخثر. ويعمل هذان العقاران بمنع تشكل عوامل تخثر مصنوعة من البروتين الضرورية لتخثر الدماء الطبيعي. ولا يوجد للوارفارين أثر فوري على تخثرات الدم الموجودة لأنه يحتاج ليعمل إلى ما بين يومين إلى ثلاثة أيام. ولكن نادراً ما يستخدم الهيبارين لعلاج السكتات الدماغية في الوقت الراهن، بعد أن ثبت أنه يسبب نزيفاً في الدماغ قد يؤدي إلى حدوث سكتة أخرى أو إلى حدوث نزيف في الدماغ.

العلاج الفيزيائى:

يمكن أن يكون القيام حتى ببعض النشاطات البسيطة صعباً بعد الإصابة بالسكتة الدماغية. ففي وحدات رعاية مرضى السكتات الدماغية، يركز المعالجون الفيزيائيون على القدرات التالية بالترتيب بحسب الصعوبة:

1 . الجلوس من دون مساعدة أو دعم

2 . الوقوف لعشر ثوان

3 . السير بضع خطوات

4 . السير عشرة أمتار

5 . السير عشرة أمتار في وقت محدد (لتحسين السرعة ونوعية المشي)

6 . صعود السلالم

الوقاية:

إن أفضل الخطوات التي يمكنك اتخاذها للوقاية من السكتة الدماغية هي معرفة عوامل الخطر المرتبطة بالسكتة الدماغية لديك، واتباع توصيات طبيبك، واعتماد نمط حياة صحي. وإذا كنت تعرضت لسكتة دماغية أو نوبة لافقارية عابرة، فقد تساعدك تلك التدابير في الوقاية من الإصابة بسكتة دماغية أخرى. وقد تلعب الرعاية التفقدية التي تتلقَّاها في المستشفى وبعد خروجك منها دورًا أيضًا.

جميعنا متوحدون

أ. ياره محمد ذكي السباعي – نائب رئيس الاتحاد للشئون العلمية

اضطراب طيف التوحد أو كما يسميه البعض التوحد، ما هو اضطراب طيف التوحد؟ وما هي أعراضه؟ وما هي أسبابه؟ وما هي طرق العلاج؟ هل صادفت يوماً مريضاً بالتوحد؟ هل تعاملت معه؟ وما هي فكرتك عن مريض التوحد؟ وما هي نظرة العالم له؟

اضطراب طيف التوحد هو مجموعة من الصعوبات التي تواجه الإنسان في تعاملاته اليومية مع الأفراد والعالم من حوله.

من منا لم يتخيل أن له عالمه الخاص الذي يعيش به، عالمه الخيالي الذي لا يوجد به ما يؤرقه في عالمه الحقيقي، هذا العالم الخيالي الذي يكون فيه هو وحده، لا يوجد معه أحد إلا من يحبهم مثلاً، هذا العالم الذي يسير بقوانينه الخاصة التي يضعها له، ليس بقوانين عالمنا هذا.

إن مريض اضطراب طيف التوحد مثله مثل أي إنسان، له عالمه الخاص، عالمه الذي يعيش به وحده بقوانينه وقواعده، فمريض التوحد دائماً ما يميل إلى العزلة والوحدة، يجد صعوبة في التعامل مع الآخرين، لا يعرف كيف يتعامل معهم، لا يعرف متى يفعل هذا ومتى يقول ذاك، يسير بقوانين خاصة به وضعها لنفسه، لا يتقبل أي تغيير بها من أي شخص، يميل مريض التوحد إلى عالمه الخاص أكثر من عالمه الواقعي، يكون سعيداً بوجوده به ولا يريد الابتعاد عنه.

يجد مريض التوحد أحياناً صعوبة في الكلام، يخرج الكلام ببطء أو ينطقه بشكل مختلف، ويمكن أيضاً ألا يجد أي صعوبة به، أحياناً يكرر بعض الكلمات أو الجمل التي ليست في موضعها أو بمعنى آخر لا يعلم متى عليه أن يقول هذه الكلمات.

تختلف اهتمامات مريض التوحد عن أي شخص آخر، بمعنى أنه يحب مثلاً اللعب بطريقة معينة، فيفضل اللعب بهذه الطريقة لا يغيرها أبداً، وإذا حدث أي تغيير بالطريقة يشعر بالضيق الشديد، يميل إلى بعض الأفعال التي يحب أن يقوم بها دائماً ولا يغيرها مثل مشاهدة برنامج تلفزيوني معين.

أما بالنسبة للتواصل مع الآخرين، فهناك من يستطيع التواصل معهم بشكل شبه طبيعي وفي هذه الحالة عندما يصل إلى سن أكبر قليلاً ينعزل أكثر ويميل للهدوء والصمت ولا يمكنه التواصل كالسابق، وهناك من لا يستطيع التواصل من البداية، ويفضل العزلة التامة، وعند محاولة التواصل والتفاعل معه يرفض ويبتعد عنك.

تختلف أعراض التوحد من شخص لآخر كما ذكرنا، وقد تكون هناك صعوبات أخرى مثل ضعف النمو، نقص الانتباه، فرط النشاط، صعوبات في الحركة، صعوبات في النوم، عدم القدرة على التعلم.

إذن فما هي أسباب مرض اضطراب طيف التوحد؟ لا يوجد سبب حقيقي واضح لهذا المرض حتى الآن ولكن من المعتقد أنه بسبب وجود اضطراب في النمو العصبي أو بمعنى آخر وجود خلل في تطور الدماغ، ومن المحتمل أيضاً أن تكون الأسباب وراثية نتيجة لتداخل بعض الجينات المختلفة التي تحدث اضطرابات جينية تتسبب في الإصابة بالتوحد.

تظهر أعراض اضطراب طيف التوحد في مرحلة الطفولة المبكرة، يحدث النمو بصورة طبيعية في السنة الأولى ثم يبدأ الاضطراب في النمو ما بين الشهر الثامن عشر والشهر الرابع والعشرين أي في خلال السنة الثانية. من الأفضل التعامل مع هذا المرض مبكراً كي يحدث فارق كبير في تطور حالة المريض، ولكن كيف يمكننا اكتشاف أن الطفل مصاب بمرض اضطراب طيف التوحد؟ سنلاحظ على الطفل بعض العلامات التي تساعدنا في معرفة ذلك وهي عدم استجابة الطفل للنداء، لا يمكن التواصل معه من خلال العينين، عدم الاهتمام بمن حوله أو لما يحدث حوله، أن يصبح الطفل انطوائي بشكل مفاجئ، أو أنه يقوم ببعض الحركات العدوانية، يفقد الطفل بعض مهارات اللغة التي اكتسبها، يصبح دائم الصمت لا يردد أي كلمات يسمعها أو يصدر أي أصوات مثل باقي الأطفال في عمره، وبالتأكيد يجب أيضاً اللجوء إلى الطبيب المختص لتشخيص الحالة.

يعاني بعض الأطفال المصابين بالتوحد من صعوبة في التعلم أو اكتساب المهارات، وهناك أيضاً من هم في ذكاء مفرط، ولكنهم لا يستطيعون التواصل وتطبيق ما يعرفونه في الحياة اليومية، يجد أيضاً مريض التوحد صعوبة في فهم تعبيرات الوجه، ولا يدرك مشاعر الآخرين تجاهه، ولا يمكنه أيضاً التعبير عن مشاعره تجاههم، يقوم الطفل ببعض الحركات المتكررة مثل الدوران أو التصفيق باليدين، يكون حساساً بشكل غير طبيعي للضوء أو الصوت أو اللمس، قد لا يبالي الألم أو الحرارة، لا تجذبه الألعاب التخيلية فهو لا يريد ترك عالمه الخاص.

عندما يكبر الطفل يتحسن بعض الشيء من هذا الاضطراب وتقل أعراضه ويستطيع إلى حد ما التواصل والتفاعل مع من حوله والعيش بشكل شبه طبيعي، وأحياناً تستمر معه بعض مشاكل اللغة.

يعتبر الذكور أكثر عرضة للإصابة بمرض اضطراب طيف التوحد بحوالي أربعة مرات عن الإناث، تزداد فرص إصابة الأطفال بالتوحد في حالة وجود حالة مصابة بهذا المرض سابقاً في العائلة، وأيضاً الأطفال المولودين قبل 26 يوم من ميعاد الولادة الطبيعي هم أكثر عرضة للإصابة.

أما بالنسبة للعلاج، فلا يوجد حتى الآن علاج لاضطراب طيف التوحد، ولكن يعتبر اكتشاف الأمر مبكراً يساعد في تحسن أعراض المرض، ويجب اللجوء إلى مجموعة من الأطباء المتخصصين بالإضافة إلى أطباء نفسيين وأطباء العلاج الطبيعي.

والآن كيف نتعامل مع مريض التوحد؟ نتعامل مع مريض التوحد كأنه شخص طبيعي، نحترم قوانينه الخاصة، نساعده في كسب المهارات وكيفية التعامل مع الآخرين، استخدام الطرق البسيطة السهلة التي يستطيع فهمها لكي يصل له ما نريد، مشاركته في الأنشطة اليومية، لا نشعر بالملل أو الضجر من تصرفاته بل على العكس نشعره دائماً بوجودنا معه، نتعامل معه بذكاء حتى يكون عالمه الخاص به هو عالمنا نحن أيضاً.

وفي النهاية علينا أن نعرف أن مريض التوحد هو إنسان يشعر ويحس، يسعد ويتألم، ويجب أن نحتويه فبداخل كل منا إنسان متوحد.

من بحر الشعر

بيادر

أ. نور خمري

سواد.....

والليل الآخر يتمدد..

والكحل في عيني ينزف...

..حبراً، آهات تتردد...

.....

وصدى صوت الحق.. الأبكم..

من حولي، أضحى يتبدد....

وعرى الكذب صارت حولي

.... ولقمح القلب تودد....

.....

ماذا أخبرك عصفوري..

ماذا.....؟؟؟

وغلال البيدر لم تُحصد..

وشمائل حقلك يا عصفوري...

في أرض القحط لم تولد...

والحب أصبح عرّافًا

ولزامًا عن أرضي أُبعد

والشعوذة أضحت دينًا

والكل فيها متعبد

احمل أحلامك يا عصفوري

فتاريخ الحب لا يسعد

ورمال الشاطئ مغمورة

ومياه الطهر لم تُورد

أما زلتُ في قلبك...

أما زِلت سؤال مترنّح الإجابة تهدهده الأمنيات والأحلام....

بأن نعم...

لا تزال هناك تحت شجرة قلبي ظلالك الوارفة....

أتفيأ في حماها بين الفينة والأخرى...

لطالما كانت حماكِ مزار روحي الذي ما كففت أبدًا عن تأدية طقوس الشوق فيه كلما اعتراني الحنين وباح مكنوني الدفين.....

وتسألني أما زلت....

ضعي يدك على قلبي، ثم مرري على ذاكرته اسمك..

هل تشعر الآن باضطرابه، أتسمع هتافه إليك..؟؟؟؟ .

لست أعلم كم يلزمني من اليقين لأقطع به شكّك..

نحو ثورة النبضات على غيابك..

بعد أن استهدفت سويداءه بحرابك ورحلت...

لم تستطع أمصار القلب كلها أن تعلن استقلالها عنك، كلما همّت برفع علم النصر، باغتها طيفك أنْ كفّي..

إني هنا...

وتسألني أما زلت.....

متمسكة بك النبضات حد الهزيمة لجيوشك المحتلة روابي القلب وفيافيه....

فأنى لك أن تزول....

هيهات أن تزول.. هيهات

مناسك الحب

أ. نور خمري

هناك حيث الحب.. ذهبت الروح تتبعه

أقامت طقوس الشوق في مَواطنه

أتمت فرائض العشق ونوافله.....

كانت حريصةٌ أن تقيم في قدسية الحب كل مناسكه كمؤمنة به..... بكل جوارحها

كانت تظن كذلك بإيمانهم الخالص وهم يؤدون..... مناسك العشق القدسية

أليس من النفاق أن تؤدي ذلك وأنت كافر به؟

لبئس الحب حبهم.....

من ذا الذي يقيدك لترائي بهذه القدسية؟

ثَمّة أشخاص يمارسون الفضائل دون أن يكونوا مؤمنين بها.....

كم من العار..... يلزم هؤلاء لأن يوصفوا به.....

حريّ بهم أن يعلنوا كفرهم به خيرًا لهم من أن يتخفّوا تحت شعار الإيمان المزيّف

وحدهم هم من يمتلكون لين القلوب وصدقها..... من يعلنون نزاهة إيمانهم.....

..... لا يتسترون تحت جناح الظلام.

يعشقون النور.....

يصطحبونه يداً بيد قبل كل طقس من طقوس الحب..

طوبى للمؤمنين به.....

أينما حلوا

وليقيموا مناسك المحبة على رؤوس الأشهاد.....

وليتموا طواف أرواحهم في أراضي المحبة

وليجعلوا صوفية قلوبهم تتجلى جمالًا.. في حضرة جلالتها

فأرضنا حُرُمٌ على الملحدين بشرع الحب

في بوح المحبة نقدم الحروف قرابين لجلالة العطاء

أوَّلُ ما أتمنَّاه

أ. عبد الناصر الجوهري

لله

امرأةً واحدةً تعْشقُني

أوَّلُ ما أتمنَّاه

لا تغْضبُ.. منِّي

حين أصارحُها بـــ هُمومي

وجُنوني بالشِّعْر ؛

إذا أعيا عذْراواتِ الدُّنيا

أنْ تفْهمَ معناه

لله

امرأةً واحدةً

لا تخرجُ مِنْ قلبي أبدًا

لا بالسِّحْر ، ولا بالكيد ،

تهيمُ لأجْلي في كلِّ فلاه

لله

امرأةَ بالشَّوْق تُبادلني

تمْنحني إلهامًا شِعْريًّا ، والصُّورَ المُسْتوحاه

امرأةَ يتسامى مِنْ عينيها جذْبٌ

أتهجَّاه

امرأةً تُرسلُ لي خجلاً قرويًّا

يتْبعني ، لا يفْلتني ؛ حتى ألقاه

لله

امرأةً واحدةً

لا تُهوى غير مساحيق الحُبِّ العُذْريِّ

بثنايا المرآه

امرأةً لا تجعلني مُغتْربًا وسط بلادي

تمنعُ عنِّي في كلَّ حصارٍ

مأساه

وتدثِّرُ في أكمامي أنشودتها

لو شعرتْ بالحزن تمكَّن منِّي

لو ألقى فىَّ صداه

ويعاودُ إطْنابٌ ضلَّ بـ عزل فؤادي

لكنِّي لا أتورَّطُ في بلْواه

لا تُسْقيني الصحْراءُ بداوتها

والليلُ طويلٌ ؛

عقروا كلَّ مطاياه

لله

ينزفُ قلبي في اليوم الواحدِ ..

آلافَ المرَّاتِ ،

يحنُّ إلى مَنْ تأتي:

من أحياء الفقر المُدْقع ،

أو مِنْ بين قصور الجاه

قلبي يرقبُ كل قوافل عشْقٍ مُبْعدةً

مرَّت من بين شغافي

تتجاوزُ منفاه

لله

امرأةً واحدةً

ما عرفتْ لـ خباء الغزل المُحْدث..

غير حكاياه

لله

امرأةً تشْربُ من وَلَهِي

وَلَهِي لا تغْفلُ عيناه

امرأةً واحدةً

تأخذُ حُبِّي لـ ممالكها

وتُنصِّبني خازنها

والحُسْنُ إذا كشفتْ عَنْ بُرْقعها؛

لا أحدٌ إلا سواىَ يراه

تجعلني وحدي لو حنَّ حديثٌ ..

أصبحُ راويها حتى لا تنساه

فأنا مولاه

لله

كأنِّي " قيسٌ " في وادي الحرمان ،

وما حنَّتْ "ليلاه"

وحروفُ الوجد لدىَّ تضيعُ ..

فمالي لا تفرحُ مُهجٌ لي

أو لا ينطقُ فاه

وأظن مجازي ..

في قاموس العِشْق .. هنالكَ ..

قد تاه

لله

امرأةً واحدةً

لا أملك ذهبًا يُغْريهُن ..

ولا أملكُ مغْزل نسْجٍ

لوعودٍ كاذبةٍ برحالٍ خبَّأناه

وحنينى لا يقوى - بعْدُ - على السَّفر التَّيَّاه

قد تعبتْ قدماه

لله

امرأةً واحدةً

تهْزمني لو وقعتْ عيناها

في عيني

والنَّظراتُ سبيلُ نجاه

لله

امرأةً واحدةً

لا تخْدعُني ضحْكتُها ،

لا تنْقلب علىّ ؛

إذا ضاق العيشُ ،

بكل حياه

امرأةً

لا تغْلقُ هاتفُها الخلويُّ الصامتُ ؛

لو صوتي مِنْ وسط الرنَّاتِ ..

أتاه

امرأةً

لا تنْسى سنواتِ غرامي

لا تنْسى سهْمي المنْقوشَ بجذع الأشجار..

ولا حبِّي ..

حين يحنّ إلى مرفأ ذكراه

لله

امرأةً واحدةً

تنسيني أنوثتُها - عمري المُتْعبَ -

ثمَّ تعيد النَّبعَ الفيَّاضَ

لـ مجراه

ولقلبي اليائس من أفئدة العُشَّاق ..

يشيخُ هواه

فأنا أُحْرمُ عشْقًا ،

وحنينًا؛

وسواىَ تنكَّر للحُبِّ ،

أراقَ دماه

كيف تخلَّف وَجْهٌ قمريٌّ

قد عشتُ لأحلم بـ ضياه ؟

لله

امرأةً واحدةً

يسكنها صَوتٌ رقراقٌ ،

ناعمُ ..

والبسمةُ ترقصُ فوق شفاه

يهتزُّ القلبُ

إذا القرطُ تدلَّى

أو هام بريقٌ في إثْر خُطاه

سيظلُّ هُيَامي

منْقوشًا فوق الجدران ،

وفي الكتبِ الغزليَّةِ..

لم يلقَ عطاياه

حُبُّ الفجْأةِ ما أحلاه

لا عيشَ سواه.

بيني وبين المُنى خَوفي

أ. محمد إبراهيم محمود

أما كفاكَ غيابًا أيُّها الأملُ
تُداعبُ العينَ طَيفًا ثُمَّ تَنعَزلُ

صِرْتَ المُخيفَ بِطيفٍ باتَ يَخذِلُنا
لا طَيفَ نَبغيهِ إلَّا عَنهُ نَنْفَصِلُ

مَدَدتُ لِلحُلمِ كَفِّي جاءَ يَقطَعُها
لا الأرض تَحْمِلُني.. لا الحُلم يَحتَمِلُ

وَسَكَّرَ الخَوفُ في أوكارهِ بَصَري
مَهْما نَأيتُ النَّوى إيَّاهُ لا يَصِلُ

يا مُقْتَفي أثَري عَنكَ النَّوى أَمَلٌ
قد جِئْتَ تَنزِعُ سِترًا فيهِ أعتَزِلُ

قد جِئْتَ تَنفُضُ عن مُضناكَ مَوئِلَهُ
أخِفتَ أنْ يَذهَبَ المأوى أمِ الوَجَلُ؟

مَنَحْتَ وِجْهَتِكَ الأولى إلى أمَلـي
مُنذُ انْصَهَرْتُ بِنارِ الخوفِ تَحْتَفِلُ

وَلَمْ تَزَلْ تَنْهَشُ الآتي وَتَخْنُقُـهُ
وَرُحْتَ تَنْسِفُ ما اليومَ ارْتَجى الوَجِلُ

وَالآن يَقْـذِفُ فِيكَ الوَهْمُ بَذْرَتَهُ
لِيُطْلِقَ الخَوفَ وَحشًا ما لهُ زَلَلُ

أنَّى اتَّجهَتُ وَجَدتُ الخَوفَ مختصمًا
فَليسَ إلَّاهُ مِنهُ يَختَفي الأمَـلُ

كُلُّ الأماني عَنِ الإنسانِ ذاهِبَـةٌ
حتَّى تَجَذَّرَ خَوفٌ فيهِ يَعْتَمِلُ

أحلامِيَ البِكْرُ _مَنْ تَخشاهُ_ تَحْسَبُها
مِن كَظْمِ أوجاعِها بالدَّمْعِ تَغْتَسِلُ

أنا الذي ما قَضى في الأرضِ مِنْ وَطَـرٍ
بَيني وَبَينَ المُنى آمالُ مَنْ رَحَلـوا

عَنِّي نَأى ظِلُّهُ... يَمشِي الأسى قِبَلِـي
لِكَونِهِ الذِّئبَ أَمْ كَوني أنا الحَمَـلُ

كَوني أنا آدمٌ أحْيا على قِيَـمٍ
وَأنتُمُ الجِنُّ.. مِثلي فيكُمُ الأُكُلُ

زَلَلُ: نُقصان

يعتملُ: مِن الفعل اعتملَ، بمعنى ثار واضطرمَ

الوطر: الحاجة أو البُغية

الأُكُلُ: الثَّمَرُ والحَبُّ في الأشجار والنبات

العذراء

أ. مكرم الصويعي

لَمْ نَقْتَرِفْ لُغَةَ الْقَصَائِدَ عُنْوَةً
إِنَّا بِحَجْمِ الصَّمْتِ فِيكَ بَرَاءُ
ضَاقَتْ بِنَا الْأَكْوَانُ فَيْضُ سَمَائِهَا
بِالعَيْنِ أَجْرَى دَفْقُهَا الإِعْيَاءُ
لَا الْمَاءُ مَاءٌ تَشْتَهِيهِ قِرَابُنَا الْ
عَطْشَى وَلَا رَمْضَاؤُنَا رَمْضَاءُ
رَمْضَاؤُنَا أَمَلٌ يُسَافِرُ فِي ظِلَالِ التِّيهِ
جَهْرًا خَطَّهُ الإِمْلَاءُ
آكْتُبْ مَصِيرَكَ بِالدِّمَاءِ مُحَنَّطًا
كَالْوَقْتِ عُمْرًا أَغْرَقَتْهُ دِمَاءُ
تَاهَتْ بِنَا الْأَوْهَامُ يَا لُكَعَ الزَّمَانِ
وَطَوَّحَتْنَا الْعِزَّةُ الْحَمْقَاءُ
نَشْدُو بِهَا طَرَبًا وَتَلْعَقُنِا الْجِرَاحُ
وَإِنَّمَا أَوْجَاعُنَا خَرْسَاءُ
دَاءٌ تَشَكَّلَ فِي عَبَاءَةِ عَاشِقٍ
رَقْصُ الْمُرِيدِ عَلَى الدُّفُوفِ دَوَاءُ
يَا صَاحِبَ الْمَوَّالِ هَاكَ قُلُوبَنَا
فَاعْصِرْ فَإِنَّكَ لِلْقُلُوبِ شِفَاءُ
إِنَّا بِهَا السَّكْرَى بِطِيبِ خُمُورِهَا
نَشْوَى وَذَاكَ فُؤَادُنَا أَشْلَاءُ

لم أعد

أ. وئام عصام ربيع

لَا لَم تَعُدْ تَهِيمُ فِي أَفكَاري .. وَ لَم أَعُدْ أُهدِيكَ مِن أَشعَاري

وَ لَم يَعُدْ قَلبي أَسِيراً عَاشِقاً .. يَشكُو بِذُلٍّ لَوعَتي أَو نَاري

مَا عَادَ سِرٌّ فِي الخَفَاءِ بينَنَا .. فَاليَومَ فَاضَت فِي المَدَى أَسرَاري

أَقُولُهَا بِكُلِّ عَزمي عَالِيًا.. فَاسمَعْ وَ أَنصِتْ إِن أَقُلْ إِنذَاري

اِرحَلْ وَ دَعْ كَلَّ حَيَاتي جَانِبًا .. لَن تُكمَلَ الطَرِيقَ مِن مِشوَاري

بَدَّلتُ دَربي وَ مَسَارَ وِجْهَتي .. لَستَ رَفِيقي اليَومَ فِي أَسفَاري

إِنّي سَئِمتُ مِن وُعُودٍ أُخْلِفَت .. كَفَى بَمَا قَدَّمتَ مِن أَعذَارِ

كَفَى بِجُرحٍ لَا يُدَاوَى نَازِفٍ .. فِي القَلبِ مِن سِيفِ الهَوَى البَتَّارِ

لَيسَ هُنَاكَ مِن غَرَامٍ بَعدَمَا .. رَمَيتَ قَلبي فِي مَدَى الأَخطَارِ

انظُرْ سَتَدرِ مَا جَرَى لأَرضِنَا .. بَعدَ هُجُومِ الجَدْبِ وَ الإِعصَارِ

قَد جَفَّ يَنبُوعُ الهَوَى مِن دَربِنا .. مَا عَادَ يَجرِي فِيه مِن أَنهَاري

وَ سَافرَ الغَيمُ وَ عَزَّ مَاءُه .. فَلَن تَذُوقَ اليَومَ مِن أَمطَاري

وَ الزَهْرُ مَاتَ قَبلَ يَومِ قَطفِه .. فَمَا رَوَيتَ الحُبَّ فِي أَشجَاري

ذَابَت شُمُوسي فِي سُكُونٍ وَ اختَفَت .. ثَمّ تَلَاشَت فِي السَمَا أَقمَاري

وَ النُّورُ قَد صَارَ ظَلَاماً بَعدَ مَا .. ضَاعَ نَهَاري فِي دُجَى الأَستَارِ

حَلَّ الظَلَامُ فِي مُرُوجِ حُبِّنَا .. وَ هَاجَرَ الوُدُّ مَعَ الأَطيَارِ

قَلْ لِي فَكَيفَ الحُبُّ يَنمُو وَ الهَوَى .. وَ المَاءُ جَفَّ وَ انطَفَتْ أَنوَاري

هَا قَد عَلِمتَ عَن عَذَابي وَ الجَوَى .. لَم يَبقَ مَا أُخفِيه مِن أَخبَاري

اِرحَلْ وَ دَعْ مِن ذِكرَيَاتٍ لِلنَوَى .. اِرحَلْ وَ لَا تَسكُنْ رُبَى أَقطَاري

فَاليَومَ أَملُكُ القَرَارَ بَينَمَا .. بِالأَمسِ لَم أَملُكْ عَصَا أَقدَاري

قَد مُزِّقَت كُلُّ العُهُودِ بَينَنَا .. وَ زَالَ حُكمُ قَلبِكَ الغَدَّارِ

إِن كَانَ حُبُّكَ احتِلَالًا ظَالِمًا .. فَاليَومَ ثُرتُ وَ انتَهَى استِعمَاري.

فوق غلالِ براءتها

أ. رمضان عبدالله إبراهيم

من
يُرجعُ طفلًا
جرحتهُ المِنْجلُ
ذاتَ حصادٍ
بالَ على جُرحٍ خلفَ النخلةِ
ليُحاصرَ نافورةَ دمٍ
بأغسطُسَ
يغطسُ في بحرٍ من عرقٍ؟
ربطَ الحبلَ على خاصرةٍ
ليُحزّمَ كوماتٍ من قشٍّ
بقوامٍ هشٍّ
كانَ يُجرّنُ كومًا كوْمًا
ويُسلِّمُهُ لحرور الشَّمسِ
تُحلِّلُهُ من خُضرتِهُ
في زينتهِ يبدو الأصفر
قمحًا أشقر بالشعرِ الذهبيّ

يَغزُّ الفلَّاحَ

ليأتي بالدرَّاسةِ

عيدٌ يغمرُ قلب الدنيا

بغلالٍ

بجدالٍ تلتهمُ الدَّرَّاسةُ أجرانَ القمح

ولكن في إحدى الليلاتِ الخاليةِ من الحظِّ

يغيبُ البدرُ فتلتهمُ نيوبُ الدرَّاسةِ

أخيلتي

وبراءةَ حُلمي

يسقطُ ممتزجًا بالتبنِ

وذرَّاتِ غُبارٍ

يذروها الزَّمن

تطيرُ مع الريحِ

وما أبقت منها الأنغامُ

سوى ذاكرةٍ

تبكي فوق غلالِ براءتها

الـ كانت

تعوي

من يُرجعُ طفلًا

أكلته أنيابُ مدينتنا الصخريَّةِ؟

منْ يُرجعُ

لحنًا كانَ

لقلبِ الطفلِ

الخالي؟

العلم والعقل

أ. عبد الحميد عدريمو

الـــعِـــلْـــمُ وَالـــعَـــقْـــلُ فِي أَزْمَـــانِـــنَـــا بِـــدَعُ

وَالـــجَـــهْـــلُ وَالـــمُـــنْـــكَرُ شَـــابُ تَـــائِبُ وَرِعُ.

كَـــمْ مِـــنْ فَـــتًى صَـــادِقٍ أَتْـــرَابُـــهُ خَـــوَنُـــوا

خَـــانُـــوا الـــعُـــهُـــودَ الَّـــتِي يَـــنْـــتَـــابُـــهَـــا الـــوَجَـــعُ.

تَـــجْـــدْ وَتَـــسْـــمَـــعْ كَـــلاَمًـــا حُـــلْـــوُهُ كَـــذِبُ

فِي مَـــجْـــلِـــسِ الـــلَّـــهْـــوِ وَالأَحْـــزَانُ قَـــدْ تَـــقَـــعُ.

وَالـــزِيُّ زِيُّ الـــمُـــصَـــلِّـــي فِي عَـــبَـــاءَتِـــهِ

وَالـــعِـــطْـــرُ عِـــطْـــرُ الـــمُـــنَـــافِـــقِ الَّـــذِي يَـــضَـــعُ.

هِيَ الـــمَـــوَاقِيـــتُ وَالأَوْقَـــاتُ، لاَ تَـــجِـــدُ

فِـــيـــهِـــمْ وَلاَ مِـــنْـــهُـــمُ مَـــنْ قَـــلْـــبُـــهُ فَـــزِعُ.

أُذْكُـــرْ دَيَـــادِيـــنَ قَـــوْمٍ لَـــيْـــسَ مِـــثْـــلُـــهُـــمُ

إِنْـــسُ مُـــحِـــبٌّ لِـــخِـــزْيٍ كَالَّـــذِي طُـــبِـــعُـــوا.

فَـــكَـــيْـــفَ هَـــانَتْ عَـــلَـــيْـــهِـــمُ عُـــرُوبَـــتُـــهُـــمُ؟

وَدِيـــنُـــهُـــمْ آمِـــرُ فَـــرْدًا وَمُـــجْـــتَـــمَـــعُ.

فَـــلْـــتَـــسْـــتَـــحِي يَـــا يُـــرَاعِـــي مِنْ حَـــقِـــيـــقَـــتِـــهِـــمْ

فَـــالـــعَـــارُ وَشْـــمُ قَـــدِيـــمُ أَهْـــلُـــهُ شِـــيَـــعُ.

أَمَّـــا الَّـــذِي عَـــاشَ حُـــرًّا كَـــيِّـــسًا فَـــطِـــنًـــا

يَـــعِـــشْ كَـــرِيـــمًـــا بِـــثَـــوْبٍ مُـــثْـــرَفٍ دَلِـــعُ.

عالم الفنون

في الشارع ٢٠١٢

(مسرحية قصيرة)

أ. محمد يسري

الشخصيات

(سعاد... عايده.... شادية... فرح... خوخة... سلمى) جميعهم بين ١٠ و ١٤ عاما

المكان

قفر يخلو من العمارة يبدو أنه أسفل كوبري

الزمان

عام ٢٠١٢ م

.....

توجد ثلاث فتيات يفترشن الأرض.. ملابسهم بالية.. وهم سعاد وعايدة وشادية.

تدخل من الجانب الأيمن فرح وسلمي يجريان ثم يستلقيان بجوار الثلاثة وهما تلهثان، توقظ فرح النائمات

فرح: سعاد عايدة إستيقظا

سعاد: ما الذي حدث؟ لكي توقظينا هكذا

عايدة: (تشير إلى سلمى) ومن تلك السنيورة

شادية: يبدو أنها خوجاية

فرح: إنتظرن حتى آخذ نفسي لقد قطع نفسي من الجري

سعاد: وما الذي جعلكما تجريان

فرح: أمرك عجيب أنكون في سباق للعدو. .. نجري من الصبية القابعين عند كوبري المشاة وأخشى أن يكونوا قد لحقوا بخوخة فلم نجدها خلفنا

عايدة: ألم يكف هؤلاء الأشقياء عن ملاحقتنا كلما شاهدونا.. إني ذاهبة إليهم لأخلص خوخة من أيديهم

فرح: إنهم كثيرون ولا تقدرين عليهم

شادية: لماذا لانذهب كلنا ونقضي عليهم مرة واحدة

سعاد: وتأتي الشرطة وتقبض علينا وتعيدنا إلى الإصلاحية.. وأنتم تعرفون ما عانينا فيها

فرح: أو تعيدني إلى زوجة أبي المفترية (تدخل خوخة تلهث)

عايدة: ها هي خوخة افسحوا لها.. إجلسي.. أين كنت؟

خوخه: تتركاني وتذهبا يا جبناء

فرح: كنا نجري سوياً.. أين ذهبت؟

خوخة: تعثرت قدمي في حجر وسقطت على الأرض فكاد أحد الصبية أن يلحق بي.. فاختبأت خلف جدار حتى (تضحك)

سعاد: ما الذي يضحكك؟

خوخه: وهو يبحث عني يمنة ويسارا سقط في بالوعة مكشوفة في وسط الشارع (يضحكون)

شادية: آه لو كان قد لحق بك ياخوخه كان سيفعصك

خوخه: في المشمش

شادية: المهم أين الطعام

خوخه: ها هو(تضع كيس كان بيدها) أحضرت لكم خبز وفلافل ومخلل

عايده: ماهذا؟ خمسة أرغفة ونحن ستة..

فرح: لم نكن نعلم أنه سيأتينا ضيوف.. ثم إن الرغيف بجنيه

سعاد: كيف ذلك. إنه خبز مدعم بخمسة قروش

عايده: إنهم يجمعون الخبز ثم يبيعونه بالسعر الذي يريدونه

شادية: وأين الرقابة؟

خوخه: سلامات يا رقابة

سعاد: إتصلي لي بوزير التموين حالاً

فرح: حاضر.. (تطوي رغيفا وتستعمله كتليفون) ألو.. الوزارة.. إديني يا إبني الوزير... إنه يسأل من المتحدث

الجميع: إحنا الشعب

فرح: مش موجود؟ ومتى يعود؟ العلم عند الله.. لماذا أين ذهب؟.. عندك حق ربنا معاه

سعاد: ماذا؟

فرح: غير موجود

سعاد: أين ذهب؟

فرح: ذهب ليبدل أنبوبة الغاز

الجميع: ربنا يرحمه

فرح: هيا هيا الفلافل سوف تبرد.. كل واحده تقطع جزء من رغيفها وتعطيه ل.. ما إسمك؟

الفتاة: سلمى

فرح: وتعطيه لسلمى

سلمى: لا.. أنا لا أريد أن آكل

خوخه: لابد أن تأكلي كي تستردين عافيتك

عايده: ما الذي آتي بك إلى هنا؟ يبدو من ملابسك أنك بنت ناس

سعاد: تاكل أولاً ثم تحكي لنا

خوخه: الحكاية تبدأ من عندي

سعاد: كيف ذلك؟

خوخه: لقد رأيت الصبية يتحرشون بها ويجذبونها من ملابسها ويحاولون الاعتداء عليها.. فصحت بأعلى صوت.. الشرطة.. الشرطة.. فتفرقوا.. فجذبتها من يدها وعدونا سوياً.. وهذا كل ما أعرفه (تأتها زغطة وهي تأكل وتتكلم.. تضربها فرح على ظهرها) بقى أن (زغطة) تحكي هي

سلمى: أنا إسمي سلمى

شاديه: عرفنا إن إسمك سلمى

الجميع: سلمى يا سلامه آه يا سلمى يا سلامه... وبعدين..

سلمى: أنا من سوريا

الجميع: (بعد لحظة صمت.. وبصوت عال) تحيا الجمهورية العربية المتحدة

عايده : بتقول سوريا.. سوريا

الجميع: آه.. (بصوت خافت) تحيا الجمهورية العربية المتحدة (لحظة صمت)

سلمى: أبي مات

الجميع: الله يرحمه

سلمى: قتله الشبيحة

الجميع: شبيحة من..؟

سلمى: إنهم من تسمونهم البطلجية

فرح: (تصحح لها) البلطجية

خوخه: آه طرف ثالث يعني

سلمى: البيوت تهدمت الرصاص والقنابل لا نعرف من أين تأتي.. هربنا أنا وأمي وأخي. جئنا إلى هنا نلتمس الأمان

سعاد: ألم يقل لكم أحد أن الأحوال هنا على غير ما يرام؟

سلمى: أمي قالت.. مهما كانت الأوضاع بمصر فهي أفضل من أي مكان آخر

عايده: المهم.. ما الذي أوقعك في يد هؤلاء الأولاد.؟

سلمى: كنت أسير مع أمي وأخي.. ووجدنا آنفسنا وسط مجموعات من البشر يتدافعون.. وفجأة لم أجد أمي وأخي وتاهوا مني في الزحام.. أخذت أبحث عنهم وسط هذا الحشد ولكني لم أعثر عليهم ووجدتني وحيدة

شاديه: إذا فأنت تائهة

سلمى: لا أدري كيف أعثر على أمي وأخي

فرح: أنت تأتين تسرحين معي غداً ربما نعثر عليهم

سلمى: وهل أنتم تائهون أيضا؟ (صمت.. ينظرون بعضهم بعضاً)

خوخه: نحن سواح.. نتجول في الطرقات.. بين الخرائب وأكوام القمامة.. سياحة متطورة

سلمى: لماذا لا تبدلون ثيابكم إنها قذرة وبالية..

فرح : تلك ملابس تنكرية.. ما هي البلد في حالة تنكر... كل واحد يلبس الوش الذي يعجبه حسب الشخصية التي يريدها.. حتى أصبحت الناس لا تعرف بعضها.

عايده: بمناسبة هذا الكرنفال وإحتفالاً بقدوم سلمى نطلب من شاديه أن تغني لنا أغنية

الجميع: نعم نعم غني يا شاديه

خوخه: غني لنا غنوة أنغامها حلوه... غني يا مرجانه

شاديه: (تغني) لما كنت صغيرة كانت حياتي سكرة.. والكون في عيني كون جميل

دلوقت ليه متحيره.. والدنيا ليه متغيره.. وفي سكتي تاه الدليل

فرح: أهذا غناء أم نواح؟

شاديه: إذ لم أبكي على حالي فعلام أبكي؟

عايده: دعينا نطل من نافذة ذكرياتك

شاديه: النافذه نطل منها على الحياة.. أما أنا فليس لي نافذة.. إنما أغوص في أعماق الشقاء

سعاد: كلنا في الهم سواء.. هيا اشقينا معك

شاديه: تزوج أبي من أمي (خوخه تزغرد.. وسعاد تعنفها) أسسا المنزل بالقسط.. كل شئ.. الأثاث والثلاجة والفرش.. كان أبي يعمل سائقاً.. جئت أنا وكانت طفولتي في نظري طفولة سعيدة.. رغم الفقر.. فأنا طفلة لا أعي شئ.. وكان صدر أمي ملاذاً لي وأمناً.. كبرت والتحقت بالمدرسة وبدأت أدرك ما يدور حولي من ضيق في المعيشة.. اشترى أبي سيارة أجرة بالتقسيط ليعمل عليها.. وبعد عدة أشهر إعتدي عليه بعض المجرمين واستولوا على السيارة وكل ما معه من مال وتركوه مصاباً.. ورغم ذلك حكم عليه بالسجن لعدم سداد ثمن السيارة وتم الحجز على كل َما في البيت.. وأصيبت أمي بالشلل من جراء الصدمة وبعد فترة وجيزة ماتت.. وأصبحت أنا..... هنا.....

الجميع: (في لحن جنائزي)

عيني عليك يا صبية

من القلوب المفترية

فقد سكنت الرصيف

تشتهي حق الرغيف

خوخه: (تحاول أن تخرجهم من تلك الحالة) هيا هيا الدور على مين.. ألا أونا.. ألا دوي..ألا تري (لعايده) إنت يا سهتانه إنت لا أحد يعرف عنك أي شيء.. إفتحي الصندوق وأرينا ما فيه

عايده: أنا اللي الدهر عاداني وباعني واشترى فيا

وخد أحبابي وإداني

بدلهم ظلم وأسيه

خوخه: الله.. دي غنوه قديمه

سعاد: كفى.. كفى نكتاً للجراح.. دعوا الصناديق مغلقة.. فكل منا لديه صندوق من الآلام.. ودعونا نبحث عن أصل الداء.. والداء فينا.. من أنفسنا.. لو صلحت أنفسنا لصلحت أحوالنا.. وهذا لن يكون إلا بإعلان الحرب على الفقر والجهل والمرض وأن يسود العدل لتستقيم الحياة فلننظر إلى الغد ولا ننظر إلى الخلف بكره هو الأمل

فرح: بكره؟ من الذي يدلنا إليه.. الحنان راح والقسوة ملت القلوب.. وصارت القلوب مثل قوالب الطوب

عايده: دي مشكلتنا وإحنا نحلها.. أهم شئ اننا نساعد سلمى لكي تعثر على أمها.. فمن المؤكد أنها تبحث عنها هي الأخرى

سعاد: ليس هناك حل إلا أن تذهب إلى الشرطة وهم قادرون على البحث عنهم

خوخه: تذهب إلى الشرطة بقدمها؟

فرح: وما في ذلك.. إنها ليست مجرمة ولا متشردة وأكيد سوف يساعدونها

سلمى: وأنتم ماذا ستفعلون؟

عايده: إحنا ربنا يتولانا.. ونجد من يمد لنا يده

الجميع :

مد ايدك خد بأيدي

مش بحسنة وإنت سيدي

أرض بلدي هي وطني

يوم ما أشارك يبقى عيدي

مد إيدك خد بإيدي

مد إيدك..

الفلكلور

أ. ياره محمد ذكي السباعي – نائب رئيس الاتحاد للشئون العلمية

الفنون الشعبية هي نتاج ما تمارسه الشعوب من فنون تعبر عن تراثها الثقافي والاجتماعي والفني، تضم الفنون الشعبية كلاً من الموسيقى، الأدب، الفنون التشكيلية، الفلكلور، وغيرها.

الفلكلور عبارة عن مجموعة من الفنون القديمة والقصص والأساطير التي تخص سكان بلد ما ومن ثم تنتقل من جيل إلى آخر بشكل متوارث، أما في معجم المعاني فالفلكلور يعني الثقافة والفنون والتراث أي كل ما تشتمل عليه بلد ما من حيث العادات والتقاليد الشعبية.

كلمة فلكلور من اصل ألماني، أما باللغة العربية فتعني "علم الشعوب" أو بمعنى آخر "التراث" أي الإرث الذي يرثه الأبناء عن الأجداد. تم توثيق الفلكلور في القرنين التاسع عشر والعشرين وتمت دراسته والاهتمام به. أصبح مصطلح فلكلور شائعاً بعد أن ظهر لأول مرة في عام 1846م من قبل عالم الآثار الإنجليزي سيرجون وليام تومز.

ومن ناحية أخرى عرف الدكتور محمد محمد حسين الفلكلور من وجهة نظر أخرى حيث أوضح أن الفلكلور يشير إلى الدراسات المتعلقة بالشعوب وعاداتهم وتقاليدهم وأساطيرهم ومعتقداتهم بالإضافة إلى الأمثال والأغاني وأشار أيضاً إلى بعض السلبيات المتوارثة إلى الأجيال وهي بعض العادات السيئة والشتائم التي ارتبطت بشكل أو بآخر بالفلكلور الشعبي.

الفلكلور له أشكال عديدة وتختلف من بلد لآخر على حسب عاداتهم وموروثهم، ومن أهم أشكال الفلكلور:

- الشعر الشعبي والنثر والترانيم والرقصات.
- الحكايات والألغاز والنوادر والأغاني.
- الفنون والحِرَف وطرق الكلام الشعبية.
- اللهجات والأقوال السائدة بين الناس.

يرتبط الفلكلور ارتباطاً وثيقاً بالثقافة الشعبية لأنها تمثل الأفكار والآراء والصور التي تجتمع عليها ثقافات الشعوب، ولذلك ينقسم الفلكلور إلى أقسام تبعاً للبلد التي ينتمي إليها مثل: فلكلور شرق أسيا، فلكلور كوري، فلكلور ياباني، وغيرها. هناك تقسيمات أخرى تكون على حسب طبيعة الفلكلور والفنون التابعة له، ومن أبرز أنواع الفلكلور حسب الثقافة الشعبية التي يمثلها:

- **التراث اليدوي**: ويضم الدمى والملابس الفلكلورية الخاصة بالسكان.
- **التراث الشفهي**: ويضم الحكايات والأساطير المتوارثة عبر الأجيال.
- **التراث الثقافي**: ويضم العادات والتقاليد الخاصة بالشعوب.

- **الطقوس**: وتضم الحفلات والمناسبات.

إذن ما هو الفلكلور العربي؟ يعتبر الفلكلور العربي النوع الأغنى والأكثر تميزاً، ويضم الموروثات الشعبية المنتشرة في بلاد العرب مثل: الأغاني الشعبية المعبرة عن عادات الشعوب، الحكايات الشعبية، الرقص الشعبي، الروايات الشفهية، الحكايات التي تروى سير الأبطال والملاحم البطولية، وغيرها الكثير.

هناك أيضاً أنواع مختلفة من الفلكلور العربي، من أشهر هذه الأنواع الغناء الثقيل مثل: الزجل، الجبلة، الموال، التطريب، وغيرها، أما بالنسبة للفلكلور الذي يحكي سير الأبطال مثل: سيرة أبو زيد الهلالي، عنترة بن شداد، وغيرهم، أما الفنون الفلكلورية العربية مثل: الرسم، النقش، النحت، تطريز الملابس، صناعة الدمى، صناعة الحلي، وغيرها، أما الكتب الفلكلورية فمن أهمها: كتاب كليلة ودمنة، كتاب ألف ليلة وليلة الذي يضم العديد من الشخصيات مثل: شهرزاد، شهريار، علي بابا، السندباد البحري، وغيرها.

سنستعرض معاً بعض أنواع الفلكلور الخاص ببعض البلدان العربية:

1- **الفلكلور المصري**: يعود أصل الفلكلور المصري إلى العصر الفرعوني القديم، وتم توثيقه من خلال النقوش والرسوم الموجودة على جدران المعابد، اهتمت الهيئة العامة لقصور الثقافة بالفلكور الشعبي حيث أنه يوجد العديد من فرق الفنون الشعبية التي توثق هذا الإرث. ومن أشكال الفلكلور المصري:

1- **الأغاني الشعبية**: هي لسان الشعب، وأبرز من قدم الأغاني الشعبية في مصر هو سيد درويش من أشهر أغانيه "سالمة يا سلامة" و"يا عزيز عيني"، وأغلب الأغاني الشعبية تكون على هيئة قصة وحوار وشكّلت مشاعر وأحداث واقعية.

1- **الرقص الشعبي**: من أشهر الرقصات الشعبية المصرية: التنورة، البمبوطية، التحطيب، الحجالة، وغيرها، ومن أكثر المناطق التي تشتهر بهذه الرقصات: الصعيد، النوبة، الإسكندرية، مناطق الصحراء الشرقية والغربية، وغيرهم، أما بالنسبة لأشكال الرقص فمنها البدوي والفلاحي وغيرهم.

2- **الملابس**: تعكس الملابس تاريخ وتراث البلد حيث أنه يختلف من حيث الشكل واللون والخامة، ومنها ما هو مزدهر ومنتشر ومنها ما هو مندثر مثل الملاية اللف، اليشمك، الطربوش، والبيشة.

1- **الفلكلور اللبناني**: يتميز التراث اللبناني بأنه يضم العديد من الفنون الرائعة المميزة من هذه الفنون:

1- **الموسيقى اللبنانية**: تعتبر الموسيقى البدوية هي الأكثر شهرة في لبنان وكانت تصاحبها رقصة الدبكة، وبرز عدد من الموسيقيين اللبنانيين الذين وضعوا طابع فلكلوري لبناني مميز منهم الأخوين رحباني، زكي ناصيف، ووديع الصافي، أما بالنسبة للموسيقى الدينية فاشتهرت بالرحبانية الذين ألفوا الأغاني الدينية والتراتيل التي غنتها السيدة فيروز، وبرع أيضاً العديد من المنشدين الذين أنشدوا الأناشيد الدينية الإسلامية معتمدين على الدف والصوت الجميل. أما الآلات الموسيقية المستخدمة فاعتمدت الموسيقى اللبنانية على العود والمزمار والناي فهم من أساسيات الموسيقى اللبنانية، ثم بعد ذلك استخدم القانون والكمان في الموسيقى الكلاسيكية، ومن ثم استخدم الجيتار والبيانو والدرامز.

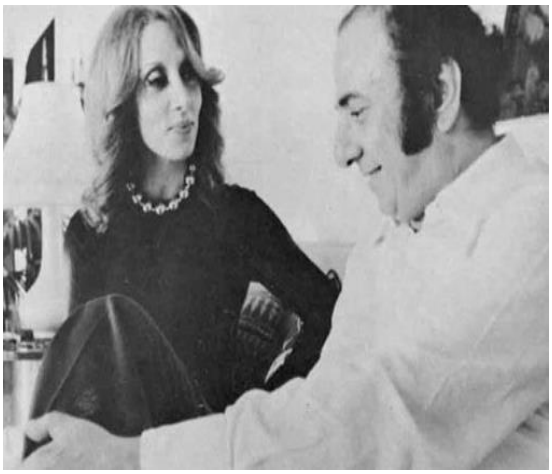

1- **الرقص الشعبي**: الرقص الشعبي اللبناني هو "الدبكة" وارتبطت الدبكة بعادات وتقاليد الشعب اللبناني الذي ورثه من الأجداد. تتميز الدبكة بحركاتها الكثيرة وخطواتها المميزة وتختلف طبقاً للموسيقى. ارتبط الرقص الشعبي "الدبكة" بسكان جبال لبنان والبقاع وبعض قرى الجنوب. لغة الرقص تجسد علاقة حب وثيقة بين الأرض والإنسان. وللدبكة اللبنانية أنواع منها: الدلعونا، الهوارة، البداوية وغيرها وتختلف تأديتها باختلاف الأغنية واللحن، وهناك العديد من الفرق الشعبية التي تعرض رقصاتها الشعبية.

2- **الملابس**: الملابس الشعبية التقليدية اللبنانية تكون عبارة عن: الشروال وهوبديل للبنطال ويكون أكثر اتساعاً وله أشكال مختلفة ففي المنطقة الساحلية يكون منكمش بعض الشيئ وعلى الأغلب ذو لون أسود أما اللون الأبيض منه فيلبس أثناء فترات الرحة والنوم، الحطة وتلبس على الرأس، العقال، العباءة، الطربوش، والطنطور.

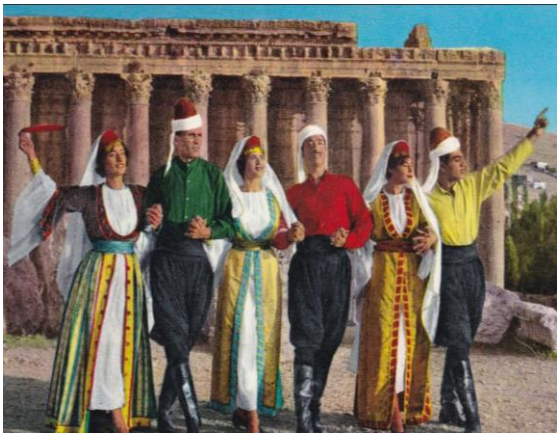

1- **<u>الفلكلور المغربي</u>**: تمتلك المغرب تراثاً عريقاً يشكل انسجاماً وجدانياً بين الشعب المغربي، ومن الفلكلور المغربي:

1- **<u>الموسيقى</u>**: تنقسم الموسيقى الشعبية إلى أقسام كثيرة أهمها فن "العيطة" وهو فن مغربي قديم من عصور سلاطين المغرب وتبلور أثناء فترة الاستعمار، ويعتبر لون غنائي يعتمد على أشعار تحمل معاني مرمزة لا يفهمها إلا أصحاب الأرض كشفرة سرية بينهم ضد العدو، ويرتبط هذا النوع من الفن بالسهول الوسطى للساحل الأطلسي وينتشر في المناطق الفلاحية والزراعية. العيطة كلمة مغربية تعنى مناداة وتنقسم حسب المناطق منها: العيطة المرساوية، الزعرية، الملالية، الحصباوية، وغيرها.

2- **الحِرَف والصناعات**: ازدهرت الصناعت المرتبطة بالعمران كالنجارة، الحدادة، الرخاميات، النحاسيات والفضيات، وفي العهد القرطاجي تطورت الصناعات بشكل كبير وشغلت التجارة معظم النشاط الاقتصادي حيث كانوا يجلبون الرخام، الصدف، النحاس، الكتان، القطن، المعادن، الخشب، الأحجار الكريمة، العاج والعطور من الجزر الإغريقية ومصر وإسبانيا والهند وشبه الجزيرة العربية ويصدرون المنسوجات والأواني الزجاجية والمعادن الثمينة.

2- **الفلكلور السوداني**: يشمل الفلكلور السوداني على العديد من الفنون كفن القول والدراما مما يجعله يلتقي مع الأدب السوداني، يقوم الفلكلور مع الأدب على محاكاة الواقع وتصويره بشكل تجريدي. تختلف وتتعدد الفنون الشعبية السودانية فمنها:

1- **الرقصات الشعبية**: تعود بعض الرقصات الشعبية إلى القرن الثامن عشر مثل: رقصة "الكمبلا"، رقصة "الصقرية"، رقصة العروس، وغيرها وترتبط كل رقصة بمنطقة جغرافية، وهناك بعض الرقصات الخاصة بالنساء مثل رقصة "كليبو" و"شوشنقا".

2- **الآلات التراثية**: من الآلات التراثية السودانية "الدلوكة (الدف)" وارتبطت بالغناء الشعبي منذ القدم وكانت مصنوعة من الخشب ومكسية بالجلد، ارتبطت أيضاً بالأفراح.

1- **الأغاني الشعبية**: تميزت السودان بفنانيها المهتمين بنشر الثقافة والتراث والفلكلور السوداني ومنهم: عبد القادر سالم وعمر احساس.

5- **الفلكلور الصومالي**: تتميز الصومال بتراثها الرائع المميز فتنتشر القصص والأساطير الشعبية بدرجة كبيرة بين الشعب الصومالي في كل مكان، في المساء يجتمع البدو حول النيران المشتعلة عبر السهول ويبدأ الراوي بسرد القصص والأساطير.

1- **الرواية**: تعتبر فن شعبي وأقرب إلى الحياة اليومية، ويبرع الراوي في تمثيل الشخصيات وأدوارها في قصصه لإظهارهم في الحياة الشعبية. أما النسبة لأساطير الحيوانات والرمزيات فتستخدم في قصص الأطفال وتستخدم في تربيتهم وإظهار الأخلاق والشرور والمواقف الاجتماعية كي يتعلم منها الطفل.
2- **العادات والتقاليد**: اعتاد الصوماليون على القيام بنشاطات مختلفة مثل: الصيد، حفر الآبار، زراعة الأرض، إقامة الحفلات وحلبات الرقص.

6- **الفلكلورالأردني**: يضم الفلكلور الأردني مجموعة من الفنون القديمة التي توارثتها الأجيال من خلال الرواية الشفهية أو المكتوبة.

1- **اللهجات**: يتحدث الشعب الأردني باللغة العربية، أما بالنسبة للللهجات فتختلف من منطقة إلى أخرى، تتشابه لهجة أهل الشمال والوسط لتشكل لهجة مميزة بعيد عن اللهجة البدوية، بينما تمتاز مناطق الجنوب والشرق بلهجة أقرب إلى اللهجة البدوية.
2- **الأدب**: ازدهر الشعر والنثر في زمن الامارة، ثم بدأت كتابة الروايات والقصص حتى تم انشاء رابطة الكتّاب الأردنيين عام 1976م.
3- **الموسيقى والرقصات الشعبية**: تنوعت الموسيقى وتنوع الغناء الشعبي مثل: الغناء الريفي، الغناء الفلكلوري، الغناء البدوي، الغناء البحري، السامري، القاصود، الردّيدة، وغيرها، أما بالنسبة للآلات

الموسيقية فمنها الشَّبابة، المجوز، اليرغول، الطبلة، القربة، وغيرها. الرقصات الأكثر شعبية هي الدبكة الأردنية.

1- **الملابس**: تعبر الملابس الأردنية عن ثقافة الشعب الأردني، فتتألف ملابس المرأة الأردنية من: الملفع (العصابة)، أبو ردين وهو بلا أكمام ويلبس فوق قميص، وثوب عبّابي، أما ملابس الرجال فتتألف من: الكبر أو القمباز أو الدشداش، الدامر، العباءة، السروال، لباس الرأس (الشماغ)، العقال، والجناد.
2- **الصناعات اليدوية**: اشتهرت الأردن بالصناعات اليدوية حيث يقوموا بصناعة السيوف والأسلحة التقليدية، التطريز، الخزف، وغيرها.

7- **الفلكلور الجزائري**: التراث الشعبي الجزائري ثري ومتنوع

1- **الحكايات والقصص والأساطير**: تتنوع الحكايات والقصص فمنها قصص الجن الشعبية وقصص البطولات وقصص وحكايات خاصة بالأطفال.
2- **الفنون**: تختلف أنواع الفنون الجزائرية وتتنوع مثل الشعر، المسرح، الموسيقى، الأغاني، الرقصات والاحتفالات والمهرجانات مثل: المهرجان الدولي للموسيقى، المهرجان الوطني للمسرح، المهرجان الوطني الثقافي، المهرجان العربي الإفريقي للرقص الفلكلوري وغيرهم.

3- **الصناعات التقليدية**: تتميز الجزائر بالتنوع في الحِرَف والصناعات مثل: النسيج، الحلي، الخزف، الفخار، صناعة الخشب، النحاسيات، الجلود.

4- **الملابس**: الملابس التقليدية للرجال هي الجلابة وتصنع من الصوف أو الوبر أو القماش فتصلح لجميع فصول السنة، البرنوس ويصنع من الصوف ويلبس في المناسبات الدينية والوطنية والأفراح وعادة ما يكون باللون الأبيض، الخيدوس يصنع من الصوف وعادة ما يكون باللون الأسود أو البني وهو أقل تكلفة لذلك فهو متاح للجميع، الهدون أو العباسي ويصنع من وبر الجمل وهو مخصص للأثرياء فقط ويرجع ذلك لثمنه الباهظ، أما بالنسبة لملابس المرأة فهي لباس الشرق وهو عبارة عن فستان من قماش خفيف ومزركش، فستان الشامية وهو عبارة عن فستان ذات أكمام طويلة ومزين بشرائط من الحرير، الحواق ويكون غالباً باللون الأبيض.

أما بالنسبة للفلكلور العالمي فيختلف عن الفلكلور العربي فنرى معاً كيف يكون الفلكلور العالمي:

1- **الفلكلور البرازيلي**: يعتبر الفلكلور البرازيلي ملتقى الأساطير والحكايات، تحتفل البرازيل بيوم الفلكلور في 22 أغسطس.

1- **القصص والأساطير**: تدور هذه القصص والأساطير حول مخلوقات وكائنات خيالية تعيش في خيال الشعب البرازيلي من القصص والأساطير الأكثر شعبية: أسطورة كوروبيرا (حامي الغابات والنباتات والحيوانات البرية)، أسطورة بينك بوتو، أسطورة ساسي بيري، أسطورة كوكا، أسطورة البغل بلا رأس، وغيرها.
2- **الألعاب**: ويضم الفلكلور البرازيلي أيضاً الألعاب ، من أمثلة الألعاب: إسقاط طائرة ورقية، اللحاق بالركب، بقرة صفراء، عنزة أعمى.
3- **الحفلات والمهرجانات**: أدت بعض الخرافات والأساطير للفلكلور البرازيلي إلى إقامة مهرجانات شعبية تقليدية تقام في مناطق مختلفة من البلاد مثل: مهرجانات يونيو، فوليا دي ريس، سيريو للسيدة الناصرة، وغيرها.

1- **رقصات وإيقاعات**: يعتبر الفلكلور البرازيلي الأغنى من حيث الإيقاعات ومن أمثلتها: سامبا دي رودا، غربال، عصابة، وغيرها.

2- **الفلكلور الشعبي لبنجلاديش**: تتمتع بنجلاديش بتراث تاريخي رائع وغني:

1- **الأدب**: تمتلك بنجلاديش تاريخاً كبيراً من الأدب الشعبي مثل الشعر ومن أشهر الشعراء رابندراناث طاغور وكازي نازرول، الأغاني الشعبية، القصص الشعبية ومجموعة القصص المرتبطة بجوبال بهار وهو مهرج أسطوري يعمل في البلاط الملكي البنغالي في العصور الوسطى وقصصه تتميز دائماً بالحكمة.

2- **الملابس**: يرتدي النساء في بنجلاديش الملابس الغريبة المزخرفة مثل الساري وهو مصنوع من الأنسجة القطنية وقميص سلوار، أما بالنسبة للرجال فيرتدوا الكورتا بيجاما وذلك في المناسبات الدينية واللونجي وهو عبارة عن قميص طويل.

1- **الرياضة**: المصارعة هي اللعبة الوطنية في بنجلاديش ولكن هناك رياضات أخرى أكثر شعبية مثل: كرة القدم والكريكيت، بالإضافة إلى بعض الرياضات الأخرى مثل: الهوكي، التنس، تنس الريشة، كرة اليد، الكرة الطائرة، ألعاب كيرم والكبادي وغيرها.

3- **الفلكلور الأذربيجاني**: يضم الفلكلور الأذربيجاني مجموعة كبيرة من الروايات والفنون التمثيلية.

1- **الأساطير والحكايات**: تعتمد الأساطير على بطولة وحكمة الإنسان التي ظهرت في ملاحم كثيرة مثل: كوروغلو، كتاب دده قورقوت وأسلي وكريم.
2- **الشعر**: يقوم المغنيون والشعراء بأداء الشعر الشعبي الذي يعرف بإسم عاشيق الذي يحكي الحكايات والأساطير الخاصة بهم وكانوا يستخدمون آلة كوبوز الوترية.
3- **الأغاني والرقصات**: من الأغاني والرقصات الأكثر شهرة هي كوسا-كوسا، غودو-غودو، نوروز وكزيدير.

4- **الفلكلور الكوري**: يضم الفلكلور الكوري مجموعة من الفنون والقصص والحكايات القديمة وعادات وتقاليد الشعب الكوري.
1- **الأدب**: ينقسم الأدب إلى أدب كلاسيكي قديم وأدب حديث، من أشهر روايات الأدب الكوري رواية "النباتية" من تأليف هان كانغ ورواية "أرجوك اعتن بأمي" من تأليف كيونغ سوك شين، بالإضافة إلى الحكايات والأساطير مثل حكاية البخيل والثعبان.
2- **الملابس**: الزي التقليدي الكوري هو الهانبوك ويختلف شكله حسب فصول السنة، يرتدون الكوريون الهانبوك التقليدي في حفلات الزفاف والأعياد أما في الأيام العادية فيرتدون هانبوك حديث مناسبة للحياة العصرية.

1- **العمارة**: اشتهر الكوريون بفن العمارة ويرجع تاريخه إلى 30 سنة قبل الميلاد، هانوك هو البيت الكوري التقليدي ويسمى أيضاً بيت جوسون، أما حالياً فتبنى البيوت الكورية على التراز الغربي وتسمى اليانج أوك.

2- **الطعام**: يتميز الكوريون بطعامهم المميز، الكيمتشي هو الطعام الكوري التقليدي ويتكون من الملفوف ومسحوق الفلفل الأحمر والكثير من الملح بالإضافة إلى بعض المكونات الأخرى حسب تقاليد العائلة، يتناول الكوريون طعامهم بواسطة الملعقة وعيدان الأكل وهي عبارة عن زوج من الأعواد الرفيعة ذات طول متساوي.

وختاماً، تفخر كل بلد من بلدان العالم بالفلكلور الخاص بها وبتراثها الذي ليس له مثيل، ورغم اختلاف البلدان، الثقافات، اللغات، العادات والتقاليد، المعتقدات والأديان إلا أن جميع بلدان العالم تتشابه معاً في بعض العادات، الألعاب، الأكلات، وغيرها ولكن يظل الاختلاف فقط هو المسميات.

القصة القصيرة والخاطرة

أ. القصة القصيرة

العاصفة

أ. أمال يسري

يقف خلف النافذة الزجاجية التي تحتل حائطا كاملا من غرفة مكتبه الذي يوحي كل شيء فيه بالرقي والترف، يشبك يديه خلف ظهره بينما عيناه تحدقان بالطريق المقابل، حيث المباني المميزة بأناقتها وبراعة تصميمها، وكان أكثرها أشبه بناطحات سحاب، كالمبنى الذي توجد فيه الشركة التي سافر لأجل أن يكون أحد موظفيها، سحب نفسًا عميقًا وزفر بحرارة، قبل أن يلتفت من وقفته تلك ويتجه بخطى هادئة تجاه مكتبه الذي يتوسط الغرفة بينما توجد خلفه مكتبة تحتل حائطا كاملا وجزءا كبيرًا من الحائط المجاور، وقف في المكان الذي يفصل بين المكتبة وكرسيه بينما يديه في جيبي بنطاله، وابتسم ابتسامة هادئة حينما داعبت رائحة الكتب العتيقة رئتيه، وتساءل بينه وبين نفسه، «ماذا لو كانت ابنتي نغم هنا الآن!؟، بالتأكيد كانت قد غرقت بتلك المكتبة ولن أستطع إزاحتها أبدا، فدائما رائحة الكتب تجذبها؛ خاصة تلك الكتب القديمة والأدباء العظماء، فهي ترى ما خطته أيديهم كنزا يستحق أن يكتب بماء الذهب حيث تتعلق حروفهم بجدار قلب القارئ ولا يزول عبقها»، التفت ليجلس على كرسيه الجلدي الأسود الوثير، تنهد بعمق وزفر وهو يستند بيديه على المكتب، بينما تداعب مخيلته صورة ابنته البكر وأخيها المدلل يزن وجميلته الفاتنة أم ابنيه، زهرته البرية، نورا، فتح حاسوبه ، يتأمل صورتهم التي تحتل الشاشة الرئيسة له، لمس الشاشة بيده وكأنه سيصل إليهم عبرها، اشتاق لهم كثيرا بل وكأنه فارقهم منذ دهر وليس فقط منذ شهر، تعلقت عيناه بعيني زوجته الحبيبة، فارتسمت على ملامحه ابتسامة شاحبة وصوتها يصدح برأسه، «لا، لن تسافر وتتركنا، تعلم جيدا بأني ضد تلك الفكرة وإن كان عليك السفر إذن خذنا معك»، أجابها مبررا «لا أستطيع حبيبتي، الأمر صعب» ،أجابته بنفاد صبر «بل أنت لا تريد، كيف ستتركنا وحدنا هنا؟، أنا لا أستطيع ذلك، كن معنا أو نحن معك» قال وهو ينظر بعينيها «أنتِ هنا بأمان، هناك هل سأفكر بالعمل أم بكم؟»

ضحكت بمرارة وقالت «ليس مبررا»

فأجابها مدافعا «بل أحاول شرح الأمر لكِ»

قالت معترضة «لا أريد شرحا، وجودك جانبنا ضروري، لا أستطيع تحمل الحياة وحدي، إنها لمسؤولية كبيرة»

قال وهو يمسك ذراعيها «أنتِ قادرة على تحملها، حبيبتي تلك غربة وسيكون معظم وقتي بالعمل، لا أريد أن تعيشي بغربة»

أجابته وملامح وجهها تتألم «بل تغالط نفسك، فأنا أعيش بغربة منذ سنوات، منذ تركت بلدي وأتيت هنا معك، لكن الأمر لم يكن صعبا لأنه كان مختلفا فأنت معي، فتلاشت غربتي، أما الآن فغربة دونك »

ابتلع ريقه الذي جف فكان كأشواك تجرحه، حاول أن يتحكم بانفعالاته ثم قال وكأنه لم يسمعها «فلتتحملي معي، أنا أيضا سأكون بغربة دونكم والأمر كما هو صعب عليكم فهو مُر أيضا لي»

قالت وهي تزيح يديه عن كتفيها «بيديك تغيير الوضع وتأخذنا معك؛ أنت تستطع فعل ذلك، لكنك لا تريد، بالأحرى أنت تريد حياة هادئة دون مسؤولية هناك، سافر ولا تلتفت إذن، لا فائدة من النقاش».

أسند رأسه على رأس كرسي مكتبه بينما يداه تفك ربطة عنقه التي تخنقه، مسح على صفحة وجهه بإرهاق وزفر بصوت عال، يشعر بالشوق والحنين لهم بل لها، لزوجته التي منذ سفره لم تحدثه مرئيا كما يفعل أبناؤه، مجرد كلمات مقتضبة ترددها عبر الاتصال الذي لا يتعدى ثواني حين يهاتفها، يعلم لديها حق، أحيانا يشعر بأنه أخطأ فقد كان بمقدوره أن يأخذهم معه لكنه اختار الأسهل، هل له حق أن يطلب منها أن تنسى نقاشهم الحاد في اليوم الذي سبق سفره؟؛ وأن حديثها كله كان صحيحا لكنه تغاضى عن ذلك.

يشعر بثقل على قلبه؛ يكاد يخنقه، لم يحس بفرحة هذه الوظيفة، رغم أنها مكانة يحلم بها الكثيرون، الفرع الثاني للشركة الأصلية التي كان أحد كبار موظفيها، هل كان حقا بحاجة للسفر إلى هنا دونهم؟، أفكار كثيرة تدوي بعقله، وزادت عليها تلك الأخبار التي ظهرت على الساحة والتي تؤرقه، كورونا!؛ مازال كل شيء مبهما، تنهد بصوت عال وهو يعود لشاشة الحاسوب كي يلقي نظرة على الأخبار الجديدة، فرك جبهته بقوة واجتاحه صداع يكاد يفتك برأسه، فلقد باتت أخبارها تؤرقه، حيث إن الأخبار لا توحي بهدوئها، بل الأمر بدا مخيفا، أثار تحفزه، وأثار الريبة بقلبه هكذا بل وقلقه الذي لا يعلم لما زاد هكذا، أعاد نظره مرة أخرى يتأكد من الأخبار التي تؤكد أن كورونا بدأت تزحف خارج موطنها الأصلي!، كأن الكلمات أمامه مبهمة، هل هذه مجرد رؤوس عناوين صاخبة؟، لا، لا، تلك حقيقة لكنها بعيدة عنه، أين هو وكورونا تلك؟!، نفض عنه كل ذلك، وهو ينظر لساعته الأنيقة، هز رأسه بيأس؛ لقد شرد كثيرًا وعليه أن يخرج الآن ليكون بطريقه إلى العودة من عمله.

ما لبث أن جمع أوراقه كي يضعها بالحقيبة الخاصة به، حتى سمع رنين اتصال هاتفه بنغمة خصها لابنته!، انشرحت ملامحه، وهو يرد عليها ببشاشة، وصوته الذي يهتف باسمها بشوق كما لو كان يعزف حروفها حرفا حرفا، هكذا هو دائما منذ جاء إلى هنا، يفيض قلبه بأشواقه لها ولأخيه وبين طياتها يحمل شوقا جارفا لرفيقة عمره عله يصلها بين حديثه الذي يطول كل مرة مع ابنته.

صوتها المرتجف، حروفها المرتعشة «أبي» وكأنها تناديه، تترجى قربه، أنفاسها المتهدجة، كانت كلها قادرة على انتزاع بسمته من على شفتيه، سألها بقلق ولهفة، «نغم، ما به صوتك؟».

بعد لحظات طوال مرت عليه كدهر، ردت بصوت حاولت أن يعود هادئا «لا شيء، فقط افتقدتك»

هز رأسه غير مصدق، هناك شيء يلوح بالأفق، هو لن يتيه عن صوت ابنته.

سألها مرة أخرى، وأعاد السؤال مرات عديدة، حيث يصله حديثها غير منظم، تتلعثم بحروفها، كانت تريد أن تقول شيئا وتراجعت.

وفي خضم حديثهم همست «أبي»

أجابها بخوف «قلب أبيك، طمئنيه»

همست بألم «تمنيت ألا أخبرك، لكن هذا حقك»

صمتت وهو ينتظرها أن تكمل، يكاد يهشم القلم الذي يدق به على المكتب بقلق، فحثها على الحديث «أسمعك»

صوت بكاء هادئ كان كفيلا بشق قلبه، وهي تجيبه فكانت بالنسبة له كأنها تتحدث من بعيد جدا، كالحلم، عيناه تنظر للخبر على حاسوبه الذي أعاد فتحه «تم تعليق رحلات الطيران أو أي وسيلة لعبور الحدود بين الدول حتى إشعار آخر»، يعود لينظر في الفراغ أمامه، أنفاسه تتهدج، وصوت نغمته يأتيه شجنا «كورونا، زارت بيتنا يا أبي».

★ تمت ★

بني آدم

أ. أحمد سليمان أبكر

جثم الليل في مجثَمه ونشر أجنحته السود على الكون بأجمعه، فهجع تحت ظلالها الأحياءُ جميعًا من بشرٍ وحيوانٍ، ولم يبقَ ساهرًا وسط هذا السُّكون المخيِّم إلا عيناها تديرهما ها هنا وها هنا، فتنظر بهما تارةً أمامها وأخرى وراءها؛ لترى هل ترصّدها أحد أو يتأثَّر بحركاتها وأعمالها، وتقلِّبهما أحيانًا في صفحة السماء، فترى عيون النجوم محدّقةً فيها، فيُخيَّل إليها أنها عيون القدر ناظرةً إليها نظرات الوعيد والتهديد، وكأنّ صائحًا يصيح بها من جوانب الملأ الأعلى: اصنعي ما تشائين أيتها الضبعة المتربصة، واكتمي عملك عن عيون الخلق جميعًا، فإني ناظرٌ إليك ومسجّلٌ عليك هذه الجناية العظمى التي ستجنينها على نفسك.

فجأة هبّت ريح شديدة، جعلتها تركض هنا وهناك؛ علّها تجد مكانًا تأوي إليه، لكن دون جدوًى، فتوقفت بجانب صخرة كبيرة واستندت إليها حتى التقطت الأنفاس. وبعد أن سكنت الريح وصفت السماء وبدأ القمر الذي هو خارجٌ لتوّه يرسل أشعته الفضية، واصلت بحثها عن شيء تقتات به، وبعد ساعات من البحث أحسّت بالإعياء فآوت إلى مغارة صغيرة بين الصخور، ولم تزل فيها حتى حلّق طائر الكرى فوق أجفانها، فاستلقت على الأرض وأسلمت نفسها إلى نوم عميق لم يوقظها منه إلا ضوء الصباح، فنهضت وخرجت من مرقدها تواصل البحث عما تسدّ به رمقها وقد اشتد بها الجوع، سارت تعلو النجاد وتهبط الوهاد وتطوي القفار التي تتخلّلها بعض الشجيرات هنا وهناك، فإذا لاح لها ظلّ وارف من ظلال تلك الشجيرات أوت إليه فاستراحت قليلًا ثم عادت إلى شأنها، وكذلك حالها حتى مالت الشمس عن كبد السماء، وانتهت إلى نهر موسمي صغير، فنزلت إلى بركة من بركه المتبقية لتروي ظمأها، لكنها لم تقوَ على كرع الماء لشدّة جوعها، وقد شعرت أن الأرض الفضاء تدور بها، وأن الشمس قد لبست قناعَها الأسود فما ترى شُعاعًا من أشعتها، وأن فرائصها ترتعد وتصطكّ فما تكاد تحملها، فتراجعت إلى جذع شجرة قائم وراءها فأسندت صفحتها إليه حتى هدأت قليلًا، ثم ألقت بجثتها المنهكة على حافّة البركة الرطبة، حتى دبّ فيها قليل من النشاط، ثم قامت مترنّحة تتمشّى على حافّة النهر علّها تعثر على شيء تقتات به، فإذا بآدمي مغشيٍّ عليه وقد جفّ جسده من شدة العطش، اقتربت منه، دارت حوله دورتَين، ثم أمسكت بطرفه، وأخذت تجرّه إلى حافّة البركة، وبينما هي كذلك إذ مرّ بها ثعلب فسألها مندهشًا:

ماذا تصنعين يا أم الضباع؟

فأجابت:

لقد وجدت هذا الآدمي، لكنه جافّ الجسم، فأريد أن أبلّه بالماء حتى يلين فآكله.

قهقه الثعلب وقال لها:

لو أنك تسمعين نصيحتي، كليه جافًّا هكذا.

فنظرت إليه شزرًا ثم قالت:

منذ متى يُسدي الصغار النصح للكبار، هيا اذهب إلى حال سبيلك يا آكل الدجاج.

قهقه الثعلب ثانية:

وقال لها ساخرًا:

يا لك من حمقاء؛ تجهل دهاء بني آدم ومكرهم وعدم افتقارهم إلى الحيل في قلب الأمور لصالحهم.

ثم انصرف إلى حال سبيله.

وصلـت إلى حافّة البركة، رشّت جسد الآدمي بالماء، انتظرته حتى يبتلّ، فتح الأخير عينيه بحذر شديد.. رآها رابضة بجواره.. استجمع قواه.. تحسّس خنجره في ذراع.. أخرجه بهدوء.. باغتها بطعنة قاتلة.. أرداها قتيلة في الحال.

حكمة زوج[1]

أ. أسامة كامل أبو شقرا – نائب مدير مكتب كندا

في أوائل سبعينيّات القرن العشرين، كان سامي في أوائل العقد الرابع من سنوات العمر، حين جمعته الأقدار يومًا بدانية في منزل فادي، وزوجته فداء، اللذين كانا من أعزّ أصدقائه. ثم تكرر ذلك اللقاء مرات عدة وفي مناسبات وأماكن مختلفة. ولم يكن أيٌّ منهما يعلم يومها أنّ تلك اللقاءات كانت مدبرة من ذَينك الصديقَين، ما اكتشفاه بعد زمن.

دعاها يومًا إلى الغداء في أحد المطاعم. وتكررت بعد ذلك لقاءاتهما منفردَين. وبعد نحو الشهرَين من لقائهما الأول، قال لها: إنّني لم أزل عازبًا، كما ترين، ولكنّني بصدد البحث عن الفتاة التي ستكون شريكة حياتي، فإن لم يكن لديك أيّ ارتباط، فما رأيكِ في أن تكون لقاءاتنا التالية وكأننا في فترة خِطبةٍ غير معلنة، فيدرس كلٌّ منا أخلاق وصفات الآخر، إلى أن يأخذ قراره، فإما الفراق كصديقين أو العيش معًا تحت سقفٍ واحد؟

قالت: لا بأس، ولكن آمل ألّا تمتد هذه الفترة لأمدٍ طويل، ما قد يعرضني « للقيل والقال»، بمفهوم مجتمعنا.

قال: أعدكِ بذلك.

ولم تمضِ ثلاثة أشهر على ذلك الوعد، حتى أصبحا زوجين يعيشان في مسكنهما الخاص. وكان زواجهما مما يُطلق عليه الكثيرون، اسم «زواج العقل».

وبعد مدة قالت له دانية: ما رأيك يا زوجي العزيز، في أن نستعين بخدمات امرأةٍ ممن يعملن في تنظيف المنازل، ولو مرةً في الأسبوع؟

فأجابها سامي: بالتأكيد، لا مانع لدي.

---

[1] قصة من الواقع عرفت أشخاصها بنفسي. أما الأسماء فهي مستعارة.

فقالت: إنّني أعرف واحدة منهنّ تُدعى سعيدة، كانت والدتي تستعين بها من حين إلى آخر، وكذلك تفعل صديقتي ليلى التي أكدت لي بأنّها أمينة، وأنها كثيرًا ما كانت تتركها وحيدة في المنزل، لقضاء بعض حاجاتها خارجه، وأنّها لم تفقد يومًا شيئًا من موجودات منزلها. كذلك أكدت لي والدتي بأنّها لم تلحظ عليها أيّ إشارة تدلّ على سوء الائتمان.

فقال سامي: لا بأس، بإمكانك أن ترسلي في طلبها متى شئتِ، فأنتِ ربّةُ هذا المنزل.

وفي أحد الأيام، وبينما كانت سعيدة تقوم بعملها في المنزل، قالت لها دانية: سأذهب الآن لقضاء بعض الحاجات، وسأعود قبل أن يعود زوجي للغداء. وإن سمعت جرس الهاتف فأرجو أن تجيبي وتسألي عن اسم المتصل. وقد كانت شبكة الهاتف الآليّ حتى أوائل تسعينيات القرن الماضي وسيلة التواصل الوحيدة بين الناس في لبنان.

ولكن، بعدما أنهت مهامّها، وكانت قريبة من مركز عمل زوجها، وقد قارب وقت عودته إلى المنزل، عرّجت دانية على مكتبه ليعودا معًا.

وبعدما اجتازت قدماهما عتبة المنزل وألقيا التحية على سعيدة، سألتها دانية عما إذا كان أحدهم قد سأل عنها هاتفيًّا؛ فأجابتها قائلة: أجل لقد اتصل سميرٌ طالبًا محادثتكِ.

فقالت دانية: أمتأكدة أنتِ أنّه طلب محادثتي أنا أم زوجي؟

قالت سعيدة: بل طلب محادثتكِ أنتِ.

فنظرت دانية إلى زوجها، لتقول له بأن في الأمر خطأً ما أو سوء فهم؛ فإذا بها تراه غير مبالٍ، وكأنّ الأمر لا يعنيه.

وفي الأسبوع التالي، أتت سعيدة صباحًا كالمعتاد، ولم يكن سامي قد غادر المنزل بعد. ولمّا جهزت دانية للخروج معه، قالت لسعيدة: نحن مدعوّان إلى الغداء لدى أحد أصدقائنا، وسيصحبني زوجي بسيارته إلى السوق، لأنتقي هديّة للمناسبة، وبعد ذلك سألتحق به في مكتبه لنذهب معًا، وسنعود إلى المنزل قبل أن تُنهي أنتِ عملك.

وفور عودتهما بادرت دانيةُ بسؤالها المعتاد عن المكالمات الهاتفية، فأجابتها سعيدة قائلة: أجل لقد اتصل اليوم أيضًا، سمير نفسه طالبًا التحدث إليكِ.

وقبل أن تنطق دانية ببنت شفة، فُوجئت بسامي وهو يمسك سعيدة من يدها ويجرّها إلى حيث جهاز الهاتف، ويرفع السماعة ويضعها على أذنها ويسألها عما إن كانت تسمع أي صوتٍ. ثم ينحني قليلًا ويمسك بسلك الجهاز ويضعه أمام عينيها ويردف قائلًا: أترَين؟ الجهاز مفصولٌ عن الشبكة، فمن أين جاءتكِ تلك المكالمة؟

عندئذٍ، ثارت ثائرة دانية وصرخت في وجهها قائلةً: ماذا دعاك إلى هذا الكذب؟ أتريدين أن تخربي بيتي؟ فلماذا فعلتِ ذلك؟ ومن دفعكِ إليه؟

ولما حاولت الاقتراب منها وقف سامي بوجهها وضمها بين ذراعيه وهدّأ روعها. عند ذلك جثت سعيدة على ركبتيها تطلب منهما المعذرة وتقسم بأنّها لم تكن تريد أذيّة السيدة دانية، وأنّ جُلَّ ما في الأمر أنّها اختلقت هذه الكذبة كي لا تبقى وحيدة فتُسئِمها الوحدة.

فصاحت بها دانية قائلة: اذهبي إلى الجحيم لا أريد رؤيتك بعد اليوم. وطردتها شرَّ طردة. وبعدما رمت لها أرضًا أجرها وما يخصّها من متاع، صفقت باب المنزل خلفها بقوة، فكان لذلك صوتٌ كدُويّ انفجار قنبلة. ثم ارتمت على صدر زوجها باكية والدموع تسيل من مقلتيها وهي تردد: شكرًا لك يا إلهي وشكرًا لك يا زوجي الحبيب. فضمّها سامي ويداه تمسحان دموعها ورأسها، إلى أن هدأت واستعادت رشدها. فسألته قائلة: بالله عليك، كيف ومتى فصلت الجهاز عن الشبكة، ولماذا؟

قال: لقد قمت بذلك على غفلة منكما صباحًا قبل مغادرتنا المنزل، أمّا لماذا؟ فقد خالجني إحساسٌ داخليٌّ، في الأسبوع الفائت، بأنها كانت تكذب، فرغبت في أن أبيّن كذبها لأستأصل بذور الشكّ من نفسكِ قبل نفسي، ثمّ إنّ دعوتنا إلى الغداء في منزل صديقينا فادي وفداء، كانت بإيحاءٍ مني إليهما.

قالت: أقلتَ من نفسي أنا أيضًا؟

قال: أجل. فهناك احتمال -ولو ضئيلٌ جدًّا- أن تأوّلي يومًا كلامًا أو فعلًا قد يصدُر عنّي، وعن غير قصدٍ، بأنّه ناتج عن شكٍّ يساورني في سلوكك.

قالت: وماذا عنك أنت؟

قال: أنا إنسانٌ، وكل إنسانٍ معرضٌ للخطأ، وما الكمال إلّا لله تعالى؛ فقد يصدر عنّي -في ساعة غضبٍ- كلامٌ ينمُّ عن ومضةِ شكٍّ في بعضِ سلوكك. هذا ومن عادتي، أنّي في كلِّ مرة أسمع فيها نبأً فيه بعض الشرّ أسترجع دومًا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[2].

عندئذٍ، ضمّته بشدة وقالت: الآن فهمت يا حبيبي سبب تجاهلك كلام تلك المرأة اللعينة في الأسبوع الفائت، كما عرفتُ سبب ذلك الحدس الذي كان يُشعرني دومًا إبّان فترة تعارفنا القصيرة بأنّك ستكون أنت قدري في هذه الحياة، أدامك الله لي سندًا مدى العمر، بحلمك وعقلك الراجح.

[2] الحجرات (6).

أحلامٌ قصيرةُ الأَمَد

د. عمار البرهان – الفائز بالمركز الأول في مسابقة مكتب السودان

قُربَ إحدَى القُرَى الوَادِعَة الهَانِئَة والمَغرُوسَة في مَكَانِها مُنذُ القِدَم يَقِفُ الجَبَلُ المُقَدَّس مَعلَماً شَامِخَاً تَنجَذِبُ إليهِ الأبصَارُ، تَتَسَامَى القِمَم دَائِمَاً نَحو الأعلَى كَمَا النُّجوم اليَانِعَة بَينَمَا تَغوصُ الجُذور إلى بَاطِنِ الأرض بَاحِثَةً عَن الثَّبَاتِ كَحَالِهَا الذي جُبلت عَلَيهِ مُنذُ بَدءِ الخَلِيقَة، وبَينَ القِمَمِ والجُذُور تَمتَدُّ عَلَاقةٌ قَوِيَّةُ الأوَاصِر وِفقَ سُنَنِ الكَونِ المُتَمَاسِكَة التي لَا تَقبَل فَكَّ الارتِبَاطِ بِأيِّ حَالٍ، الحَيَاةُ هُنَا لَم تَنشَأ مِن العَدَمِ كَمَا يَعتَقِدُ البَعضُ ولَكِنَّهَا تَحَدَّرَت مِن أُصُولٍ رَاسِخَةٍ وعَمِيقَة، لَا شَيء يَمنَع الأُمنِيَاتِ مِن التَّحَوُّلِ إلى وَاقِعٍ فِعلِيٍّ سِوَى المَشِيئَة الإلَهِيَّة وفي هَذا المكَان المُدهِش تَتَسَلَّقُ الأحلَامُ اليَومِيَّة سِيقَانَ الشُّجَيرَاتِ الرَّقِيقَة لِلهَواء فِي مُحَاوَلةِ الصُّعُودِ إلي الأعلَى حَيثُ تُحِبُّ غَالِبَاً أن تَبقَى عَلى رُؤوسِ الأشهَاد، كُلُّ مَا يُمكِن أن يَرَاهُ النَّاسُ في أحلَامِهِم يَظَلُّ في الحَقِيقَة جُزءاً أصِيلَاً مِن تَطَلُّعَاتِهِم أو مِن وَاقِعِ حَيَاتِهم المُعَاش، وهَذه الرُّؤى تَتَّخِذُ في تَقدِيرِهِم هَذا المَسَار المُتَصَاعِد في كُلِّ لَيلَةٍ بِإيقَاعٍ رَتِيبٍ لِتَصنَعَ سَقفَاً شَاهِقَاً يَنفَرِجُ كَمِظَلَّةٍ عَظِيمَةٍ فَوقَ فَضَاءِ الكَون، يَلتَقِي الجَمِيعُ مَعَاً حِينَ يَخلَعُ اليَومُ عَبَاءَةَ اللَّيلِ مِن عَلَى كَتِفَيه، يَتَقَابَلُون في الحُقُولِ والأسوَاقِ أو عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيق لِيُلقُوا بِالأحمَالِ الثَّقِيلَة عَن عَوَاتِقهم، يُرِيحُوا أنفُسَهُم ويُحَدِّثوا بَعضَهُم البَعض عَن الوَقَائِع ومجرَيَات الأُمُور، ويَشمَلُ ذَلِك مَا رَأوه في أحلَامِهِم التي يَتَقَاسَمُونَها مَع لَيَالِيهم الطَّوِيلَة، يَمضُغُون الحَكَايَا الكَثِيرَة ولا يَقدِرُون عَلَى ابتِلَاعِهَا فَتَجرِي مُنسَابَةً عَلَى ألسِنَتِهِم، وهُم يُطلِقُون العَنَانَ لِلكَلِمَاتِ وِفقَاً لِأسَالِيبِهم الغَرِيبَة والمُذهِلَة في الوَصفِ..

الوَقتُ المِلِيءُ بِاللَّحَظاتِ يَفِيضُ بالأحدَاثِ الجَسِيمَة ثُمَّ يَسِيلُ عَلَى حَوَافِّ مَجرَاه المَعرُوف، تَتَّخِذُ الشَّمسُ مَوقِعَهَا المُعتَاد وهي مَائِلَة ومُتَّكِئَة بِهدُوءٍ عَلى صَفحَةِ السَّمَاء الزَّرقَاء لَا يَعنِيها شَيءٌ ممَّا يَدُورُ عَلى الأرضِ، والنَّهَارُ الذِي قَد شَارَفَ عَلَى نِهَايَتِه يُشعِلُ قُلُوبَ الكَائِنَاتِ ويَملَأُهَا رَغبةً في العَودَةِ إلى مَسَاكِنِهَا، يُخَيَّلُ لِلنَّاسِ مِن فَرطِ أشوَاقِهم أنه بإمكَانِهم احتِسَابُ الخطوَاتِ التي فَصَلَت بَينَهُم وبَينَ دِيَارِهم وأخَذَتهُم بَعِيداً عَن أحلَامِهِم اللَّيلِيَّة التي تَنتَظِرُهم بِفَارِغِ الصَّبرِ في كُلِّ مَسَاء، كَانَ العَهدُ القَوِيّ الذي قَطَعُوه فِيمَا بَينَهم قَد بَلَغ مَرحَلَة الالتِزَام الكَامِل وهو (الإفصَاح) التَّام عَمَّا يَرَونَه في مَنَامِهِم كُلّ لَيلَةٍ بِأمَانَةٍ وصِدقٍ دُونَ أن يَستَبقِي أحَدهُم شَيئَاً مِن رُؤيَاه في نَفسِه أو يَحجُبهَا عَن البَقِيَّة، يَتَشَارَكُون الأحلَامَ سَوِيَّاً كَأنَّهم (نَفسٌ) وَاحدَة تَقطُن في دَوَاخِلِ كُلِّ هَذه الأجسَاد، يُؤمِنُون بِأنَّ النَّاسَ يَتَشَابهُون فأيّ وَاحِدٍ عَلَى أَقَلِّ تَقدِيرٍ يَمتَلِك المَكَوِّنَات ذَاتهَا التي تُشَكِّل البَشَرَ، سِمَاتُهم في هَذا الجَانِب مُتَسَاوِيَة، كُلّ انسَانٍ لَه عَينَان وقلبٌ وَاحِدٌ ونَفس عَدَدِ الأطرَافِ ويَستَخدِمها بِالطَّرِيقَةِ ذَاتها، يَعتَقِدُون أنَّ الآخَرِين في الأطرَافِ المَجهُولَة مِن هَذا العَالَم لا يَختَلِفُون عَنهُم كَثِيراً ويُماثِلونَهم إلى حَدٍّ بَعِيدٍ، يَتَصَوَّرُونَهم بِالصِّفَاتِ نَفسهَا التي تُمَيِّزهُم عَن سَائِرِ المَخلُوقَاتِ الأُخرَى في هَذا الكَونِ الشَّاسِع..

تَتَراكَمُ السَّنَوات شَيئاً فَشَيئاً فَوقَ بَعضِهَا كَذَرَّاتِ التُّرابِ عِندَ السَّفحِ الصَّخرِيّ لِلجَبَلِ المُقَدَّس، ولَم يَجرُؤ أحَدهُم يَوماً عَلى خَرقِ مَا بَينهم مِن عَهدٍ ومِيثَاق لأنَّهُم يَعلَمُون العَواقِبَ المُتَرَتِّبَة عَلى ذَلِك، ظَلَّت الحَكَايَا النَّاتجَة عَن كَثرَةِ الأحلَام المَروِيَّة تَنمُو في أكوَامٍ كَبِيرَةٍ مِثل تِلَالِ الرَّملِ مَجدُولَة الضَّفَائِر والمُنتَثِرَة فِي هذه الأرجَاء، تَدَافَعَت الأيَّامُ خَلفَ بَعضِهَا سِرَاعاً في تَوَالِيهَا كَحَبَّاتِ المِسبَحَةِ فِي يَدِ شَيخٍ وَقُور، إلى أن حَلَّت عَلى القَريَةِ تِلكَ اللَّيلَة الرَّهِيبَة قَادِمَة مِن رَحِمِ الزَّمَان الذي يَعُجُّ بِالمُفَاجَآت، غَامِضَة كَمَولُودٍ جَدِيدٍ لَا يَعلَمُون الكَثِيرَ عَن خِصَالِه التي قَد يَكتَسِبهَا خِلَالَ حَيَاتِه المُقبِلَة، كَانَت لَيلَةً مَلِيئَةً بِالحَذَرِ كَمَا وَصَفُوهَا لَاحِقاً لأبنَائِهم وأحفَادِهِم، كُلٌّ وَاحِدٍ مِنهُم اجتَهَد في التَّعبِير عَنهَا بِقَدرِ طَلَاقَةِ لِسَانِه ومَقدِرَتِه عَلى الرَّكضِ خِلَالَ مِضمَارِ اللُّغة، لَكِنَّ هَذه الرِّوَايَات الشَّفَاهِيَّة المُتَدَاوَلَة عَلى نَحوٍ واسِعٍ لِمَا حَدَث بَدَت مُشتَمِلَةً عَلى الكَثِيرِ مِن التَّنَاقُضَات وكَأنَّ رِيشَةَ رَسَّامٍ قَد وَضَعَت مَعَالِمَ تَفَاصِيلِهَا بِاستِخدَامِ طَرِيقَةِ التَّضَاد في الألوَانِ والظِّلَال..

في تِلكَ اللَّيلَة المَعنِيَّة تَجَمَّعَت السُّحُبُ الدَّاكِنَة مِن كُلِّ حَدبٍ وصَوبٍ، تَحَرَّكت أسرَابُ الرِّيَاح الهَوجَاء مِن جَوفِ الصَّحرَاء واهتَزَّت البُيُوتُ الصَّغِيرَة مُرتَجِفَةً بِمَا فِيهَا، انطَفَأت القَنَادِيلُ المُضِيئَة وكأنَّ هُنَاك مَن أطفَأهَا عَمداً، خَرجَ الجَمِيعُ يَملأُ الذُّعرُ نُفُوسَهم مُتَّجِهِين إلى سَفحِ الجَبَلِ المُقَدَّس استِجَابَةً لِصَوتِ مُنَادٍ غَرِيبٍ لَم يَكُن مِن أهلِ القَريَة، وَقَفُوا مُتَجَاوِرِينَ بِانتِظَارِ مَا سَيَحدُث وعَدوَى الخَوفِ والقَلَقِ تَسرِي مِن أحَدِهِم إلى الآخَر وتَنتَقِلُ بَينَهُم كَمَا تَنتَقِلُ النَّارُ في الهَشِيمِ، كَان الرَّجُلُ الذي تَأكَّدُوا يَقِيناً وبِمَا لَا يَدَعُ مَجَالاً لِلشَّكِّ غَرِيباً عَنهُم تَمَامَاً وَلَيسَ مِن أهلِ القَريَة أو مَا جَاوَرَهَا وكَان أقرَبهُم إلى جِذعِ الجَبَل، وبِرغمِ الظَّلامِ الذي يَبقَى حَاجِزَاً طَبِيعِيَّاً بَينَهُم وبَينَ الأشيَاءِ في العَادَة استَطَاعُوا أن يَروا بِوُضُوحٍ تَقَاسِيمَ وَجهِه الوَضِيئَة وبيَاضَ ثِيَابِه النَّاصِع، كَانَت خُيُوطٌ صَغِيرَةٌ مِن النُّورِ لَم يَعرِفُوا لَهَا مَصدَراً مَعلُومَاً تَرسُمُ بُقعَةً دَائِرِيَّةً حَولَه كَتِلكَ الهَالَةِ التي تُحِيطُ بِالبَدرِ لَيلَةَ تَمَامِه، وكَانَ الجَبَل الذي بَدَا أنَّه قَد تَحَرَّكَ قَلِيلاً مِن مَوقِعِه يَفرضُ عَلى المَكَانِ هَيبَةً طَاغِيَةً إضَافَةً إلى مَا يَبُثُّه في النُّفُوسِ من مَشَاعِرَ مُبهَمَة امتَزَجت بِذِكرَيَاتِهم ولَم يَتَمَكَّنُوا مِن فَهمِهَا عَلى الإطلَاق، صَاحَ أحَدُهُم فَزِعَاً:

** عَلَيكُم بِالابتِهَالِ والدُّعَاء، اطلُبوا الرَّحمَةَ عَن كُلِّ أفعَالِكُم، أنتُم مُذنِبُون بِلَا شَكٍّ..

فَأجَابَه آخرٌ وهو يَتَحَدَّثُ بِجِدِّيَّة:

** الرَّحمَةُ عَن مَاذَا؟؟ كَيفَ نَطلُبُ العَفوَ عَن خَطَايا لَا نَعرف طَبِيعَتَهَا ولَم نَقتَرِفهَا حَقِيقَةً؟؟

** نَصَحتُكُم بِذَلِك حَتَّى نَنجُوَ مِن هَذا المَوقِف المُرَوِّع، الوَيلُ لَكُم سَتُصِيبكُم اللَّعنَة بِسَبَبِ تعنُّتِكُم السَّخِيف هَذا..

** فِي الأصلِ مَن الذي يَحِقُّ لَه مُحَاسَبَتنَا في هَذه الدُّنيا؟؟ أنتَ لا تَنصَحنَا بَل تَدعُونَا لِلاستِسلَام والإذعَانِ لِلأمرِ الوَاقِع، التَّذَلُّل لِلغَيرِ سُقُوطٌ أخلَاقِيٌّ يُخَالِفُ إرَادَةَ الإنسَان ويَنَالُ مِن كَرَامَتِه إن كَان بِلَا سَبَبٍ وَجِيه، الخَالِقُ عَزَّ وَجَلّ وَحدَه يَعلَمُ بِمَا نَحنُ فِيه..

** أنتُم لَا تَعرِفُون شَيئَاً عَلى مَا يَبدُو، كُلُّ الاحتِمَالَات وَارِدَةٌ وَمُمكِنَةُ الحُدُوث، تَحَمَّلُوا العَوَاقِبَ الوَخِيمَة إذَن عَن تَصَرُّفَاتِكم إن لَم تَكونُوا أبرِيَاء فِعلَاً..

** أخرِجُوا هَذه الأوهَام التي لَا أسَاسَ لَهَا مِن عُقُولِكُم ولنَنتَظِر مَا سَيَحدُث، لَا تجهِدُوا نُفُوسَكُم بِالتَّوَقُّعَاتِ غَير المَنطِقِيَّة..

** نَعَم صَحِيح، دَعُوا الخَلقَ لِلخَالِقِ وَحدَه، لَستُم مُفَوَّضِين بِاسمِ الله وكَفَاكُم نِقَاشَاً حَولَ مَصَائِرِ العِبَاد..

** صَدَقت، مَن الذي مَنَحَكُم الحَقَّ في تَوزِيعِ صُكُوك الغُفرَان؟؟ أنتُم بَشَرٌ مِثلُنَا ولا تَختَلِفُون أو تَتَمَيَّزُون عَنَّا بِأيِّ شَيءٍ..

احتَدَمَ الجِدَالُ العَقِيمُ بَينَهُم مُطَوَّلاً واستَرجَعُوا الأحدَاثَ العَدِيدَة التي مَرَّت بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنهُم مُنذُ أن أفَاقَ مِن غَيبُوبَةِ اللّا شَيء مُبتَدِئَاً حَيَاته بِصَرخَةِ الألَم ومُستَقبِلاً الدُّنيَا بِالكَثِير مِن الأَمَلِ، وعَلَى تَنَوُّعِ تَجَارِبهُم وتَعَدُّدِهَا في هَذه الحَيَاة لَم يَتَخَيَّلُوا إطلَاقَاً حُدُوث شَيءٍ مِمَّا يَجرِي الآن ولَم يَخطُر لَهُم عَلى بَالٍ، رَفَعَ الرَّجُلُ الغَامِضُ يَدَه اليُمنَى دَاعِيَاً الجَمِيع إلى الإنصَاتِ ثُمَّ أمَرَهُم بِصَوتِه الجَهُور الذي رَدَّدَت صَدَاه الصُّخُورُ والغُيُومُ والصَّحرَاء طَالِبَاً مِنهُم أن يَقومُوا بِسَردِ أحلَامهم التي رَأوهَا في اللَّيلَةِ الفَائِتَة دُونَاً عَن بَقِيَّةِ اللَّيَالي، استَجَابُوا لِذَلِك عَلى مَضَضٍ وكَأنَّه فَرضٌ ثَقِيلٌ وَاجِب التَّنفِيذ، فَعَلوا مَا أُمِروا به بَعدَ الكَثِير مِن التَّرَدُّدِ فَهُم مِثل غَيرِهِم يَكرَهُون الأوَامِر والنَّوَاهِي، جَثَا كُلُّ وَاحِدٍ مُنهُم عَلَى رُكبَتَيهِ قُبَالَةَ الجَبَل المُقَدَّس تَحتَ غِطَاءِ اللَّيلِ السَّمِيك وأعَادَ رِوَايَة حُلُمه كَمَا شَاهَدَه دُونَ أن يَستَبقِيَ مِنُه شَيئَاً لِنَفسِهِ مُستَحضِرَاً الوَفَاءَ بالعَهدِ الأَزَلِيّ الذي قَطَعُوه فِيمَا بَينهم، إلَّا وَاحِدَاً مِنهُم اعتَرَاهُ الشَّكُّ الوَخِيمُ وألجَمَ الخَوفُ لِسَانَه عَن الكَلَام، كَانَ مَعرُوفَاً لَدَيهِم جَيِّدَاً ومَمقُوتَاً بِمَظهَرِه الرَّث ومَلَامِحه الدَّمِيمَة التي تُمَيزِّه سَلبَاً عَن بَقِيَّةِ أفرَادِ مُجتَمَعِهم حَتَّى في هَذَا الظَّلَامِ الحَالِك، حَاوَل الرَّجُلُ يَائِسَاً كِتمَان رُؤيَتِه عَن الآخَرِين وأخَذ يُهَروِلُ فِي جَمِيعِ الاتِّجَاهَات كَي يَهرُبَ مِن المَكَانِ ولَكِنَّه لَم يَستَطِع، لَا يُمكِن لِأحَدٍ النَّجَاة مِن مَصِيرِه المَحتُوم، ارتَفَعَت الرِّمَالُ بِسَطوَتِها الهَائِلَة أمَامَه في الظُّلمَةِ الكَالِحَة بَينَمَا حَاصَرَتِه الرِّيَاحُ العَاتِيَة مِن كَافَّةِ الجَوَانِب، وحِينَ أيقَن أنَّه لَا مَلجَأ إلَيهِ أبَدَاً استَسلَمَ في نِهَايَةِ الأمر وبَدَأ يَروِي حُلُمه الذي رَاوَدَه في اللَّيلَةِ المَاضِيَة، تَحَدَّثَ إليهِم كَمَن يَقرَأُ صَفَحَاتٍ مِن كِتَابِ القَدَرِ المَسطُور بَينَمَا بَدَأت أصوَاتُ الحَاضِرِين تَرتَفِعُ بِالبُكَاءِ المَرِير، نَوبَةٌ مِنَ العَوِيلِ أقرَب الى النُّوَاحِ اجتَاحَتهُم جَمِيعَاً بِلَا استِثنَاء وبِصُورةٍ لم يَسبِق أن حَدَثَت لَهم مِن قَبل، كَانَت أعيُنهُم تَفِيضُ بِالدَّمعِ سَيلَاً غَزِيرَاً لَا يَعرِف الانقِطَاع، دَوَاخِلهُم تَتَلَوَّى مِن وَقعِ الألَمِ وقُلُوبهُم يَعتِصِرُهَا الغَمُّ الشَّدِيد، وكُلَّمَا أمعَنَ الرَّجُلُ في سَردِ التَّفَاصِيل تَحَوَّلت الكَلِمَاتُ بِدَورِهَا إلى عَاصِفَةٍ هَوجَاء كَادَت أن تَقتَلِعَ الأشيَاءَ مِن فَوقِ الأرضِ، تَطَايَرت الرِّمَالُ الكَثِيفَة مِن حَولِهم وازدَادَ عَذَابُ الحَاضِرِين إلى أقصَى دَرَجَاتِه، بَعدَمَا فَرغَ مِن رِوَايَةِ حُلمِه كَامِلَاً وألقَاه صَادِقَاً إلى أحضَانِ السَّامِعِين بمَا فِيه مِن أحزَانٍ خَبِيئَةٍ وأسَىً شَدِيد سَقَطَ الرَّجُلُ عَلى الأرضِ بِلَا حرَاكٍ وحِينَهَا فَقَط تَغَيَّرَ الحَالُ فَجأةً، هَدَأت الغُيُوم الثَّائِرَة وتَفَرَّقَت سُدَىً، سَكَنَت حَرَكَةُ الرِّيح وأقبَلَ عَلَى الكَونِ صَبَاحٌ جَدِيدٌ يَتَهَادَى عَلى مَهلٍ، أبصَرُوا وَجهَه لِلمَرَّةِ الأخِيرَة تَحتَ أشِعَّةِ الشَّمسِ الصَّبَاحِيَّة ولَم يُصَدِّقُوا مَا رَأوه، كَان الجَمَالُ والوَقَارُ قَد أعَادَا نَسجَ مَلَامِحهِ مِن جَدِيدٍ وتَبَدَّلَ قُبحُ شَكلِه تَمَامَاً بِألَقٍ زَاهٍ ومُنقَطِع النَّظير، فَتَبَدَّى لَهم الرَّجُلُ الهَامِد أمَامَهم في أجمَلِ وأبهَى صُورَةٍ عُرِفَت يَومَاً عَن الانسَان..

أنقَضَت الأحدَاثُ الرَّهِيبَة التي جَرَت في هَذا الجُزءِ مِن العَالَمِ بِخَيرِهَا وشَرِّهَا، لَم يَعُد لَدَيهِم مَا يَفعَلُونَه بَعدَ ذَلِك غَيرَ العَودَة إلى دِيَارِهِم، أروَاحُهُم تَتَرَنَّحُ مِن الانهَاكِ ولَا تَقوَى أرجُلُهُم عَلى حَملِ أجسَادِهم، لَكِن وَقبلَ أن يَبرَحُوا المَكَان غَابَ الجَبَلُ المُقَدَّس عَن أنظَارِهم وتَأكَّدُوا بِمَا لَا يَقبَلُ الشَّكّ أنَّه لَم يَعُد مَوجُودَاً الآن، اقتَحَمَ الذُّهُولُ دَوَاخِلَهم بِقُوَّةٍ وتَفَحَّصُوا المَكَانَ بِكَامِلِه بَحثَاً عَنه، تَلَفَّتُوا في كُلِّ الاتِّجَاهَات، حَاوَلُوا إزَاحَة الرِّمَال عَن سَطحِ الأرضِ ولَكِن دُونَ أيِّ نَتِيجَةٍ إذ لَم يَعُد الجَبَل بِكُلِّ قَدَاسَتِه قَائِمَاً في مَكَانِه الذي أَلِفُوه عَلَيه مُنذُ القِدَم ولَم يَعثُروا لَه عَلى أثرٍ، استَغرَقت الحَيرَة الطَّاغِيَة عُقُولهم وتَلَاشَت أفكَارهم في مُحِيطِ العَدَم حَتَّى بَلَغُوا نِهَايَةَ حُدُودِ اليَأسِ في خَاتِمَةِ المَطَاف، ورُغمَ اعتِقَادهم بِصُعُوبَة وقَسوَةِ الحَدَث وعَدَم قُدرَتِهم عَلى استِيعَابِه اتَّخذُوا قَرَارَهم الحَاسِم

بِالمُضِي قُدُماً عَبرَ الطَّرِيقِ المُمتَدّ أمَامَهم يَملأُ الحُزنُ سِلَالَهم وتَعلُو وُجُوهَهَم مَلامِحُ شَاحِبَة وأليمَة، سَادَت المنطِقَة بأسرِهَا فُصولُ عَهدٍ جَدِيدٍ مُغَايِر لِمَا كَانَت عَلَيهِ دُنيَاهُم فِي السَّابِق، قَضوا عَلى ذَلِك الحَالِ المُضطَّرِب وَغَير المُستَقِرّ مَا بَقِيَ مِن حَيَاتهم بِلا أيّ تَغيِيرٍ مُحتَمَل، يَعِيشُون تَحتَ سَمَاءِ القَدَرِ المَحتُوم رَاضِخِينَ لِأحكَامِه القَطعِيَّة عَلى البَشَرِ، لَا يَعرِفُون الكَثيرَ عَن كُنهِ أفعَالِهِم ولَا يَجدُون تَبريراً لِبَعضِ تَصَرُّفَاتِهم لَكِن يَنتَابهُم الرِّضَاءُ الزَّائِف عَن أنفُسِهم في الكَثِيرِ مِن الأحيَانِ كَدَأبِ النَّاسِ عَلى مَرّ العُصُور، استَمَرُّوا عَلى ذَلِك المنوَالِ بَينَمَا بَقِيَت هَذه القَريَة الصَّغِيرة شَاهِدَةً عَلى الزَّمانِ تَروي لِأجيَالِهَا المُتعَاقِبَة قِصَّة تِلكَ اللَّيلَة الغَرِيبَة، وحِكَايَة الجَبَل المُقَدَّس الذي اختَفَى عَن الوُجُودِ إلى الأبَد، واختَفَت مَعه أحلَامهُم قَصِيرَة الأَمَد..

حكاية الزوجة التي لم يُؤكل بسكويتها !

أ. عبد الله الحسن الفحل – الفائز بالمركز الثاني بمسابقة مكتب السودان

مرت عشرون دقيقة بعد منتصف الليل، وهو لم يحضر كالعادة بعد!!!

وأنا ملني الإنتظار، مال عنقي وكدت أسقط على الطاولة أمامي ثلاث مرات ، أطفأت أولاً الشمعتين المتراقصتين واكتفيت بمصابيح النيون الباردة، فقد زادت الشموع حرارة الجو، الإحساس مثقل بخيبات الأمل. لم أستطع أن أكمل كوب الشاي الخاص بي، رغم أني حاولت أن أرتشف منه على فترات طويلة، أرطب به حلقي، وأجعل منه فاصلاً من مرارات الذكريات التي تجتاحني. المهم أنني حملت صينية الشاي للمطبخ، وأفرغت محتوياتها، برقة ودقة متناهيتين، إعتدت على إتقانها يومياً في كل شئ، حتي حين يزورنا أحد وهو يوم يكون معد ومرتب له بعناية فائقة، بالورقة والقلم، ويتم بخطوات تنتهي بإغلاق الباب وتوديع الزوار أياً كانوا في زمن محدد سلفا.

سأذهب لأرتدي ملابس النوم، وأخلع عن نفسي الأقراط والسلاسل وأكتفي بخاتم الزواج فقط، بالطبع سأضع قليلاً من العطر، وأجمع شعري كأي امرأة تنام على أمل الإحساس بيد زوجها تربت عليها وتطمئنها بوجوده بجانبها، ويتوجب عليها بأن لا تقلق، قبل أن يندس بجانبها ويهمس لها بكلمات الحب العذب.

هذه الكلمات التي لا تسمعها هي وتعيش على أمل حدوث مثل هذه الأشياء لو القليل منها خارج نطاق المتفق والمجدول في الجهاز الأسود الصغير الذي لايفارق زوجها أبداً، يدون عليه كل شئ، ويضع العلامات، ولا يخالف ما كتب فيه مهما كان.

لا أستطيع أن أسئله، ولا أستفسر عن شئ لم يحدثني به، لأنني ساعتها لن أجد غير الصمت جواباً، أو قطع حديثي إتصال هاتفي، هذا إن لم يرفع يده معتذراً ويخرج مؤشراً على ساعته التي تنبهه بمواعيده المجدوله، حتى في قضاء الوقت معي، هي فقرة مدرجة في جهازه الأسود تدعي وقت العائلة ومعها مجموعة من الأقتراحات بالناشاطات والأشياء التي يمكنك عملها مع عائلتك لتحافظ على الترابط والحب بينكم، نقاط محددة بواسطة أشخاص لم يحسو بجو الود والحنان الأسري إنما اختبروه تحت المجاهر، وصدقهم أمثال زوجي هذا!

أفتتنت به لدقته وتنظيمه، كل شئ كان يعد له بعنايه فائقة، أسرتني الدقة المتناهيه حتى في أدق التفاصيل، خلتها من حرصه و تدبيره الحاذق، حسبته إهتمام منقطع النظير بتقديم نفسه وما يود بأجمل ما يكون، لا كأحسن ما قيل وصُنِّف وذُكِرَ على لسان آخرين، إفترضته – وبالغبائي- أنه يتمهل ويرتب ليبهرني دوماً، ويغدقني بإهتمام يجعلني أشعر أنه اصطفاني من بين العالمين نسائهم ورجالهم ليخصني بحبه وتقديره، صدمتي كانت أن كل شئ حدث بيننا كان ليحدث مع أي أخري لها الصفات التي كان يبحث عنها والمذكورة سلفاً ومعده تحت بند فتاة الأحلام!

توقظه المنبهات، نائماً أو ساهياً، يتحرك وفق ساعته التي لا تفارقه- ما أقبحها- ليست كما غنينا صغاراً:

لابس الساعة اللماعة . . .

تحدد خطواته الجداول المُحَدَّثة في كل لحظة، ترتيبة الذي يؤدي للجنون، مجونه المحدد بزمن ومقدار لا يفوته أبداً، لأن ولأن ولأن...وإلى آخر جملة إعتذاراته التي أدمنتها، فأتقنت إبتسامتي والتنهيدة، قبل أن يطبع قبلة باااردة كوداع بائع لم تشتري منه ويمضي.

في بيتنا جراج به سيارته الفارهه التي لا تخرج إلا بمواعيد محددة لمناسبات مختارة بعناية، تطل على البهو ويفصلها باب زجاجي له ذر تحكم باليمين، أعلاه بناحية اليسار على الجدار يتدلي قفص لطائر صغير ممتلئ بالألوان، للقفص اسطوانتان يمكن حلهما يدوياً، واحدة مملوئة بالحبوب، والأخري بالماء، يغيرهما أحد العمال كل أسبوع، والعصفور الصغير يغني، مثله مثلى، ومثلنا أسماك الزينة بالحوض الكبير ، جميلة رشيقة، تتحرك في محيط مصنوع، به أعشاب بلاستيكية، وحجار ملونة، تضفي تيارات الماء و فقاعات الأكسجين المتصاعدة بعداً جميلاً لا يفضل النظر إليه مطولاً. وهي تتراقص بألاونها الساحرة، ورشاقتها الماكرة، مبديه زينتها وفتنتها بلا خوف ولا وجل، فالأكل يأتيها صباح مساء، والماء تجدد دورياً، والمشهد دوماً يتكرر، كأشجار الفناء الخارجي التي ما تكبر وتستطيل حتى يأتي الجناييني بمقصاته و أدواته الحادة، ويعمل فيها تقطيعاً وتمزقاً ليرجعها لحد منظرها المتفق، وشكلها المرسوم من زمان تصميم الفيلا وحتى متي لست أدري. . .

مللت الأشياء وملتني أفكاري المتناثرة يميناً ويساراً، سئمت من الوحدة في هذه الإطارات الثابتة والإضاءة المسلطة، لا تحلو الحياة إلا بالمشاركة، ولا تطيب الأوقات بغير الرفقة، ونفسي تحن لزمان حريتها وتنفسها، زمان المزاج وحيل الخروج، أوقات الأصيل وساعات المقيل، الدلال من الأهل وطيب الخاطر عند الأصدقاء، والمقالب، كم كنت أنصب الفخاخ لنضحك، متمرسه و خبيره في صنع كرنفال من حدث عادي، أحب الحياة وتحبني نسمات الفجر، أكونني في أوقات الزيارات المفاجأة و مع عجائز الحي، أتلهف للصدف، وأجري وراء صنع الذكريات، لكنه زمان فات، وطائرة أحلام إنقطع مني حبلها، لا أقول صفقة فارقت غصنها، ولكنني أصف نفسي بأني شجرة جافاها المطر وأرض متى ما وجدت من يجيد فلاحتها أغنته و تبسمت له بطيب الخراج.

تركت البسكويت على الطاولة، سيتعداه كما تعداه من قبل مرات ومرات، أفني النهار في صنع طبخة جديدة أو حلوي تنعش الوجدان، وأهاتفه، إن رد لي أكرر في داخلي ما سيقول من حكايات لا تنتهي بقدومه المفاجئ أبداً، تسد نفسي وتزبل شهيتي، لا أرمي الأطباق ولا أكسر الأواني، إنما أتركها في الطاوله، ومصابيح النيون الباردة كمشاعره مسلطة عليها، وأمضي للفراش وقد لففت شعري ووضعت العطر متمنيه قدومه ليالي طوال تحبو، ويكاد بريق العمر يخبو، ولا يأتي إلا إذا ذكره الجهاز الأسود بي، يتكرر مشهده أمامي، في البيت، عند غرف مختلفه ونشاطات عديدة لست فيها، والتي تندرج تحت نشاطات العائله نؤديها ببلاهة وتصنُّع. لو كنا في فلم لطردنا المخرج والمصورين وكالونا بأفظع الشتائم والسباب.

هذه الظهيرة تمضي بتثاقل، لا رغبه لي بإفنائها بالرقص ولا صنع طبخ مصيرة البكتريا، لن أمارس الرياضة، ولا العزف، مللت الكتب، وإبره الكروشيه، المحادثات الطويلة، والقهقهات المصطنعة، التبضع والتصفح الإلكتروني، تجريب الأزياء ووضع الإكسسوارات، لن أمضي لمركز تجميل ولن اعتني بجسمي وأملأة بالخضار والفاكهة، لن أكون الخائنة مع هذه الظروف المثالية، و لن أضع المنكير و أزيله، لن تشغلني ألعاب الفيديو ولا الغناء علي انغام الوحدة، أين مني أفكاري الشيطانيه، وأفعالي الجنونيه التي دائماً ما سرتني و أبهجتني، أيعقل أنني صرت أسيره، أيعقل أن تمضي بي الحياة ببطء هكذا نحو ضفاف الإكتئاب؟

هذه المرة لن ألف شعري. سأتركه مسدلاً، سأرتدي فستاناً وشالاً حريرياً يلتف حول رقبتي ويطير، سأصعد لمكتبه، وأفتح الدرج الأوسط بالمفتاح الموجود بالرف الثاني من رفوف المكتبة خلف أطلس العالم – وما أدراه بالعالم والحياة- سأفتحه وآخذ مفتاح السيارة، سأضع الأسماك كلها بكيس بلاستيكي أملأه بالماء، وسآخذ العصفور بقفصه و أرمي أسطوانتي الطعام الثابت والمتكرر، وألتقط بسرعة مقصات قص الأشجار. الذر يفتح الباب الزجاجي بعد ثواني طوال، لا أحتمل ثقل أمثالي الأسري، فأضعهم سريعاً بالسيارة، أعود للطاولة بلهفه، فقد تذكرت البسكويت، لن أترك منه قطعة واحدة، ولن أترك رسالة واحدة، ولن أنتظر الساعة الواحدة إلا الثلث حين يفتح الباب مؤذناً بقدومه الباهت.

الغرفة رقم A16

أ. عمر علي الجقومي – الفائز بالمركز الثالث بمسابقة مكتب السودان

أودُّ لو يسمح لنا الناجون أن نمارس غرقنا بسلام، دون تذكيرنا في كل مرة أنهم قد نجوا، وأننا نغرق.

- لينا السماني.

***

-١-

شارع الحرية هادئ لأول مرة منذ عُقود، بدا لي المكان مفزعًا، رغم أنني ألفته لسنوات.

جلست عند حاجة حليمة وطلبت شاي بالنعناع أتأمل هذا الوجه المخيف للمدينة.. كان هذا بُعيد انقلاب عسكري غيّر وجه البلاد الآن وربما للأبد. حاجة حليمة تعرفني منذ سنوات وأعرفها، امرأة صبورة، ملامحها جامدة لكنها تحب الناس وتحبني أنا أكثر! بينما أودُّ سؤالها.. باغتتني بسؤال مفاجئ:

- جابك شنو يا آثار الليلة والبلد مقلوبة؟!

اِبتسمتُ وقد أخذني سؤالها المشبع بالحب، إلىٰ الإجابة عليه سريعًا:

- ما خلاص انقلاب واِنتهىٰ!

سكتت؛ ورأيتها تكتم شيئًا عظيمًا وهي تهزُّ رأسها وتتجاهلني، لأول مرة يحدث هذا! وبإجابتي بدوت كما لو أنني قد حطمت حلمها الأخير.

المدينة شيء باهت ومخيف والناس هُنا يتجولون بحذر بالغ.

معظم أصحاب المحلات لم يأتوا بعد، وقد لا يأتون اليوم وغدًا وبعد غد؛ ثمة فريشة يبسطون مباعهم علىٰ حافة الطريق، ينادون الناس ويتوسلونهم بنظرات لحوحة لكي يأتوا.

في نهاية الشارع شاهدت تجمعًا لشباب يصفقون ويهتفون، هذا المنظر ألفته كثيرًا في الجامعة، يمضون نحونا، أو بالأحرىٰ يمرون بشارع الحرية، يزيدون كلمّا اقتربوا، يهتفون.. لا لتقويض الدستور، لا لاحتلال السلطة، عاش الوطن حرًا أبيًا.

-٢-

الآن سأحكي لكِ ما حدث عندما رأيتكِ تجلسين عند حاجة حليمة.

تحركنا بعد أن أشارت لنا الإستخبارات بأن مُظاهرة منددة للانقلاب تتحرك في شارع الحرية وأعدادها في تزايد، كنت مسؤولًا عن المتحرك وصدرت لنا أوامر باعتقال بارزين يتصدرون المظاهرة تم رصدهم، وتفريق المتظاهرين بعبوات الغاز المسيل للدموع، وقد كان.

قبل أن تتفرق أعداد المتظاهرين بالكامل وقد اِعتقلنا بعضهم، رأيتكِ تجلسين بهدوء عند حاجة حليمة تنظرينا بعين قلقة لا تكاد تثبتُ علىٰ حال، رأيتك هُنا عشرات المرات، تحتسين قهوتك، تشربين الشاي، تضحكين مع صديقاتك، تتحدثين عبر الهاتف، تودعين حاجة حليمة، أشياء كثيرة رأيتك تفعلينها هُناك، أنتِ لا تُحبين السياسة ولا تعرفين عنها شيئًا، لكنني أغرمت بكِ من أول نظرة، أحببتك لأنك جميلة، لا أعرف عنكِ غير ذلك، ما وجدت طريقة لقول شيء ما معك؛ وأنت لم تلحظي وجودي هناك، من أجلك.

وعندما رأيتك تنظرين إلينا، وجدت نفسي أصدر أمرًا بإعتقالك، لستِ من القائمة ولكنني أريدك.. ألمتني توسلاتك للنجاة، وأفجعتني صرختك؛ ولكنهم فعلوا ذلك علىٰ أي حال!

-٣-

لا أعرف كيف أصف المنظر عندما رأيت المتظاهرين يتغنون بالحرية والسلام والعدالة، مقابل ما أمطرتهم القوات الأمنية بالغاز المسيل للدموع، والقنابل الصوتية بكثافة شديدة.. إن أعظم هزيمة تلحق بالإنسان أن يتم قهره، وأن يكون ذلك أمام الجميع. كانت جموع المتظاهرين تتزايد وتتناقص حسبما نشاهد، وبينما يجري هذا المد المتواصل، تحول الشارع لسحابة ضخمة من البمبان، اِختنق الناس وتساقطوا وهربوا، اِمتلأ المكان بالعويل والصراخ والسباب، وبعض الهتاف؛ نساء وأطفال وصبية مرميون علىٰ الطريق يختنقون، يعيشون لحظات أليمة، ولا زالت القوات تمطرهم بالغاز المسيل للدموع، كأنما لا رحمة في قلوبهم؛ وكأن هؤلاء ليسوا بشرا.

اِستمر الضرب والسب والشتم والتعنيف علىٰ المتظاهرين لدقائق قبل أن يتحول كل هذا الغبن لحملة اِعتقالات، حدث هذا قريبًا منّا.

حاولتُ أن أجد طريقة للهروب، لكن الشارع تحول لثكنة عسكرية، فسارعت نحو حاجة حليمة وجلست قربها في الوقت الذي صوبوا نظراتهم نحوي كحداء جارحة كُنت أنا أتودّدهم الرحمة، لكنهم ظلّوا يتلذذون بفعلي هذا ويغويهم أكثر. رموني في صندوق السيارة، تلاحقهم نداءات حاجة حليمة، وجدت نفسي وسط مجموعة من المتظاهرين.

اِستمر ضربنا وشتمنا وتهديدنا بالاغتصاب، وكنت أقول لهم أنني لست مُتظاهرة ولا أعرف شيئًا عن السياسة؛ لكنهم يستمرون في تهديدهم ووعيدهم؛ دون أدنىٰ اِعتبار لتوسلاتي.

تذكرت حاجة حليمة وهي تكتم غيظًا كبيرًا بداخلها، فهي تعرف طبيعة ما يجري وسيجري، كانت تعلم ماذا يعني الإستيلاء علىٰ السلطة بقوة السلاح!

وصلنا مكانًا غريبًا، كل شيء كان غريبا منذ أن تمّ اِعتقالنا، وضعوني في غرفة منفردة، لا أعلم ماذا جرىٰ للبقية. دفعني أحدهم في الغرفة وقبل أن يغلق الباب قال:

- انتظري لحد ما يجي مغتصبك!

صرخت، بكيت بهستيريا، ضربت الباب بشكل متتالٍ، دون أي شعور بذلك، جريت في الغرفة الضيقة، كانت ضيقة ودائرية الشكل، محيطها مرتفع، به منفذ صغير، عرفته من خلال الضوء المنعكس منه في الإتجاه الآخر.

كنت أعلم أن ما قاله هو اِستمرار للتعذيب النفسي، رغم أن أصدقائي كانوا يتحدثون عن حدوث حالات اِغتصاب فعلًا، لكن لا أحد يعرف إن كان ذلك قد حدث فعلًا أم لا! وعلىٰ أي حال من خلال ما رأيته قبل ساعتين؛ يمكن لأي شيء أن يحدث بسبب، وغيره.

-٤-

أخبرني أحد أفرادنا أنه قام بتنفيذ التعليمات وأنكِ بالغرفة A16، أفضل غرف الجناح، وكُنا قد أفرجنا عن المعتقلين بعد ساعتين، خشية أن تصل الأخبار لوكالات الأنباء فتستخدم ذريعة ضد الإنقلاب. وعندما تحركت نحوك.. كنت مترددًا بشأن ما أفعل! لقد إنتظرت عشرات الأيام كي أقترب منك، لرؤيتك عن قرب، للمس خديك الأملسين والنظر في عينيك البُنيتين، وتأمل وجهك بنضاره وبهاءه المهيب، أقصىٰ الأمنيات والحلم الأخير، وجهك كُله بأشياءه المثيرة، حينها ستبدأ الحياة من جديد، تبدأ بالوجه الذي يطل علىٰ العالم الآخر. طالما بدّدت الساعات في إقتناص الفرص لرؤيته دون أن يعكر ذلك مزاجك، هأنا أقترب منكِ، أمشي نحوكِ بقدمين مثقلتين، وقلب مشفق، وروح مختلجة بمخاوف اللقاء.

فتحتُ الباب! إعترتني قشعريرة مخيفة حينما شخصت عينيكِ، وصرخت فزعة، أغلقتُ الباب خلفي وتسمّرت أنظرك.

لا يمكن لهذا الطهر النقي أن يذوب في دقائق، بينما لا يمكن كبح هذا الرغبة الجامحة!

تأملت صمتكِ، وضعفكِ، ودموعكِ المنهمرة بغزارة، تأملت خديكِ وقد توردا، شفتيكِ وهما يرتجفان، جسدكِ كله يرتجف، مثلي أنا مرتبك رغم ما أُبدي من قوة، أودُّ أن أخبرك أنني كنت أنهار من الداخل. تذكرت الله، وأختي، وأمي، تذكرت نقاءك وبهاءك، لكنني ضعيف أمامك. مثلك تمامًا، ضعيفة أمامي.

اقتربتُ أكثر، وإلتصقتِ أنتِ بالجدار أكثر كقطة مذعورة.

-٥-

فُتح الباب.. فصرخت. ولا أعرف ماذا فعلت آنذاك! أغلق الباب خلفه وتسمّر ينظرني، كان قويًا في وقفته، يتطاير الشرر من عينيه، يتأمّلني كمن يتأهب للهجوم. حينها تأكدت من أنهم يفعلون ما يقولون، لكنه أخذ يفقد هيبته وهو يتصيدني؛ وعزيت ذلك لكوني فريسة سهلة، لا متعة في صيدها. الصيد السهل لا متعة فيه، إذ كلّما كانت الفريسة تقاوم، كان الصياد يجد متعة في كبح هذه المقاومة. إلتصقتُ أكثر بالجدار، فسرت فيه الرغبة مجددًا، إقترب مني؛ وحينها فقدت معنىٰ القوة.

سألني في توتر بادٍ:

- ما اسمك؟

- آثار.. آثار الطيب.

- كم عمرك؟

- واحد وعشرون.

- هل أنتِ خائفة مني؟!

كان يبتسم بمكر، وهو يحاول تطويعي.

بدا لي التحقيق هادئًا، وهو يستخلص مني معلومات طبيعية، لم يسألني عن التظاهرة، ولا عن لوني السياسي!

في هذه اللحظة بالتحديد إنتبهت وركزت في وجهه، بدا لي هذا الوجه مألوفًا، ليس غريبًا عني، حاولت إستعادة ذاكرتي، ولكنني فشلت في تكوين صورة مناسبة له.

إقترب مني الرجل وقال بخبث:

- أحبك.. أحبك يا آثار.

اِضطربت مشاعري وفهمت أن ذلك مدخل لحكاية مؤلمة قادمة؛ والمؤلم أنها في كل لحظة كانت تقترب.

مرّ وقت وأنا أصرخ وأطلب منه ألّا يلمسني، وأن يخلي سبيلي؛ ولكنه ظل يقاوم كل هذا بعنف، أنا أشعر أنه وبمجرد وجودي في مكان لا أحبه هو نوع من العنف يجب إيقافه وعلىٰ عجل.

لا أعرف ماذا جرىٰ بالتحديد، لكن هو ما حدث لكثيرين وسيحدث لكثيرين أيضًا.

-٦-

خرجتُ من الغرفة مذهولًا، ولا زلت نادمًا علىٰ اِعتقالك! أعرف أنها حالة من الجبن اِعترتني، وقد تسبب جمالك في ذلك، أردت إخبارك بالحقيقة، وهي أنني أحبك، وعلىٰ نحو جاد يا آثار.

كنتِ مُثيرة بجسدك البض الساحر، بعنفوانك وهو ينتشر في المكان بغنج، يلهب جميع من فيه. أفرجنا عنك، وخشيت أن يلحق بك أحدهم أو أن يُلحق بك ضررًا بالغ وأنت تعودين لأهلك، وفي نفس الوقت كنت أود معرفة أين تسكنين بالتحديد.

قمت بإيصالك، وقد كنت تقاومين ذلك؛ لكنك قبلتِ أخيرًا.

-٧-

لقد تغيرت حياتي تمامًا منذ ذلك اليوم، وبدأتُ أعيش حياة جديدة، مليئة بالعنف والغبن؛ لكنني وجدت نفسي رهينة لما حدث في الغرفة A16، أتذكر وجه جمال، قال لي أن اسمه جمال، في كل لحظة، يطاردني في نومي وواقعي، ترددت كثيرًا في شرح ما حدث للآخرين، حتّىٰ لأهلي، لفضح ما يحدث داخل تلك الغرف الدائرية، ذات الحوائط العالية، بالتحديد.. الغرفة A16، لكنني آثرت الصمت والموت تحت ستاره!

تبدو الحياة طبيعية هُنا، يوم غائم مشوب برياح هادئة، وقد اعتدتُ أن أتعايش مع وضعي الجديد.

ناداني أبي، وطلب مني رأيي في الزواج؛ لأن أحدهم تقدم لخطبتي، وعندما طلبت رؤيته ومعرفته قدّم لي جمال، جمال نفسه الرجل الذي عرفته في الغرفة A16.

وافقت!

في تقدير أبي أنه رجل يتبع لمؤسسة وطنية، يخاف علىٰ الوطن؛ بأرضه وعرضه. هُنا يحظىٰ هؤلاء بمكانة رفيعة في المجتمع، قبل أبي بذلك؛ بينما قبلت أنا لأنه جمال، الرجل الذي عرفته في أسوأ الأماكن!

-٨-

إنني أحكي لكِ يا آثار، حقيقة ما جرىٰ حينها، منذ ذلك اليوم وأنا مهووس بكِ، لا يمكن لك أن تعيشي حياتك الأخرىٰ دون معنىٰ، يتم تدريبنا علىٰ ذلك، أن نجعل من يأتون لتلك الغرف يعيشون في هاجس مستمر وروح قلقة، ومستقبل غامض. شعرت بك ستكونين فارغة من المعنىٰ، لذلك تزوجتك. الآن نحن أقرب لبعضنا أكثر من أي وقت مضىٰ، وأنجبنا طفلة. أشعر معك في كل لحظة؛ بأن الحب يبدأ من جديد.

لقد تركت وسائل التعذيب والتعنيف ضد المتظاهرين، بعد حادثة الغرفة A16، معك أنت بالتحديد.. فقد جرىٰ قبل ذلك الكثير!

أشعر أنكِ أنقذتني علىٰ نحو جيد؛ ولكنني أودُّ أن أعتذر لك عمّا حدث في ذلك اليوم، أو بالأحرىٰ الطريقة التي اِلتقينا بها!

-٩-

تزوجنا وعشنا حياتنا بشكل طبيعي، علىٰ الرغم من أن العديد من الفرص أتيحت لي للإِنتقام من جمال؛ لكنني أحببته، شعرت بلطف الحياة معه، تمنيت أن يواصل عمله علىٰ نحو ما كان، أعرف أنني تأثرت به. ولكنني أرغب في أن يستمر في عمله.

شارع الحرية صاخبًا، ذهبت لرؤية حاجة حليمة، فلم أجدها، وعندما سألت عنها، أخبروني بأن القوات الأمنية اِعتقلتها منذ شهور بدعوىٰ جمع ناشطين محسوبين لمعارضة النظام في مكانها.

ما زال الانقلاب قائمًا وما زال المتظاهرين يخرجون في الشوارع طلبًا للحرية والسلام والعدالة، المشهد نفسه يتكرر..

فقط الحاجة حليمة لم تعد هنا! بل تصنع دورًا جديدًا فيه، من خلال سجون النظام.

ب. الخاطرة

لَنْ أبرَحَ حتَّى أبلُغَ

د. عبد الباقي المحمود محمد

إن أول عهد ينبغي أن يأخذه الإنسان على نفسه إذا أراد تحقيق الأهداف والوصول إلى الغايات؛ هو أن لا يقف في وسط الطريق حتى يبلغ مجمع بحر أهدافه وطموحاته، ويسبح في تحقيق خططه المرسومة أو يمضي حقبا.

لا ريب أن كل إنجاز عظيم ترسو في طريقه جبال عقبات، وحفر صعوبات؛ وعلى العازم الحازم أن يدفن هذه ويقلع تلك ويستمرّ في طريقه بخطى واثقة ونظرات ثاقبة آملة.

النجاح يستحق التضحية، والعراك مع المصاعب والمشاق يحتاج إلى الشجاعة والتحلي بالصبر والإصرار، والتغلب على ميل النفس إلى الركون إلى الدعة والترف، والتبرير والتسويف.

لذا ينبغي لكل جاد في عمله، مصر على تحقيق أمله أن يستحضر من أول يوم ينطلق فيه أن الطريق ليس مفروشا بالورود، وأن المصاعب محكّ الرجال؛ ليهيّئ بذلك نفسه على الصبر والمضي قدما نحو قمة النجاح. قال أبو العلاء المعرّي:

لأستسهلنَّ الصعب أو ادرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر

وقبله قال موسى الجملة التي عنونّا بها للخاطرة: ﴿ **لا أبرح حتى أبلغ** ﴾ أي: لا أزال أسير حتى أصل. المعري يعرف أن الأماني لا تنقاد للكسالى الضَّجِرين، أما موسى عليه السلام فيدرك أن الاستمرار في السير إلى المطلوب هو المرحلة التالية لمرحلة الانطلاق، وهي المرحلة الأكثر أهمية لذا هي الأصعب؛ فعزم على أن لا يزال سائرا إلى حيث يوجد الخضر ليعلمه مما علمه الله.

قال أحد المتسابقين في مجال الركض: ((الناس لا يرون النتائج في شهرين فيستسلمون، أنا تدربتُ أربع سنوات لأركض تسع ثوان.

وهذه مشكلة أو عقبة أخرى قد تصيب السائر إلى النجاح السالك طريق الفلاح، وهي تعجّل النتائج **"والنفس مولعة بحب العاجل".**

لذا ينبغي للعاقل أن يحذر من هذه المشكلة، ليتسلق سلم مبنى المجد درجة درجة، وأن ينعش إرادته وينشط عزمه ـ مثلا ــ بتخيل نفسه بعد الوصول، وقراءة بعض الحكم التي تتعلق بما هو فيه كقول أبي القاسم الشابي:

ومن يتهيب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفَرْ

لأن الحياة تفكير وتخطيط، وكفاح وجهاد، وإصرار ومثابرة، وتفان لا توان.

أن يبدأ الإنسان مشروعا معينا أمر مهم جدا؛ لكن استمراره فيه حتى النهاية هو الأهم. ولا غرابة فالبدايات للجميع ولكن الاستمرار للجادين وحدهم.

لذا من أراد أن يظهر الفرق جليا بينه وبين المتواكل المتواني فليكمل ما بدأ، ولينقش في ذاكرته ويردد عبارة: **"لن أبرح حتى أبلغ".**

ذَاتٌ عَرْجَاءُ

أ. عزيزة علياني

عَنْ مَرَارَةِ الشَّوْقِ نَتَحَدَّثُ...

كُلَّمَا اسْتَبَدَّ بِنَا الشَّوْقُ تَرَانَا نُوَاسِي أَنْفُسَنَا بِأُغْنِيَةٍ أَوْ بِصُورَةٍ مُعَبِّرَةٍ.

تَرَانَا نَخْضَعُ لِأَحْزَانِنَا عَلَّ الْخُضُوعَ يُخَفِّفُ مِنْ حِدَّةِ آلَامِنَا، فَالْمُقَاوَمَةُ وَمُجَاهَدَةُ النَّفْسِ تُؤْلِمُنَا.

لَسْنَا فِي حَاجَةٍ أَنْ نَكُونَ أَقْوِيَاءَ دَائِمًا، بَلْ عَلَيْنَا أَنْ نَسْتَسْلِمَ أَحْيَانًا كَيْ نَعِيشَ بِسَلَامٍ.

أَنَا كَاذِبَةٌ وَقَدْ امْتَهَنْتُ الْكَذِبَ مُؤَخَّرًا، فَوَجْهِيَ الْبَاسِمَ وَضَحِكَاتِي الْعَالِيَةَ لَيْسَتْ إِلَّا أَكَاذِيبَ.

رَقَصَاتِي عَلَى بَعْضِ الْأَنْغَامِ هِيَ مُجَرَّدُ أَكَاذِيبَ، فَكُلُّ ذَلِكَ مُجَرَّدُ زَيْفٍ أُخْفِي وَرَاءَ هُ حَقِيقَتِي.

وَاللَّهِ أَنَّ دَمْعَتِي أَقْرَبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَهِيَ لَا تَسْكُنُ الْأَعْمَاقَ بَلْ دَائِمًا مَا تَحُطُّ رِحَالَهَا عَلَى حَافَّةِ الْجُفُونِ، حَتَّى أَنَّهَا تَسْبِقُ كُلَّ تَعْبِيرٍ.

أَنَا أَحْتَرِقُ مِنْ الدَّاخِلِ وَلَا أَحَدَ يَعْلَمُ بِذَلِكَ... أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ بِخَيْرٍ، لَدَيَّ رَغْبَةٌ مُلِحَّةٌ فِي هَجْرِ هَذَا الْكَمِّ الْهَائِلِ مِنْ الْآلَامِ.. فَأَنَا عَلَى حَافَّةِ الْانْهِيَارِ وَلَا أُرِيدُ ذَلِكَ.

الْإِنْسَانُ لَيْسَ مُسْتَقِلًّا وَلَا مُنْفَرِدًا بِذَاتِهِ، فَذَوَاتُنَا لَيْسَتْ مِلْكَنَا، بَلْ نَحْنُ مَزِيجٌ بَيْنَ ذَوَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ. فَكُلُّ جُزْءٍ فِينَا هُوَ مِلْكٌ لِأَحَدٍ مَا، وَكُلَّمَا فَقَدْنَا شَخْصًا إِلَّا وَأَخَذَ قِطْعَةً مِنَّا مَعَهُ.

وَيَسْتَمِرُّ الْفِقْدَانُ وَيَسْتَمِرُّ مَعَهُ التَّمَزُّقُ حَتَّى يَأْتُونَ عَلَى كُلِّنَا.

رحمات السماء

أ. كزيز حياة

أصبحت أدرك الآن جيدًا أن العناية الإلهية هي التي كانت، ولا تزال ترعاني، وأنا التي كنت لا أدري، لقد كانت تحيط بي بالرغم من جهل علمي بها، وكانت دائمًا تعينني في غفلة مني.

أيقنت تمام اليقين أن قدرة الله الخفية الخارقة القوى، غير المرئية هي التي تمدني بالقوة للاستمرار، وتزرع بداخلي الأمل والإصرار، وتحثني على المضي قدمًا، لقد كان شيئًا ما خفيًا أقرب مني إليَّ.

نعم، لقد كانت رحمات السماء التي غيرت مسيرة حياتي، وأدخلت السكينة إلى قلبي، وهبتني رجاحة عقلي، وأخذت بيدي إلى الطريق القويم، وأرشدتني بهدايتها إلى السلوك السوي.

أدركت أن الجميل في قانون العناية الإلهية أن هنالك رابطة مستترة ترتهن بوصال من الله، وهو الأقرب إلينا من حبل الوريد، خيط متوارٍ يحبك الإيمان في سرائرنا، ويوطد علاقتنا بربنا العظيم العلي.

أعي تمامًا أنه لا أحد منَّا يعرف تمام المعرفة كيف ينزل الله رحماته علينا، ولكننا نأنس برعايته التي تلفنا، ونشعر بحفظه الدائم لنا، ونحس بلطفه الذي يغمرنا، وكلما وثقنا بالله زاد إيماننا بوَلاية الله لنا؛ فنطمئن، "ألا بذكر الله تطمئن القلوب"، كيف لا؟! ولقد سأل المصطفى ولاية ربه «وتولني فيمن توليت» ألا فتولني.

هروب

أ. أحلام محسن زلزله

رحَلْتَ عني ... وتركتَ بين يدي

الكثيرَ من حُبِّك ... وفي مسمعي

موسيقى كلماتٍ حلوة ... أدندنها

أنام على ... أغانٍ أحْبَبْتُها

فيها من قصَّتِنا ... من ضحَكِنا

تُعَذِّبُني ... أهربُ

أتعرَّى من أفكاري ... من كرامتي

أصفعُ ضعفي ... والقدرُ يردُّني

آثار عطرك ... في حبّي

على دربي ... أحببتُ وهمي

هربتُ منك ... ولكن لم أهربْ بدونك

خَذلتني نفسي.

وميض كمان أحيته ذاكرتي

أ. ياسمين يخنه

أمام ذاك البيت المنسيّ في هاوية ذاكرتي، في غابة تلاشت على أرضها حدود الزّمان اللّامتناهية، كمان تُرك بين ورود الصّدفة عند حافّة الطريق. وحيداً هناك، يعزف لحن الأرواح المتجمّدة، ويتلو ترانيم السّهى لعابري الأفكار المشتّتة بين شموع الحقيقة الخافتة في حقول النّسيان. تُرك هناك لينثر غبار الأساطير على أثير كلمات خطّها مداد قلمي، في لحظة خيال عابرة لم يدرك معناها إلّا هو...

كاتب وكتاب

حوار مع الكاتبة الدكتورة زينب لوت

أ. أحمد طامش

* يسرّنا أن نستضيف في هذا اللقاء الدكتورة زينب، أستاذة وباحثة في جامعة الجزائر، ومحاضر دولي شاركت في العديد من الندوات والمؤتمرات الدولية ومعارض الكتاب في مصر وتونس والجزائر وفلسطين ودول الخليج العربية.

من أهم أعمالها الأدبية:

- رواية حصار المرايا.
- صخرة الرماد.
- كتاب منطق الصورة.
- كتاب الأيقونوغرافيا كمفهوم جديد للرواية.
- كتاب لعبة الفوضى وجماليات الكتابة - القراءة النقدية بوصفها عملًا أدبيًا.

* مرحبا دكتورة زينب.

** أهلًا بكم السادة الكرام القائمون على مجلة ثقافتك، أتمنى لكم مزيدًا من العطاء والتميز في سماء ثقافتنا العربية.

* وأنت دكتورة في جامعة الجزائر أودّ سؤالك عن انطباعك ورؤيتك تجاه ما يجب أن يقوم به المثقف العربي إزاء ثقافته وهُويته؟

** المثقف العربي مسؤول أولًا أمام قراءاته وسعة ثقافته وقدرته على فهم الحقيقة بمنطق منعزل عن الذاتية، حتى يكون نافعًا ومنتفعًا بالعلم والمعرفة متسع الأفق لا يحمل أيديولوجيا فكرية، بل يحمل ثقافة إنسانية تخدم وجوده وتواجده، وتحسّن من درجة الانفتاح الإيجابي بالهُوية العربية التي تتسم منذ العصور القديمة كالعصر العباسي بالانفتاح والحوار الحضاري وتداخل المعارف وخدمتها لبعضها بعضا، وهي تتصل بالضمير والإنسانية القابعة بداخل كل مثقف عربي أو جزائري.

* في إطار نشاطك الفكري والأدبي صدر لك مؤخرًا كتاب "منطق الصورة". لو تحدثينا عن ماهية ما يحويه الكتاب من منطلقات وأفكار.

** الكتاب دراسة فلسفية نقدية عن تشكيل الصورة عبر تدفّقها البصري عن طريق العين إلى الفصّ القذالي والفصل الجداري، ويعني أن الصورة تُعالَج بين الشحنة الحسية والطاقة المعرفية.

فالصورة وفي الكتابة يصبح لآلية الخيال طاقة تصوير الأشياء، وهناك اختلاف بين الوهم والتوهم أو الإيهام، وقد فَسّرت هذه المصطلحات، كما تحدثت عن أنواع الصورة ومراحل تشكيلها عبر التاريخ فنيًا وأدبيًا.

أيضًا في الدراسة اتجاه فلسفي يحدد منطق الصورة لتكون المعرفة أقرب للقارئ وأوضح وبطريقة مختلفة.

* بما أن ذلك عمل فلسفي عميق، هل يعني ذلك أن الدكتورة زينب لوت تميل أكثر إلى الاهتمام بالأعمال الفلسفية خلال مشوارها العلمي والثقافي؟

** كل العلوم فلسفية في منطقها، ومن هذا المنطلق تفكيري في تحليل الأشياء يبدأ دومًا من الفلسفة وتحديد الحركة والتشكيل والتغير والوصول إلى المفاهيم، إن ارتباطنا بالفلسفة شكل من أهم أشكال المعرفة، كل علم يحتاج إلى منطق، والمنطق يسير دومًا نحو الماهيات.

* ماذا عن مستقبل القراءة الناقدة في ظل انتشار العديد من الأعمال الأدبية بعيدًا عن المعايير والمنهج العلمي؟

** لا وجود لمنهج علمي في النقد، هناك حس نقدي أو تأويل أو قراءات أو تحديد دلالات النص، ولنقل: هناك تحديد للأسلوب والبنية التركيبية ودراسة العلامات، أما النقد الثقافي هو تجاوز النقد الأدبي للخطابات المضمرة، فالمعيارية لا تخدم الدراسات النقدية، هناك دراسات تخدم المجاملات أحيانًا، لكن لن ننكر الدراسات القارئة والمتفحصة.

* ما الدور الذي يجب أن تقوم به المؤسسات العربية المهتمة بالشأن الثقافي والأدبي في ظل انتشار وسائل التواصل الاجتماعي وما صاحبها من إسفاف وتزييف ومصادرة لحقوق بعض من الكتاب؟

** تعرف أستاذنا الكريم في الدول العربية فقط من نحمل المؤسسة المسؤولية الثقافة، فالإنسان المثقف لا أظنه يحتاج لمؤسسة أو حتى الكاتب يمكنه التأثير عبر مكانته التي يتخذها، فالميديا الآن خير آلية للانتشار والتوسع، وتعدّ من المؤثرات الخطابية التي يكتبها المؤلف في أي صورة كانت رسمًا أو شعرًا أو روايةً أو قصةً، الفنون تحتاج لفنان عبقري يحدد مكانته من خلال عبقريته ليؤثر حتى في المؤسسة الثقافية. أما عن حقوق الكتاب، أنا لم أبحث عن حقوقي، أكتب لأكون مرجعًا علميًا، أو لأكون صورة أدبية لوجودي، إلى الآن لم ألجأ لمؤسسة أو طالبت بحقوق التأليف.

وسائل التواصل الاجتماعي مهمة لكنها ذات حدَّين، هناك مرضى نفسيون بالرغم من مكانتهم يجعلون صفحاتهم مخولة لانتقاد الكتاب أو مهاجمتهم، وبالتأكيد لهم اتباعهم، ولكني لم أكن يومًا تابعة أو مهتمة لهذه الصفحات؛ لأن اهتمامي سيكون قيمة لهم.

أهتم بالنقد المنتِج داخل كتب ومنشورات ومقالات فيها وعي وإبداع، أما التنمّر فهو يعكس شخصيات مريضة تحتاج لمختص نفسي وليس لاهتمامي، فأنا غير مختصة بعلاج هؤلاء. أما الجانب الإيجابي فهو دعم الأصدقاء والتعرف إلى كتّاب ومؤلفات عبر العالم تزيد المعرفة والثقافة والتكوين العلمي.

* سؤال أخير.

ما النصيحة التي تودّين توجيهها إلى الاتحاد العالمي للمثقفين العرب الذي هو مؤسسة ثقافية ناشئة؟

** الاتحاد العالمي للمثقفين العرب مؤسسة ثقافية رائدة ومنتجة، بالرغم من بدايته القريبة فقد حقق الكثير من النتائج والإنجازات، مثل تأسيس مركز أبحاث اللغة العربية، وإصدار المجلة العلمية، وإقامة المؤتمرات العلمية بالشراكة مع كبرى المؤسسات الجامعية والعلمية، وتعدّ مجلة ثقافتك واجهة لذلك العمل، إضافة إلى أنه يضم خبراء وأكاديميين في مختلف التخصصات.

كما قلت من يصنع المؤسسة هم الأفراد، ومن يريد أن يصنع النجاح فعليه خدمة هذه المؤسسة، شريطة أن يكون طموحها إنسانيًا أولًا، ومعرفيًا علميًا ثانيًا.

ثقافة الطفل

دروقة – قصة قصيرة

أ. محمد سليمان سلامة الخوالدة

تدور أحداث قصتنا عن حياة حبة دراق صغيرة، عاشت حياتها على الشجرة، ثم بدأت حياة جديدة. كم هو جميل هذا الصباح! هذا ما قالته دروقة (حبة الدراق الصغيرة) لأخواتها، (باقي ثمار الدراق)، إنه يوم جميل، أليس ذلك صحيحا يا أمي؟

قالت شجرة الدراق: نعم، يا بُنيتي إنه يوم جميل من أيام الله.

نظرت دروقة إلى السماء، تطالع الطيور، وهي مغردة، وتنظر كم هي سعيدة!، تشتم نسمات الهواء العليل، تراقب قطرات الندى كيف تتساقط، تراقب الليل والنهار، وكم هي ساطعة أشعة الشمس، تنظر إلى كل ما حولها بنظرة سعيدة مفعمة بالحياة. شاهدت دروقة أسراب النمل في أسفل الشجرة، تحمل أشياء، يا تُرى، ما الذي تحمله تلك النملات؟

سألت أمها: أمي ماذا يحمل سرب النمل في الأسفل؟

ضحكت الأم الشجرة: "إنها أخواتك يا دروقة، حبات الدراق الناضجة التي سقطت على الأرض". خافت دروقة، وقالت: "لماذا تسقط؟ لماذا لا تبقى معنا هنا يا أمي؟ ولماذا لم تدافعي عنها؟ ضحكت الأم، وقالت: يا ابنتي كل واحد منا له دور في هذه الحياة، ويجب أن يؤديه بكل سلاسة واطمئنان، وكلنا مخلوقات الله، ويخدم بعضنا بعضًا، وفي داخلك نواة دراق قد تنمو، وتصبح شجرة أم مثلي، وقد تذهب إلى قاع المحيطات والأنهار، وقد تذهب إلى بيت النمل أو في حوصلة طائر، ستؤدين دورك في هذه الحياة، وانظري حولك، وستفهمين مع الوقت كل شيء، فقط اصبري وشاهدي.

في تلك الأثناء سمعت دروقة بعض حبات الدراق، وقد تغير لونها إلى الأصفر، وهي تستعد للنزول إلى الأسفل، وتقول: "لقد حان الوقت، إلى اللقاء وتقفز بكل فرح".

فهمت دروقة أنها مغامرة لكل حبة، ولا بد من الفراق، وبعد أيام تغير لون دروقة إلى اللون الأصفر، أحست

دروقة بالخوف ببعض الثقل، ونادت على أمها الشجرة، أمي أحس أن الوقت حان، فقالت لها الأم: "لا تقلقي يا دروقة، أتمنى لكِ حياة جديدة وسعيدة".

وسقطت دروقة، وتدحرجت على الأرض، ووقعت في شق قريب من أمها، ونامت دروقة هناك شهورا، وفي فصل الربيع دبت الحياة فيها من تلك الحبة، وخرجت شتلة صغيرة رأت النور، ونادت: "يا أمي أنا دروقة".

فقالت لها الأم: "أهلا بكِ، الحمد لله يا دروقة لم تبتعدي عني، وهنيئًا لك هذه الحياة الجديدة، ومع تقدم الزمن ستصبحين أما مثلي".

مُلْهُور

أ. فاطمة ماي

أخي الصغير ذو الأحد عشر ربيعًا يستمر في إزعاجي وتعكير مزاجي وإفساد أغراضي، دائمًا ما أقوم بتلقينه درسًا ولكن دون جدوًى، يختبئ خلف جدتي ويستمر في العبث والمشاكسة، كانت جدتي في كل مرة تقول لي: عندما يسرقه منك الملهور ستبكين على فراقة، كانت تلك الجملة تتكرر كثيرًا على مسمعي إلى أن سألتها عن سبب تكرارها لتلك الجملة.. أخيرًا حصلت على الإجابة.

تقول جدتي:

كانت أمي دائمًا ما تقول لي: حذاري من الذهاب للرعي وحدك؛ سيخرج لكِ "ملهور"، إياكِ ثم إياكِ التجول بمفردك ليلًا؛ سيقتلك "الملهور"، ابتعدي عن الأماكن النائية ولا تتبعي أي أصوات؛ فقد يكون ذلك آخر صوت تسمعينه.

ناهيك عن قصص أولئك الذين لقَوا حتفهم في البحار أو الصحاري أو حتى الغابات، ولم يتم العثور عليهم، تم تلبيس التهمة لذلك الكائن عديم الوجود.

مبالغة في وصف وسرد حكايات الملهور أكاد أجزم أنها أساطير الأولين، لا صلة لها بالواقع، أضغاث أحلام هُيِّئت للبعض وصدّقها البعض الآخر، ترّهات، خرافات، كلمات مبعثرة جمعوها لإخافة الأطفال، ولكن هيهات هيهات، لست ممن يصدق دون أن يبصر.

في الصباح الباكر وقبل الشروق تحركت مع أخي موليا الكسول نحو جيرسوا لقطع القصب النجيلي (آواي)، ومعنا بعض من غنيماتنا النحيلة وحمارنا العجوز (أنغرشي). كان ذلك أسوأ فريق ترسلني معه أمي، صدقًا! أخ كسول دائمًا ما يجبرني على القيام بأعماله، وخرفان نحيلة لا يمكنها الهروب من الذئاب، وحمار عجوز لا يمكنه حمل 40 لترًا من الماء، هل يوجد أسوأ من هذا؟!

قام موليا بربط الحمار وساق الغنيمات نحو العشب، بينما جلست أنا تحت شجر الدوم، أتأمل طلوع الشمس خلف جبل أرجمينا. مشهد مهيب وساحر جعلني أرغب في أخذ غفوه قصيرة، وبعد بضع دقائق انتابني شعور غريب، كل شيء من حولي أحكمَه الصمتُ، فتحت عيناي ونظرت من حولي، لم أجد أحدًا، لا موليا ولا الحمار ولا الغنيمات جميعهم اختفوا، وكأن الأرض التقمتهم فجأة، في البداية ظننت أنها مزحة ثقيلة اختلقها موليا لإخافتي، ولكن بعد التفكير كيف استطاع إقناع الحمار والغنيمات بالمشاركة في مزحته، هنا تيقنت أنه ثَمّةَ شيئًا ما خاطئًا، واصلت السيرة بخطوات واسعة بينما وادي القصب وسلاسل الجبال عن يميني وبحيرة إيدم عن يساري، استمر الطريق في التقلص حتى التقى قصب المياه العذبة بالمالحة، هنا قررت دخول غابات القصب للبحث عنهم، ربما سبقني موليا إلى هناك، تذكرت كلمات أمي وحكاياتها عن الملهور، ولكني تظاهرت بالقوة

وحاولت نسيان القصص، دخلت بخطوات غير ثابتة، فقد كان السيرة في القصب في غاية الصعوبة، التفتّ إلى الفتحة التي دخلت منها أراها تبتعد، فكرت في التراجع، لكن شيئًا ما في داخلي جعلني أواصل، سمعت صوت أنينٍ حاد ارتجفت له كل قطعة في جسدي، تقدمت نحو الصوت بخطوات مرتجفة وألقيت نظرة خائفة، وإذا بي أرى صور الجحيم بعينه.

كان ينتصب عند حافة الجبل كائن في شدة الرعب لم أفهم كنهه، أشبه بالإنسان ولكن دون ملامح، بلا حواجب أو شفتين، كان فمه وكأنما شُقّ أُحدِث بالسكين، ظهره المعوج أشبه بالعرجون القديم، وكان شيءٌ ما يسيل من فمه، كانت الخرفان الميتة مرمية في كل مكان، وكان الحمار ينهق دون توقف، ولكن الفاجعة لم تكن هنا، قُبض قلبي حين لمحت أخي يستقر أرضًا أمام ذلك الكائن.

أطلقت صرخة مدوية كادت أحبالي الصوتية أن تتقطع، ركضت نحو أخي دون أن أفكر في العواقب، احتضنته بقوة، وأطلق هو الآخر بعض الأنين لشدة ألمه، أغلقت عينيّ بشدة، أريد أن أموت بجانبه ذلك أهون بكثير، أحاطني موليا بذراعيه رغم قواه الخائرة ليهمس بصعوبة.. (اهربي).

لم أكن أقوى علي فتح عينيّ، الشيء الوحيد الذي كنت أشعر به ضربات قلب موليا المتسارعة.

ومن ثَمّ شعرت أنه يتحرك فتحت عينيّ بأقل ما يمكن لأجد ذلك الشيء ممسك بقميص موليا وسحبه مني بسهولة لأقع أرضًا، نهضت بسرعة وأمسكت برجل أخي لأصرخ ودموعي تنهمر: ما الذي تريده منا؟

وضع ذلك الشيء أخي على كتفه ليقفز إلى أعلى سلاسل الجبال، لم أعد أستطيع رؤيتهم...

كنت أتنفس بقوة من شدة التعب، تراجعت قليلًا ومن َثمّ استدرت لأركض بكامل قواي، حلّ فجأة ظلام دامس، الأعشاب كثيرة، كنت أتعثر تارة بجيف الأغنام وأقع تارة أخرى...

إلي أن حشرت نفسي بين القصب لأختبئ، بقيت في ذلك المكان طويلًا، الشيء الوحيد الذي كنت أسمعه كان صوت أنفاسي من شدة الصمت.. بقيت في ذلك المكان ساعات تلو الساعات.

أقسم إن حدث ونجونا من هذا الكابوس سأخبره أني أحبه، رغم كلماتي الجارحة التي دائمًا ما اتفوه بها، إلا أنه كان دائمًا البطل في عيني، لقد تشاجرنا البارحة عند البئر وكنت أنا المخطئة، رغم ذلك لم أعتذر وقمت علاوة على ذلك بفصح أسراره عند أبي، سأخبره أني آسفة، آسفة بكل ما تحمله معاني الندم، آسفة ملء السماء، وبينما كنت أجهش بالبكاء وقع شيء على رأسي ليوقف سيل الأفكار التي تموج في عقلي، فتحت عيني وإذا بحبة "دوم" وقعت من الشجرة على رأسي، التفت حولي بجَزَعٍ، وإذا بالقطيع يرعى في هدوء، وموليا يسبح في المياه!

منذ تلك اللحظة وإلى اليوم لا زال موليا يسأل عن سبب تغيري الجذري وأين ذهبت أخته المغرورة الكارهة للجميع!

دائمًا يجب أن تمتنّ لكل ما تملك مهما كانت تفاصيلها صغيرة، قد يأتي ذلك اليوم فجأة ولن نجد فرصة للاعتذار، اغتنموا الفُرص.. فالحياة قصيرة.

(السيدة بومة)

لعمر من 6 إلى 9 سنوات

أ. الزهراء محمد سعيد

يحكى أنه كانت هناك غابة واسعة جدا تملؤها الأشجار العالية، فها هي القرود تتقافز من شجرة لأخرى، وها هي الزرافة بعنقها الطويل تأكل أوراق الشجر، والفيل يلاعب صغيره في البحيرة، وكانت هناك أيضا السيدة بومة حارسة الغابة المخلصة؛ فهي تتمتع ببصر حاد وقدرة على سماع أدق الأصوات، كما أن ريشها الناعم يمكنها من الطيران دون صوت، كانت تقبض على اللصوص وتقتل الجرذان السارقة، كما كانت قادرة على السهر طوال الليل، فعاشت بفضلها الغابة في أمان، لكن ذلك لم يعجب الثعلب الماكر؛ فهو لا يستطيع أن يسرق صغار الطيور ليأكلها، ليس في وجود البومة.

بات الثعلب ليلته يفكر في طريقة للتخلص من البومة حتى واتته فكرة شريرة.

استيقظ مبكرا وذهب للقاء الأسد ملك الغابة، ورسم على وجهه علامات الحزن والقلق حتى أثار فضول الأسد فسأله: ماذا بك أيها الثعلب؟

فقال في مكر: أنا مستشارك المخلص لذلك ساخبرك ,لقد رأيت مناما سيئا يا مولاي وعندما بحثت عن تفسيره .....صمت ولم يكمل حديثه، فقال الأسد:ماذا وجدت؟

قال: نهاية ملكك.

انزعج الأسد وقال: ماذا؟ وضح، ماذا رأيت في منامك.

قال: رأيت جدك الأسد يقول لي: كلما زاد عدد البوم قلت أيام حكم حفيدي.

انزعج الأسد جدا خاصة أن السيدة بومة رزقت اليوم بصغير جديد وقال في نفسه: نقص عدد أيام ملكي؟

وتابع الثعلب: إن البومة نذير شؤم، أنا أكره صوتها ونظرات عينيها.

أخذ الأسد يفكر، وقرر جمع الحيوانات وقال: قررت طرد السيدة بومة وكل البوم من الغابة.

ارتفعت أصوات الحيوانات مستنكرة، فتابع بصوت قوي وقال: هذا قراري.

فقالت البومة: أنا حارستكم المخلصة، ما جنايتي التي جعلتك تغضب مني؟

زأر الأسد بصوت قوي وقال: إنك نذير شؤم، وجودك سينهي مملكتي، ارحلي الآن، قضي الأمر.

استسلمت البومة وجمعت أغراضها ورحلت هي وقومها وسط دموع الحيوانات والطيور واستنكارهم ما عدا الثعلب الماكر، فكان يقف في الخلف وهو يحاول إخفاء ابتسامة النصر.

انتشرت السرقات، وازداد خوف الحيوانات والطيور التي سرقت صغارها التي كان يأكلها الثعلب ليلا دون أن يراه أحد، كما علمت قبيلة الجرذان برحيل البوم فجمعت جيشا كبيرا وهاجمت الغابة.

ركضت الحيوانات والطيور صارخة مستغيثة بالأسد وقالوا: سرقت صغارنا، نهبت منازلنا ومخزون طعامنا حتى الأخشاب قرضتها الجرذان، ضاع أماننا برحيل البوم.

وهنا تدخل القرد وقال وهو ممسك بالثعلب: رأيت ذلك الثعلب وهو يتسلل ويسرق الطيور ليلا، لكنه هرب عندما شعر بحركتي، لم يدرك أنني رأيته.

ذهبت كل الكائنات لجحر الثعلب ليجدوا بقايا ما سرقه، فصرخت الطيور وهاجمت الثعلب وجرحته حتى أدمت وجهه وقطعت ذيله.

صرخ الثعلب وطلب مساعدة الأسد الذي زأر في غضب وقال له: لقد خدعتني لكي تستطيع السرقة، لكن يقع الخطأ الأكبر علي؛ أنا من صدقتك دون بينة.

فقال الثعلب في ذعر: لا، لم أخدعك.

ضربه الأسد ضربة قويه أفقدته السمع فهرب وركض بعيدا مقطوع الذيل فاقد السمع وجسده مملؤ بالجروح.

أرسل الأسد في طلب السيدة بومة واعتذر منها أمام الجميع، وطلب منها أن تسامحه، وأن التسامح من شيم الكرام.

سامحته البومة وقالت: علينا ألا نصدر أحكامنا دون أن نتبين.

قال لها: أوافقك الرأي.

انتشر خبر رجوع البومة فهربت الجرذان وعم الأمان من جديد، وفرحت الحيوانات والطيور جدا، وقال القرد: لا شؤم من شيء خلقه الله، كل ما يخلقه الله جميل.

مَنْ يُريدُ المُساعَدَةَ؟

أ. سهر لقماري

تُحبّ **جودي** قِراءةَ القصَصِ، وَذاتَ يَوْمٍ انْتَبَهَتْ لِأمرٍ يتكررُ في كلِّ القصصِ: فَفي كلِّ مرَّةٍ هُناكَ مَنْ يحتاجُ إلى "المساعَدةِ".

قررتْ حِينَهَا البَحْثَ في الجِوارِ عنْ أحدٍ قَدْ يَحْتاجُ مساعدةً، مهمَا كانَ نوعُها؛ وحتى تكونَ في أتمِّ الاستعدادِ، مَلأتْ حقيبةَ ظهرِها بكلِّ ما يُمكِنُ أنْ يَليقَ بالمهمةِ العظيمةِ:

- ضمادَةً لأُسعِفَ، منديلٌ لأمْسحَ، تَمرٌ لأطْعِمَ، ماءٌ لأرْوِيَ، حَبْلٌ... وشاحٌ... قلمٌ... ملقط... مقصّ...

صارَتِ الحقيبةُ مُمتلِئةً حتَّى إنَّ ظهرَها الصَّغيرَ لا يقْوَى على حَمْلِ كلِّ ذلكَ، لَكِنَّها تُكابدُ، فالأبطالُ لابدَّ أنْ يتحمَّلوا العَناءَ لِيُنجِزوا المُهِمّاتِ الصّعبةِ، ويُحقّقُوا العَدالةَ.

بَدَأتْ بإطلالَتِها على أمّها: قُبْلَةٌ وابتسامةٌ، وسُؤالٌ على غيْرِ العادَةِ:

- ماما الحَبيبَة، هلْ تَحتاجينَ منّي مُساعَدَةً؟

استغربت الأم الطلبَ الغيرِ المُعتادِ، واكْتفتْ بقول:

- لا داعِيَ عَزيزتي، اذهَبي للَّعبِ فاليومَ إجازةٌ.
- حَسنا أمّي، سأرَى في الجِوَارِ إنْ كانَ هنالكَ منْ يَحْتاجُ المُساعَدةَ.

بَيْنَمَا تَمُرّ بالجارةِ، وجَدَتْها تُنَظّفُ عَتبةَ المنْزلِ، أَلْقتْ التَّحِيّةَ بأدَبٍ وَوقفتْ أمامَها بِانتظامٍ، وبِصوتٍ مُتقطّعٍ وهيَ تُرتّبُ الحقيبةَ على ظَهْرِهَا قالتْ:

- هلْ تحتاجينَ للمساعدةِ خالَتي؟
- لا داعيَ بُنيّتِي، هذَا لُطفٌ مِنْكِ.

فأعادتْ الطلبَ بإصرارٍ، ورَدّتِ الجَارةُ باسْتِغْرابٍ:

- أنتِ فتاةٌ طيّبةٌ لكنّنِي فِعْلًا لا أحتاجُ مُساعَدةً ! "

انصَرفتْ جودي خائبةً ولكنَّ أمَلها باقٍ في العثورِ عَلى أحدٍ في مَأْزقٍ.

ها هُوَ العمُّ غانم، خضَّارُ الحيّ، مؤكدٌ سيَكونُ الأكثرَ حاجةً للمساعدةِ، وقفتْ تُشَاهِدُهُ وهوَ يُحرّكُ الصناديقَ ويُرتّبُ حباتِ الخُضَرِ والفواكهِ، فَانتبهَ إليها وَسَألها :

- مرْحباً، هلْ تريدينَ شيْئاً؟
- نعَم، أريدُ المساعدةَ.

- وكيفَ أساعِدُكِ؟

هَزَّتْ رَأسَها في هِمَّةٍ وردَّتْ عليْهِ بِثِقةٍ:

- لا، أنا مَنْ يُريدُ مُساعدتكَ، لا بدَّ أنَّ عَمَلكَ مُتعِبٌ، ألاَ تريدُ أنْ أساعدكَ في شيْءٍ؟ أيِّ شيْءٍ.

مُستغرباً حَماستَها:

- أنتِ فتاةٌ طيّبةٌ، لكنَّني فِعْلاً لا أحتاجُ مُساعدةً!
- غَريبٌ ! ـ قالتْ في نَفْسِها ـ أَلِهَذهِ الدرجةِ الناسُ في هذا الحَيِّ لا يَحْتاجون للمساعدةِ؟! فَكلُّ مَنْ أسْألهُ يَكْتفي بِنَفْسِ الإجابَةِ: :" أنتِ فتاةٌ طيّبَةٌ، لَكنَّني فِعْلاً لا أحْتاجُ مُساعَدةً! "

وبعدَ دقائقَ مِنَ المَشْيِ:

- حَسناً، ها هوَ عَمّي شُرْطيّ، كَثِيراً مَا يقْصِدُهُ أَشْخَاصٌ يحْتاجُونَ المُساعَدَةَ، إذنْ رُبمَا سَأجدُ أحَدَهُمْ بالقُرْبِ مِنْهُ.

وَقَفَتْ جودي بِجانبِ الشُّرْطيِّ وَألْقَتِ التّحيّةَ، ابتسمَ لها ولمْ يُكلمْها وتابعَ عمَلهُ بمُراقبةِ الطريقِ. مَكثَتْ ثابتةً باهتمامٍ، مرَّةً تنظرُ إليهِ ومرةً حوْلهُما عَسى أنْ يظهرَ أحدُهمْ، استَسْلمَ الشرطيُّ الصارِمُ أخيراً وسَألها :

- هلْ تَحتاجينَ لأيِّ مُساعَدةٍ؟
- تماماً يا سيِّدي، هذا ما كنْتُ سَأسألكَ إيّاهُ...
- عَفواً؟ أنا؟ لا! والآنَ عودِي إلى مَنْزِلِكِ، سَيُخيّمُ الظلامُ. وإنْ ثمَّةَ منْ سيحتاجُ لمساعدتِكَ ستجدينهُ في طريقِ العَودةِ.

عادتْ جودي أدْراجَها خائبةً والغَضَبُ على وَجْهِها، بَيْنَمَا خَيالاتُ أبطالِ قِصَصِها تُحَلِّقُ حَوْلَها مُتَباهِيَةً بتَصْفيقِ الناسِ.

- أيعقلُ؟ هَلْ أعيشُ في حيٍّ جميعُ أهلِهِ أبطالٌ وأقوياءُ... هَذَا غيرُ عادِلٍ!

لحظةً، جاءَتنِي فكرةٌ، إنْ كانَ حَيُّنا كَذلِكَ، فلَربما أجِدُ طالباً للمسَاعدةِ في الحيِّ المُجاورِ!

فِعلاً نفَّذتْ جودي فِكرَتها، ومَرَّتْ بِزُقاقٍ يوصِلُ إلى الحيِّ المُجاورِ، لكِنَّهُ كانَ طويلا مُتَشَعِّباً فَضاعَتْ فيهِ؛ وغَابتْ الشمسُ وحلَّ الظلامُ، والأسوَءُ كانَ الانقِطاعُ المُفاجِئُ للكَهْرباءِ. شعرتْ جودي بخوفٍ شديدٍ، ركضتْ وركضتْ إلى أنْ أبصرتْ مَنزلا أمَامَها مَفتوحَ البابِ... دخلتْ إليهِ، وحينَ انتبهتْ إلى أَنَّهَا لمْ تستأذِنْ اعتذَرَتْ قائلةً:

- أنَا آسفةٌ يا أهلَ البيتِ، دخلتُ منزلَكم بِلا اسْتِئْذانٍ؛ هلْ مِنْ أحَدٍ؟

ارْتابتْ وقلِقتْ، إذْ لمْ يُجبها أحدٌ، أنْزلتْ حَقيبةَ ظَهْرِها وَجَلسَتْ على كُرسيٍّ بِباحةِ المنزلِ، ثمَّ تَأمّلتْ بِعينيْها المُتْعَبَتيْنِ:

- هذا المنزلُ... يشبهُ كثيراً مَنزلَنا! غريبٌ، أظنُّ المنَازلَ في هَذا الحيِّ تُشبهُ المنازلَ في حيِّنا... إذنْ أهلُها أيْضا...يُ... ثمَّ صمتتْ، فقدْ غطَّتْ في نَومٍ عَميقٍ، مُتكِئةً على منْضَدَةٍ.

أطلَّ الصباحُ، فوجدتْ جودي نفسَها في فِراشها مُغطاةً بِملاءَتها المُفَضَّلَةِ.

- أَ يُعْقَلُ أنْ يكونَ كلُّ هذَا مُجرّدَ حُلمٍ؟

خَرجتْ مِنْ غرفَتِها وقدِ اختلطَ في ذِهنِها الحلمُ بالحقيقةِ، استقبَلَتها أمُّها ولمْ تُوَجِّهْ لها أيَّ لوْمٍ أوْ عِتابٍ، فقطْ سُؤالاً؟

- لقدْ كنَّا بحاجةٍ إليْكِ، في الوقتِ الذي أرَدنا المساعدةَ لمْ نَجدْكِ!
- حقّا؟ هلْ فِعْلاً كُنتمْ بِحَاجَة مساعدتِي؟ ظننتُني لنْ أسمعَ هذهِ الكلمةَ أبداً.. ولكنْ؟

نَطَقَ الجميعُ:

- ولكنْ ماذا؟
- لِمَ احتجتمْ مساعدةً مِنِّي؟

أجابَها والدُها:

- لِنبحثَ عنْ فتاةٍ متهَوّرةٍ راحتْ تبحثُ في كلِّ مكانٍ عنْ أحَدٍ لِتساعِدهُ، فضاعتْ وصارتْ هيَ منْ تحتاجُ للمساعدةِ...!

نظرَ الجميعُ لبعضِهمُ البعضَ، ثمَّ قهقهوا ضاحكينَ، أمَّا جودِي فَأدركتْ أنَّها إنمَا عادتْ منْ طريقٍ آخرَ إلى مَنزلِها، وبقيَ مفتوحاً لأنّ الجميعَ خرجَ بحثاً عنْها، وعندَ عودتِهم وَجدوها نائمةً فحَملوها لِغُرفتِها. وأدركتْ كذلكَ أنَّ تقديمَ المُساعدةِ للآخرينَ فيهِ خيْرٌ كثيرٌ، وَلكنْ مساعدتهمْ بحُسنِ التصرُّفِ فيهِ الخيرُ كُلّه.

من المثقف إلى المثقف

الخطاب التربوي في المغرب و انعكاسه على مشروع إدماج الأمازيغية في المنظومة التربوية (الجزء الثاني)

أ. عبدالله الواثق

- الارتجالية و الفشل عنوانان لتدريس الأمازيغية:

إذ كانت الارتجالية هي السمة البارزة التي طبعت الخطاب التربوي في بلادنا منذ الاستقلال حيث تبنت الدولة خيار التعريب و مغربة التعليم إلى يوم الناس هذا، فإنه بالضرورة لن يكون هذا الخطاب حول مستجد قديم جديد هو تدريس الأمازيغية أفضل من سابقه. فما هي مظاهر الارتجالية التي تعكسها مختلف الخطابات الرسمية و غير الرسمية حول اللغة الأمازيغية و إدماجها في المنظومة التربوية؟ و قبل أن نجيب على هذا السؤال، تجدر الإشارة إلى " أن أحد أهم أسباب استعمال اللغة لتعميق اللامساواة المرتبطة بالهيمنة هو سيادة البنيات اللاديمقراطية، أي بنيات لا يقيم فيها الذين يقررون السياسات اعتبارا لأولئك الذين تمسهم تلك السياسات. إن ثبات البنيات اللاديمقراطية للدولة يعد السبب الرئيسي في الارتباط الوثيق بين السياسة و السلطة و السيطرة**(8).**

أولا: الخطاب الرسمي:

- مبادرات المؤسسة الملكية و غياب الإرادة السياسية الحقيقية:

تشكلت أول خطوة للمؤسسة الملكية سنة 1994، ففي ظل ظروف حساسة جدا ، و على إثر احتجاجات الفاعليات الامازيغية، والمذكرات الحزبية و الجمعوية في العقود الأخيرة من القرن العشرين، والتي كانت تنادي بإدماج الأمازيغية في المنظومة التعليمية, ارتأى الملك الحسن الثاني أن يعترف بأهمية اللغة الأمازيغية وضرورة تدرسيها في المدرسة المغربية باعتبارها مكونا حقيقيا وجوهريا للهوية والحضارة المغربية وضمن ذلك في خطاب 20 غشت. وكان من النتائج المباشرة لهذه الخطوة تبني نشرة أخبار مسائية متلفزة باللهجات الأمازيغية الريفية و تاما زيغت و تشلحيت.

وفي سنة 2001 أصبح الدور الريادي يأخذ شكلا معقلنا من التأييد المعلن للاعتراف بالحقوق اللغوية والثقافية لأمازيغ المغرب. وقد أعطيت انطلاقته في خطاب أجدير حين أعلن الملك محمد السادس في 2001/10/17 عن إنشاء المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، و حمل على عاتقه مهمة إعادة الاعتبار للأمازيغية و ذلك بجعلها قضية وطنية و ليست خاصة بفئة معينة من الشعب المغربي، ودعا الحكومة للعمل على إدماج الأمازيغية في

المنظومة التربوية، و اختير حرف تيفيناغ كحرف موحد للأمازيغية، كما أصبحنا نشاهد حضورا ملموسا للمادة الصحفية الأمازيغية بالقناتين الوطنيتين.

و في 2003 انطلقت تجربة تدريس اللغة الأمازيغية في 120 مدرسة عبر التراب المغربي عملا على إدماجها في المنظومة التعليمية. وفي نفس السنة، تم اعتماد خط تفيناغ بمباركة المؤسسة الملكية وتم الاعتراف به دوليا سنة 2004. وفي سنة 2008، أصدر المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية "كتاب النحو المرجعي للغة الأمازيغية". وفي نفس السنة تمت المصادقة على مشروع تأسيس قناة تلف زية تبث برامجها بالأمازيغية شرعت في العمل بحلول يونيو 2009 ليلغى حينها مصطلح "اللهجات". أما على الساحة الثقافية فقد انتشرت الكتب التي تتحدث عن الأمازيغية بكثرة.

و ما إن أطلت سنة 2011 حتى اندلع حراك احتجاجي بالمغرب في إطار ما يعرف بحركة عشرين فبراير ،حتى تداركت الدولة الموقف و اختارت التجاوب مع مطالب الشارع، إذ أعلن الملك في خطابه ليوم 9 مارس 2011 عن إجراء تعديلات دستورية تشمل سبعة مرتكزات أساسية جاءت الأمازيغية على رأسها بحيث أكد الخطاب على ضرورة "التكريس الدستوري للطابع التعددي للهوية المغربية الموحدة، الغنية بتنوع روافدها ، و في صلبها الأمازيغية، كرصيد لجميع المغاربة." و جاء هذا التكريس رسميا في خطاب 17 يونيو 2011 الذي أعلن فيه الملك عن مضمون التعديلات الدستورية التي عرضت على الاستفتاء في فاتح يوليوز من نفس السنة، و تناولالخطاب الملكي الصيغة الجديدة لهوية المملكة و لغاتها الرسمية في المحور الثاني معلنا:" دسترة الأمازيغية كلغة رسمية للمملكة، إلى جانب اللغة العربية ".

رغم كل هذه المبادرات التي نهجتها المؤسسة الملكية فإن تجاهل الحكومة و البرلمان لنداءات الملك لتفعيل رسمية الأمازيغية رسخ لدى فئة عريضة من المغاربة الاعتقاد بغياب إرادة سياسية حقيقية عند "السلطة العليا" في المغرب للنهوض الفعلي والحقيقي بالأمازيغية من أجل إنصافها. فكيف يضطر الملك إلى تجديد دعوته للبرلمانيين في مناسبتين مؤكدا على ضرورة تفعيل رسمية الأمازيغية، و كذا احترام الفصل 86 من الدستور المغربي الذي ينص على أن "مشاريع القوانين التنظيمية المنصوص عليها في الدستور تعرض وجوبا قصد المصادقة عليها من قبل البرلمان في أجل لا يتعدى مدة الولاية التشريعية الأولى التي تلي صدور الأمر بتنفيذ هذا الدستور"!

و في هذا السياق قال الملك محمد السادس في الخطاب الذي ألقاه بالبرلمان يوم 12 أكتوبر 2012، بمناسبة افتتاح الدورة الأولى من السنة التشريعية الثانية من الولاية التشريعية التاسعة، أنه:" و فيما يخص هويتنا المنفتحة و المتعددة الروافد، فقد سبق لنا أن أرسينا دعائمها في خطابنا الملكي التاريخي بأجدير، ثم كرسها الدستور الجديد. و في هذا الصدد، ينبغي اعتماد القوانين التنظيمية المتعلقة بتفعيل المجلس الوطني للغات و الثقافة المغربية و كذا تفعيل الطابع الرسمي للغة الأمازيغية، بعيدا عن الأحكام الجاهزة و الحسابات الضيقة.

مضت ثلاث سنوات على الخطاب الملكي السالف الذكر و لم يقدم البرلمان على أي شيء يذكر فيما يخص تفعيل رسمية الأمازيغية، قبل أن يعود الملك لينبه أعضاءه مجددا في خطابه ليوم 09 أكتوبر 2015، في افتتاح الدورة الأولى من السنة التشريعية الخامسة من الولاية التشريعية التاسعة إلى أهمية إقرار القوانين التنظيمية المنصوص عليها في الدستور قبل نهاية الولاية التشريعية حيث قال الملك مخاطبا البرلمانيين:" إن ما ينتظركم

من عمل خلال هذه السنة لاستكمال إقامة الم ؤسسات لا يستحمل إضاعة الوقت في الصراعات الهامشية، فمشاريع النصوص القانونية التي ستعرض عليكم شديدة الأهمية و الحساسية.

و أضاف الملك:" لذا ارتأينا أن نذكر الحكومة و البرلمان بضرورة الالتزام بأحكام الفصل 86 من الدستور ،الذي يحدد هذه الولاية التشريعية كآخر أجل لعرض القوانين التنظيمية المتعلقة بتفعيل الطابع الرسمي للغة الأمازيغية و المجلس الوطني للغات و الثقافة المغربية، و ممارسة حق الإضراب و مجلس الوصاية... هذه القضايا الوطنية الكبرى تتطلب منكم مايعا أغلبية و معارضة، حكومة و برلمانا، تغليب روح التوافق الإيجابي و الابتعاد عن المزايدات السياسية. ففي ما يخص مراحل تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية لتقوم مستقبلا بوظيفتها، يجب استحضار أن العربية و الأمازيغية كانتا دائما عنصر وحدة، و لن تكونا أبدا سببا للصراع أو الانقسام. أما المجلس الوطني للغات و الثقافة المغربية، فإن الأمر يتعلق بإقامة مجلس يضم كل المؤسسات المعنية بهذه المجالات و ليسوضع هيكل عام لمؤسسات مستقلة".

- **المؤسسة التشريعية بمجلسيها.. الارتجالية و المنع:**

لا بد من الإشارة في البداية إلى أن لجنة الخبراء التي أعدت نص دستور 2011 اقترحت صيغة تكريس المساواة بين الأمازيغية و العربية و الحماية لهما معا، لكن " حصل تدخل أطراف ترفض المساواة و ألحت على تكريس في النص، فالصيغة الأصلية التي قدمتها اللجنة هي:" الأمازيغية و العربية لغتان رسميتان للدولة، و تعمل الدولة على حمايتهما و تطويرهما و تنمية استعمالهما"، هذه الصيغة تكرس المساواة و الحماية في الفصل الخامس قبل تغييره لتصبح " تظل العربية اللغة الرسمية للدولة، و تعمل الدولة على حمايتها و تطويرها و تنمية استعمالها" و " تعد الأمازيغية أيضا لغة رسمية للدولة باعتبارها رصيدا مشتركا لجميع المغاربة بدون استثناء. يحدد قانون تنظيمي مراحل تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية، و كيفيات إدماجها في مجال التعليم، و في مجالات الحياة العامة ذات الأولوية، و ذلك لكي تتمكن من القيام مستقبلا بوظيفتها، بصفتها لغة رسمية(9).

و بما أن نص الدستور يكرس التمييز ،فإن ما سيصدر من قانون تنظيمي لن يخرج عن هذه القاعدة، بل إن أولى بوادر هذا التمييز افتت اح البرلمان المغربي توجهه المناهض للأمازيغية بإعلان رئيسة جلسته المنعقدة يوم الإثنين 7 مايو 2012 عن قرار لرؤساء الفرق النيابية بعد التشاور يقضي بمنع الحديث بالأمازيغية داخل البرلمان إلى حين توفير أجهزة الترماة، و التي لم يتم توفيرها بعد ذلك طبعا، و جاء قرار البرلمان إثر طرح نائبة من حزب التجمع الوطني للأحرار سؤالا شفويا بالأمازيغية قبل أن يتم منعها من إكماله.

الحزب ذاته (التجمع الوطني للأحرار) و بعد أن توصل من تنظيم أمازيغي في إطار ندوة نظمت بمجلس المستشارين يوم الأ ربعاء 21 نونبر 2012 تحت إشراف رئيس المجلس، و تحت الرئاسة السامية للملك، بمشروع القانون التنظيمي للأمازيغية قدمه الحزب لاحقا باسمه للتداول في البرلمان، سيقوم بعد سنة و بالتحديد يوم 27 نونبر 2013 بإصدار بلاغ يعلن فيه عن سحبه لمقترح قانون الأمازيغية الذي سبق و تقدم به، و برر الحزب قراره بكونه جاء تنفيذا للتوجيهات الملكية السامية المتعلقة باعتماد التوافق و الانفتاح و الروح التشاركية في إعداد و إخراج القوانين التنظيمية، باعتبارها نصوصا مكملة للدستور، و بهدف تفعيل إرادة البناء الجماعي للنصوص التشريعية المفعلة للدستور.

و أورد البلاغ ذاته أن فريق التجمع الوطني للأحرار بمجلس النواب تجاوب بسحب المقترح التنظيمي المتعلق

بالأمازيغية المعروض أمام اللجنة المختصة للتداول و الدراسة، و أن فريق التجمع الوطني للأحرار بمجلس النواب الذي كان سباقا و أكثر إيمانا بضرورة إخراج هذا القانون إلى حيز الوجود، و مؤمنا باللغة الأمازيغية و ثقافتها ،باعتبارها مكونا أساسيا، و دعامة لا محيد عنها في الهوية الوطنية المتعددة و الغنية ليجدد التأكيد على انحيازه الدائم إلى جانب كل الكفاءات و التنظيمات و المؤسسات المؤمنة بجعل هذا التنوع حقيقة، و معيشا يوميا بما يصون الهوية الثقافية لبلادنا في إطار التنوع الثقافي و اللغوي، و يعزز اللحمة الوطنية.

هكذا تكون حصيلة عمل المؤسسة التشريعية في ما يخص تفعيل رسمية الأمازيغية هي مسايرة الحكومة في تعمدها تجاهل تفعيل المضامين الدستورية المرتبطة بالقانون التنظيمي طيلة الفترة التشريعية، و التراوح بين منع الحديث بالأمازيغية داخل هذه المؤسسة، مرورا ببضع أسئلة و أجوبة لنواب ووزراء، و انتهاء بسحب حزب التجمع الوطني للأحرار لمشروع قانون تنظيمي من التداول. و قد استدعى هذا الاستهتار، و الدخول في الصراعات الهامشية، و خطابات جوفاء مستنزفة للوقت تدخل الملك لتجديد دعوته للبرلمانيين في مناسبتين مؤكدا على ضرورة تفعيل رسمية الأمازيغية، و كذا احترام الفصل 86 من الدستور المغربي.

- **الحكومة و خطاب التملص:**

لم يتردد عبد الإله بنكيران يوم الأحد 12 أكتوبر 2014 خلال لقاء ماعه إلى جانب أحزاب الأغلبية الحكومية مع برلمانيين منتمين لفرق الأغلبية بمجلسي النواب و المستشارين في القول:" إن ملف تنزيل الأمازيغية يحتاج لتدخل جهات عليا لتفعيلها على أرض الواقع نظرا لكونه ملفا أكبر من حكومته، و أنها ليست وحدها مسؤولة عن ذلك" فهو بتواريه خلف خطاب المظلومية و التحكم يجعل الحكومة تتنكر لبرنامجها و تفشل في تفعيل الدستور.

جاء ذلك بعد ثلاث سنوات عجاف بالنسبة للأمازيغية لم تختلف عنها بقية الأعوام التي تلتها من عمر ولاية حكومة عبد الإله بنكيران؛ إذ منذ الإعلان عن التزامها بتفعيل رسمية الأمازيغية في برنامجها لم تتخذ الحكومة أي إجراء لترقية اللغة و الثقافة الأمازيغيتين، مما جعلها في مواجهات مطالب و انتقادات و احتجاجات مختلف إطارات الحركة الأمازيغية، و هي الاحتجاجات التي لم يسلم عدد منها من القمع أو المنع، و في أحسن الأحوال التجاهل و الصمت، إلى أن خرج رئيس الحكومة متنصلا من أية مسؤولية في التماطل الذي هم تفعيل رسمية الأمازيغية و ملقيا إياها على "إرادة جهات عليا."

و في السنة الأخيرة من ولايتها ستفاجئ الحكومة الجميع يوم 14 يناير 2016، بإعلانها عن فتح الباب لتلقي مذكرات و اقتراحات المجتمع المدني و الفاعلين و المهتمين، خلال الفترة الممتدة من 15 يناير إلى 15 فبراير 2016، و ذلك في بريد إلكتروني على عنوان تابع للحكومة ،في إطار إعداد مشروع القانون التنظيمي المتعلق بتحديد مراحل تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية و كيفيات إدماجها في مجال التعليم و في مجالات الحياة العامة ذات الأولوية تفعيلا لمقتضيات الفقرة الرابعة من الفصل الخامس من الدستور.

و لم تمنع معارضة إطارات أمازيغية عديدة لتلك الخطوة على اعتبار أنها بعيدة كل البعد عن المنهجية التشاركية، و لا مقاطعتها الحكومة من الانفراد بصياغة مشروع قانون تنظيمي للأمازيغية يحمل رقم 26.16

أجمع الأمازيغ بمختلف أطيافهم على رفضه، و مع ذلك تم تدارسه في مجلس الحكومة بتاريخ 3 غشت 2016، و مصادقة المجلس الوزاري عليه بالقصر الملكي في طنجة يوم الإثنين 26 شتنبر 2016، أي قبل حوالي أسبوعين من إجراء الانتخابات التشريعية، إلا أن تلك المصادقة لا زالت تحتاج إلى مصادقة البرلمان على مشروع القانون لكي يتم احترام الفصل 86 من الدستور الذي تحدث فيه "المشرع" عن وجوب مصادقة البرلمان على مشاريع القوانين الواردة في الدستور قبل نهاية ولاية الحكومة الحالية.

العمل الحكومي إذن خلال خمس سنوات لم يأخذ بجدية تفعيل ترسيم الأمازيغية ، بل أكثر من ذلك حاولت الحكومة التنصل من المسؤوليات بإلقائها على جهات أخرى، كما سعت لتبرير تماطلها بكون صياغة قانون الأمازيغية يتطلب وقتا و تشاورا لكونه ملفا حساسا ، و هذا التوجه خالفته الحكومة في السنة الأخيرة من ولايتها ،حين أقدمت على الانفراد بصياغة قانون للأمازيغية خارج المنهجية التشاركية كما أماعت على ذلك كل إطارات فاختيار التعابير والألفاظ المناسبة للهدف "التلهيجي"، الذي الحركة الأمازيغية، و ذلك لغرض في نفس يعقوب؛يحول دون ترسيم حقيقي للأمازيغية، مثل "التعبيرات اللسانية"، "رصيد مش ترك"، "حماية الموروث الثقافي والحضاري الأمازيغي"، "يعد تعليم الأمازيغية حقا لجميع المغاربة"، "مراعاة للخصوصيات الجهوية"، "التواصل"، "تشجع ،""يمكن"، "يجوز"، "تيسير"، "تحرص"، "يتع ين"، "يراعى"، "تعمل"، "تسهر"... (لنلاحظ غياب لفظ "يجب" الذي يفيد الإلزام والالتزام)، (هذا الاختيار) هو نتيجة روية في التفكير، وتأن في انتقاء الكلمات وصياغة الجمل، وتو خ للتحايل والتضليل، وحضور لسوء النية المبي ت للتظاهر بتفعيل الطابع الرسمي للأما زيغية في الوقت الذي يمنع المشروع أي ترسيم حقيقي لها ...هنا يمكن القول إن التفكير في هذا المشروع والإعداد له يكونان قد بدآ منذ تنصيب حكومة السيد بنكيران في 3 يناير 2012، وليس منذ الإعلان عن بدء تلقي الاقتراحات بخصوص القانون التنظيمي للأمازيغية عبر البريد الإلكتروني ما بين 15 يناير و15 فبراير 2016. كل ما هنالك أن هذا المشروع أعد في سرية تامة.

وزارة التربية الوطنية في قفص الاتهام:

من حق المرء أن يتساءل كيف يمكن لتعليم مريض أن يحتضن لغة جديدة و نسقه عاجز عن تدبير قيم أكثر أهمية كالحرية، و العدالة، و الديمقراطية، و احترام الآخر؟! فلا غرو إن كانت خطابات المتعاقبين على هذا المجال الحيوي متضاربة، و تكشف زيف الخطاب الرسمي ،الذي يخفي مقاصد دفينة تناقض المصرح به، فإذا كان يصرح بإعادة الاعتبار للهوية المغربية واللغة الامازيغية، والمساواة اللغوية وتحقيق العدالة اللغوية والثقافية فإن عمقه يشي برغبة أكيدة في تكريس التمييز اللغوي والثقافي، و بعدم توفر الدولة على رؤية استراتيجية في التعاطي مع تدريس الأمازيغية، إلى جانب وجود توجه لإقبار المشروع بتسويق مغالطات لخلق قناعات بفشل التجربة وبالتالي التراجع عن تدريس الأمازيغية. و لا أدل على ذلك من التصريحات التي أدلى بها وزير التربية الوطنية والتكوين المهني رشيد بلمختار، بخصوص تدريس الأمازيغية ،و خلفت موجة من ردود الفعل وانتقادات الجمعيات والفعاليات الأمازيغية ،التي سجلت باستياء عميق ما اعتبرته كلاما "خط يرا ولا مسؤولا"، و مؤشرا عن التراجع الذي يهدد تدريس الأمازيغية بالمد راس العمومية ،عندما صرح الوزير بأن "دسترة الأمازيغية كلغة رسمية بالمغرب لا يعني تدريسها". كما أشار مدرسو ومدرسات اللغة الأمازيغية

إلى أن "وزارة التربية الوطنية عازمة وماضية في إجهاض مسلسل تدريس الأمازيغية بشكل ممنهج ضدا على الارادات القائمة في هذا الشأن، وهو ما يشكل خطوة تعود بنا إلى الوراء وتنم عن اللامسؤولية والتعصب للمواقف الشخصية في تدبير الملفات الكبرى للوطن .

لقد أعادت تصريحات وزير التربية الوطنية والتكوين المهني موضوع وضعية تدريس الأمازيغية إلى واجهة النقاش الحقوقي والتربوي بالمغرب، لاسيما في ظل توالي استمرار الصعوبات والاختلالات التي تواجه عملية إدماج الأمازيغية في المنظومة التعليمية بالمغرب والبطء الشديد الذي يطبعها، رغم مر ور أزيد من 10 سنوات على انطلاق تدريسها. هذه الانطلاقة التي ظلت متعثرة ومحدودة على مستوى تعميم تدريس هذه اللغة على صعيد مختلف مستويات وأسلاك التعليم ولجميع المغاربة .

من جهتها، وزارة التربية الوطنية الموجودة في قفص الاتهام، ما فتئت تؤكد أنها تبذل مجهودات هامة من أجل تعزيز حضور الأمازيغية في المنظومة التعليمية، وأن البطء يعود بالأساس إلى التدرج الذي يميز عملية تدريس اللغة الوطنية والرسمية للمغاربة، مذكرة بأنه منذ عقدت الوزارة اتفاقية شراكة، مع المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية يوم 26 يونيو 2003 تم وضع خطاطة زمنية وعملية لتمكين اللغة والثقافة الأمازيغيتين كي تحتلا مكانتهما في المدارس المغربية، و من اجل تنفيذ هذه الاتفاقية أصدرت وزارة التربية الوطنية عددا من المذكرات التنظيمية ابتداءمن مستهل الموسم الدراسي 2004/2003 وأهمها:

-المذكرة الوزارية رقم 108: التي جاءت في شتنبر 2003 بإدماج اللغة الأمازيغية في القسم الأول من التعليم الابتدائي...

-المذكرة الوزارية رقم 82: التي صدرت في يونيو 2004 وسعت إلى تنظيم دورات تكوينية في بيداغوجية وديداكتيك اللغة الأمازيغية يستفيد منها الأساتذة العاملون بالأقسام...

-المذكرة الوزارية رقم 90: التي صدرت في شتنبر 2006 لكي تستجيب للعمل على إقصاء مختلف العوائق البيداغوجية والبشرية التي تحول دون تنفيذ اتفاقية الشراكة على الوجه المطلوب، حيث أنها نصت على الدفع بالتكوينات إلى الأمام والحث على إضافة اللغة الأمازيغية إلى منهاج التكوين الأساسي لأساتذة التعليم الابتدائي ،وتضمنت مختلف صيغ جداول الحصص التي تمكن مكون اللغة الأمازيغية من احتلال مكانة بين المكونات الأخرى...

و منذ سنة 2013 تم الشروع في تدريس اللغة الأمازيغية ب 317 مؤسسة تعليمية ليبلغ حاليا أزيد من 4000 مؤسسة، وأن هناك 14000 أستاذا يدرسون الأمازيغية مؤطرين ب 260 مفتشا و1200 مديرا استفادوا من التكوين، إلى جانب 20 مكونا في المراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين، مكنوا 600000 متعلما من تعلم اللغة الأمازيغية .

غير أن الفاعلين الأمازيغ يرون في هذه الاحصائيات والأرقام مجرد لغة خشبية تجترها الوزارة لتمويه المغاربة والتستر على الفشل الذريع لهذا المشر وع المجتمعي الطموح، الذي لا يستحي بعض المعادين له من التصدي

للمحا ولات والاجتهادات - على قلتها - في سبيل تدريس حقيقي للغة الأمازيغية ." إن الارقام و الإحصائيات تعكس واقعا مخيبا لتدريس اللغة الأمازيغية بالمدرسة العمومية اليوم؛ حيث كل المؤشرات الكمية والكيفية الخاصة بالتجربة جد سلبية نتيجة السياسات التعليمية الفاشلة التي نهجتها كل الحكومات المتعاقبة على تدبير قطاع التعليم بالمغرب بما يؤكد أن الخطاب التفاؤلي الذي تضمنته لا وجود له في الواقع، إذ أن تدريس اللغة الأمازيغية يتعامل معه بطريقة مزاجية إيديولوجية عكس المواد الدراسية الأخرى. فكل ما تم تنفيذه في الواقع هو تكوين مدرسي المستوى الأول بالمدارس التي برمجت فيها اللغة الأمازيغية لأول مرة للسنة الدراسية 2006/2005، ومر في ظروف سيئة؛ لأن السلطات التربوية الجهوية والإقليمية لم تتخذ الإجراءات اللازمة حتى يمر هذا التكوين في ظروف حسنة، فاستدعاءات التكوين لم يتوصل بها مجموعة من المد رسين إذ تلقى اغلبهم الخبر عبر الرسائلالإلكترونية(sms)، كما أن البعض الآخر لم يستفيدوا من التكوين رغم برمجة اللغة الأمازيغية بمؤسساتهم، ولوائح الحضور خير شاهد على ذلك. أما قاعات التكوين فلم يتم تجهيزها، وتم انتظار حضور المسؤولين التربويين المحليين لافتتاح عملية التكوين. إضافة إلى ما سبق ذكره يمكن تسجيل سمات التعثر خلال الموسم الدراسي المذكور في ما يلي:

1- توفر الكتب المدرسية المقررة في مايع المواد بكثرة في السوق وانعدام كتب اللغة الأمازيغية خاصة كتاب المستوى الأول المطبوع سنة 2003 وكتاب المستوى الثاني المطبوع سنة 2004.

2- انعدام كتاب اللغة الأمازيغية للمستوى الثالث مما حال دون تدريس هذه المادة في 344 مدرسة.

3- عدم تكوين مدرسي اللغة الأمازيغية للمستوى الثاني والثالث مما نتج عنه حرمان أفواج التلاميذ الذين درسوها سابقا، وهذا كاف للحط من مصداقية الوزارة الوصية .

4- عدم احترام الغلاف الزمني المحدد في ثلاث ساعات أسبوعيا بالنسبة لمادة اللغة الأمازيغية في المستوى الثاني حيث تم حذف 45 دقيقة في كل أسبوع.

5- عدم إدراج الغلاف الزمني لمادة اللغة الأمازيغية في استعمال الزمن للمستوى الثالث. فهل هذا يعني أن هذه المادة لن تدرس في هذا المستوى احتراما لما جاء في الكتاب الأبيض.

6- عدم إدراج كتاب اللغة الأمازيغية في لائحة المراجع المدرسية المصادق عليها من طرف الوزارة والمقررة في مايع المستويات.

7- عدم إدماج اللغة الأمازيغية في مراكز تكوين المدرسين.

8- استهانة بعض نواب وزير التربية الوطنية بتدريس الأمازيغية كما هو الشأن للنائب الإقليمي بالخميسات و تصريحه اللامسؤول أمام المدرسين وبحضور مؤطري المعهد – ضدا على الخطاب الرسمي و إرادة الشعب – بعدم جدوى تدريس هذه اللغة.

إن الطريقة التي يتم بها تدبير الشأن الأمازيغي عموما و" إدماج" اللغة الأمازيغية خصوصا يؤكد أن الإرادة السياسية منعدمة لدى السلطات التربوية في المغرب، و لا تعي أن فشل تدريس اللغة الأمازيغية يعني فشل القرارات المتخذة من طرف أعلى سلطة في البلاد وتهديد للسلم الاجتماعي.

انطلاقا من هذه الوضعية "المتردية "يمكن أن نشير إلى مجموعة من الصعوبات والعراقيل التي كشفت عنها نتائج بحث ميداني قام به مجموعة من الأساتذة بدعم من المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية نجملها في الآتي(10):

أ- عدم ملائمة المقررات الدراسية وعمر التلميذ فهي مقررات لا تراعي الجانب السيكو-ذهني للتلميذ، فآلية اكتساب المعارف هي آلية جد معقدة وصعبة بالنظر إلى المستوى العمري لفئة التلاميذ.

ب- تدريس حروف تيفيناغ هي عملية يمكن وصفها بالصعبة.

ت- صعوبة فهم المعجم الموظف في النصوص.

ث- أكثر من 50% من التلاميذ غير ناطقين بها.

ج- انعدام المناهج التربوية.

ح- غياب الحافز نظرا لعدم اعتبار الأمازيغية ضمن المواد والمعاملات المحددة لرسوب أو إنجاح التلميذ خلال الامتحانات والتقويمات الإشهادية.

خ- عدم توفر التلاميذ على كراسات (باستثناء المستوى الأول والثاني).

د- عدم النطق السليم للكلمات.

ومن خلال المقابلة التي أجريت مع المتعلمين في البحث الميدان نفسه اتضح جليا رغبتهم في تعلم اللغة الأمازيغية ومواكبتها في مايع المستويات، رغم ان اصطدامهم الأول بحروف تيفيناغ واعتقادهم بكونها لغة صعبة التعلم يلزمها وقت كبير للفهم والمسايرة. ولديهم خوف ونوع من النفور لاستقبال هذا الحرف الجديد إلا أن هذا الغموض والخوف تلاشى تدريجيا مع الحصص الأولى، وتحول إلى رغبة جامعة في الانفتاح على ثقافة مجتمعهم ومقارنة لهجاتهم المحلية مع اللغة المعيارية، وما زاد من سرعة تعلمهم توظيف الحكايات الشعبية المستقاة من التراث الأمازيغي التي خولت لهم اكتساب مصطلحات جديدة وكثيرة خاصة بالنسبة للتلاميذ غير الناطقين بها أصلا.

إن إنجاح تدريس اللغة الأمازيغية – بعد 50 سنة من السياسة الإيديولوجية والتمييزية – يحتاج إلى وضع خطة محكمة ومدروسة ،تعتمد على تجنيد الموارد البشرية الكفؤة، و التركيز على تكوين وتخصص المؤطرين التربويين، وذلك بتكوين مفتشين متخصصين في مادة اللغة الأمازيغية يتولون المساعدة الميدانية للمدرسين على صعيد النيابات ومقاطعات التفتيش.

- **المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية و انتظار الإفراج عن القانون التنظيمي:**

اضطلع المعهد بمهمة إدماج الأمازيغية في الحياة العامة وعلى الخصوص في المسارات التربوية، وسوف يسارع فور تعيين طاقمه الإداري والعلمي إلى عقد اتفاقية شراكة، مع وزارة التربية الوطنية الهدف منها وضع خطاطة زمنية وعملية لتمكين اللغة والثقافة الأمازيغيتين من احتلال مكانتهما في المدارس المغربية. و قد صدرت عن مكونات المعهد خطابات التفاؤل لكون هذه الاتفاقية، في نظرهم، تجاوزت الطرح المحتشم الذي جاء في البند 115 من الميثاق الوطني للتربية والتكوين حول مفهوم الاستئناس، بحيث أنها تضع اللغة الأمازيغية في مصاف اللغات الأخرى، وتفسح لها المجال لكي تدرس في مايع المدارس الابتدائية والإعدادية والتأهيلية.

و لا ينكر أحد أنه مع تأسيس المعهد، تحققت مكتسبات عديدة للأمازيغية منذ سنة 2003، سواء من حيث تقعيدها و معيرتها وتبني حرف تيفناغ لكتابتها، أو إعداد الحوامل البيداغوجية والمقررات الدراسية والمقررات التوجيهية للتعليم الابتدائي، وقد تم إعدادها مايعها في وقت قياسي ،و قبل تبني الدستور الجديد الذي اعترف بها لغة رسمية.

لكن سرعان ما تغير الخطاب لدى بعض المكونات، لأن مهمة المعهد هي فقط "إبداء الرأي للملك في التدابير التي من شأنها الحفاظ على اللغة والثقافة الأمازيغيتين والنهوض بهما في مايع صو رهما وتعابيرهما." و قد صرح الباحث في المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية في المغرب IRCAM عبد السلام خلافي، قائلا: "ليست هناك سياسة لغوية حقيقية حتى الآن، هنالك تردد، و العقليات لا تزال غير مستعدة لدمج الأمازيغية ومنحها الفرصة. هنالك تغير في الخطاب، لكن لم يطل هذا التغير الممارسة بعد."، و صرح غيره بأن المعهد يفتقد إلى التوازن ما دام أغلب مكوناته من الجنوب، و قلة هم من الشمال و الوسط.

و من مؤاخذات بعض الفعاليات الأمازيغية على "الإركام، " موقفه من التصريحات اللامسؤولة التي تصدر من حين لآخر، ومن مؤشرات التراجع عن تدريس الأمازيغية، بحكم أنه المؤسسة الرسمية المنوط بها تتبع إدماج الأمازيغية في النسيج الاجتماعي والوطني. فهل ستعود المياه لمجاريها العادية و يصلح العطار ما أفسدته الأفواه و الأيدي، أم أن هذا القضية سيظل موضوع أخذ ورد؟ و أين هو إشعاع الأمازيغية في الفضاء الاجتماعي الوطني والجهوي والمحلي؟ هل توجد علامات المرور أو التشوير في الطرق مكتوبة بالأمازيغية كدليل على هذا الإشعاع للأمازيغية في الفضاء الاجتماعي؟ و هل توجد شوارع وساحات عمومية بأسماء مكتوبة بالأمازيغية تعبيرا عن هذا الإشعاع للأمازيغية في الفضاء الاجتماعي؟ وهل توجد مؤسسات رسمية تعلو واجهاتها كتابة أسمائها بالأمازيغيةتأكيدا لهذا الإشعاع الاجتماعي للأمازيغية؟ لا شيء من ذلك تم .و كم من موظف أو مستخدم تلقى تكوينا أساسيا أو مستمرا في الأمازيغية؟! و قد نص الفصل الخامس من ذات الظهير على "إعداد برامج للتكوين الأساسي والمستمر لفائدة الأطر التربوية المكلفة بتدريس الأمازيغية والموظفين والمستخدمين الذين تقتضي مهنتهم استعمالها، ألا يجد رئيس المعهد؟! أحمد بوكوس ما يردده سوى "ما زلنا ننتظر تطبيق الحكومة الحالية لوعودها بتفعيل الأمازيغية عبر قانون تنظيمي كما وعدت في التصريح الحكومي"، عقب تنصيبها بعد دستور 2011.

ثانيا: الخطاب غير الرسمي:

- **الأحزاب و النقابات واقع المحاباة و المصالح الضيقة:**

تكتسي اللغة العربية في مرجعيات الأحزاب السياسية المغربية والنقابات التابعة لها صبغة عالمية ووجودية، وتبقى الخصوصيات اللغوية والثقافية خا رج الفعل السياسي لهذه الأحزاب والنقابات. لذلك تكاد تكون الحقوق الثقافية واللغوية الأمازيغية غائبة في برامجها وأجنداتها ،وتحضر بشكل رمزي وصوري في الاستحقاقات الانتخابية، خاصة في استحقاقات 7 شتنبر 2007 عندما تم استرجاع المسألة الأمازيغية في البرامج السياسية والانتخابية على أساس أنها تشكل قضية وطنية تتشاركها مايع مكونات المجتمع المغربي وليست حكرا على طبقة أو مجموعة بعينها، لكن الحقيقة التي تتبين من خلال مقارنة الخطاب المعلن بواقع الأحزاب أن الأمر لا يعدو أن يكون مرتبطا بالمصاح الضيقة، و المحاباة للمؤسسة الملكية، و لا أدل على ذلك مما أشرنا إليه آنفا حول حزب (التجمع الوطني للأحرار) الذي برر سحبه لمقترح قانون الأمازيغية سبق و تقدم به بعد أن تسلمه من إحدى الجمعيات الأمازيغية بكونه جاء تنفيذا للتوجيهات الملكية السامية المتعلقة باعتماد التوافق و الانفتاح و الروح التشاركية في إعداد و إخراج القوانين التنظيمية.

و تجدر الإشارة إلى أن السياسة اللغوية المعتمدة من طرف الحكومات المشكلة من عدة أحزاب جعلت من الأمازيغية لغة للاستئناس التربوي والثقافي، ما أدى إلى بزوغ جيل جديد فاقت مطالبه بخصوص الأمازيغية ما هو منصوص عليه في البرامج السياسية للأحزاب من قبيل: العلمانية، وحقوق الشعوب الأصلية، وتقسيم الثروات، والتكتل في تنسيقات جهوية ،و هذا ما يفسر الدعوة إلى مقاطعة انتخابات 12 يونيو 2009. هكذا يظل خطاب الأحزاب السياسية حول المسألة الأمازيغية خطابا "مناسباتيا" تتحكم فيه الاستحقاقات الانتخابية (مع بعض الاستثناءات) .

- **الإعلام (مرئي- مسموع – مكتوب) و التحريض ضد الأمازيغية:**

ارتبط الخطاب الإعلامي المغربي الحزبي منه والمستقل بالعديد من المصطلحات التي أصبحت علامة بارزة في التعاطي مع المسألة الأمازيغية، من أبرزها: العنصرية – التفرقة – الفتنة – التعصب... ليساهم بذلك في بروز موقف رافض و مبعد لكل ما يمت إلى الأمازيغية بصلة من بعض مكونات المجتمع المدني، وكمثال على ذلك شجب الشبكة الأمازيغية من أجل المواطنة" للتصرفات غير المس ؤولة والعنصرية" الصادرة عن بعض مس ؤولي تنسيقية مناهضة غلاء المعيشة بالبيضاء والتي وصلت إلى "حد طرد أعضاء الشبكة من الاعتصام يوم 23 مارس و"منعهم من حمل الرموز الأمازيغية وكذلك اللجوء إلى السب والقذف" في حق مناضليهم .

كما أشارت بعض الأعمدة الصحفية إلى أن أخطر أزمة يعيشها المغرب حاليا هي بروز بعض "دعاة الفتنة" التي تصنف ضمنها بعض الجمعيات الأمازيغية ولاسيما تلك التي انخرطت في ماعيات الصداقة الأمازيغية الإسرائيلية. ودعت إلى سحب ترخيص هذه الجمعيات وذلك لأن إسرائيل دولة عدوان ودولة يقطع معها المغرب علاقاته الرسمية وأن الإقدام على ربط مثل هذه العلاقات هو "استفزاز لمشاعر المغاربة وحملة منظمة على ثوابت المغرب"، فقد أوردت جريدة)التجديد(أن هناك "مغاربة يتسللون إلى إسرائيل بمناسبة المشاركة

في يوم دراسي حول موضوع "زلزال أكادير وآثاره على الأسر اليهودية جنوب المغرب" وذهب كاتب المقال إلى أن هذه الخطوة بمثابة كسر "لمقاطعة إسرائيل"

- **شركاء المؤسسة التربوية:**

- **تفاعلات المجتمع المدني بين التأييد والمعارضة و الحياد:**

لعل الخطاب السائد لدى الرأي العام المغربي تجاه إدماج اللغة الأمازيغية في المنظومة التربوية يتأرجح بين ثلاثة أنواع: خطاب صادر عن فئة عريضة من المجتمع يعتبر الأمازيغية لهجة أو مجموعة لهجات محدودة الاستعمال لا ترقى إلى مستوى اللغة، وأن الاختلافات التي تطفو على السطح بين مختلف المتحدثين بها لا تؤهلها لكي تلعب دور لغة التعليم ولا أن تساير التطور العلمي والعالمي لكونها لم تلج بعد بعض الميادين الاستراتيجية مثل التعليم التقني و القضاء و الصناعة و الاقتصاد و غيرها .

أما الخطاب الثاني فيدعو أصحابه إلى فسح المجال للأمازيغية لكي تضطلع بجميع الأدوار التي تمكنها منأن تصبح لغة وطنية قائمة بذاتها، ويتم ذلك ، في نظرهم، بتبني لغة أمازيغية معيارية يمكنها تمثيل الاختلافات الجهوية و يساعد على اعتمادها لغة رسمية في مختلف البلدان التي يتواجد فيها ناطقوها.

لكن هذا الخطاب يصطدم بإشكالية تعدد اللهجات الأمازيغية على امتداد شمال افريقيا ، و اختلاف طرق كتابة الأمازيغية، بحيث أن الحرف المعتمد في المغرب ليس هو نفس الحرف المعتمد في باقي الدول .

و بين الخطابين يتموقع خطاب ثالث يفسر أصحابه الاختلاف بين الأمازيغية والعربية بأنه اختلاف داخل نفس العائلة اللغوية أي العائلة السامية مما يمهد لمقولة التمازج اللغوي والثقافي وأن التقاء العربية والأمازيغية في نفس المجال الجغرافي تمخضت عنه عناصر متداخلة، وهذه العناصر تجسدها طريقة المغاربة في التحدث بالعربية أو الأمازيغية حيث نجد أن العربية اقترضت كثيرا من المصطلحات والتراكيب النحوية والمخارج الصوتية والتصورات الدلالية من الأمازيغية في كثير من الميادين. كما أن الأمازيغية استمدت عدة مفردات ومفاهيم من العربية .

- **السلطات العمومية و ازدواجية الخطاب:**

تتبنى السلطات العمومية خطابا مزدوجا يتسم بالتناقض حيال الأمازيغية و ما ييسر إدماجها في الحياة العامة و على رأسها المنظومة التربوية؛ ففي حين يصدر عنها في الاجتماعات و اللقاءات و الندوات ما يشي بالعمل على اتخاذ إجراءات تساعد على إدماجها في مجال التعليم، و في مجالات الحياة العامة ذات الأولوية، كي تتمكن من القيام مستقبلا بوظيفتها بصفتها لغة رسمية ، نجدها في المقابل تسلك سبيل التضييق والمنع والمصادرة في بعض الأقاليم، مغلبة التصور الأمني للاختلاف الثقافي و الإثني على التصور العقلي، يتجسد ذلك في عدة مظاهر نذكر منها: المنع الذي يطال بعض الأسماء الأمازيغية و المرتبط أحيانا بأمزجة موظفي

مكاتب الحالة المدنية، والتعليمات الوزارية المطالبة بتعريب المراسلات والوثائق الإدارية والرسمية، ومنع التصريح لبعض الجمعيات الأمازيغية، و حجز الرموز الثقافية)العلم الأمازيغي(، و التضييق على الأنشطة والناشطين لاسيما في الإطار الجامعي في الجهات ذات الحساسية الهوياتية مثل مكناس وطنجة و تطوان ومراكش، و منع الاحتفال بالسنة الأمازيغية ،و غيرها مما يمثل تعارضا بين التوجهات والتدابير اللغوية والثقافية المحمودة للمؤسسة الملكية وسلوكيات موظفي السلطات العمومية كل هذه التناقضات تشكل دوافع مباشرة لتنامي الحزازات الثقافية واللغوية وتفاقم مشاعر الإقصاء وتعقيد الاندماج الوطني لأن هذا الأخير لا يتحقق إلا عبر بوابة الاندماج الثقافي واللغوي .

- **الجمعيات الأمازيغية و تدويل المسألة:**

بعد أربع سنوات متسمة بتجاهل الحكومة و البرلمان للمقتضيات الدستورية الخاصة بالأمازيغية، بالإضافةإلى سلسلة من التراجعات حتى عما تحقق قبل الحكومة من مكاسب للأمازيغية خاصة في التعليم، رفضت إطارات الحركة الأمازيغية إعلان الحكومة المغربية في سنتها الأخيرة عن فتح الباب لتلقي مقترحات المجتمع المدني في إطار إعداد مشروع القانون التنظيمي المتعلق بتحديد مراحل تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية.

و لم يسجل أن أعلن أي إطار أمازيغي عن تجاوبه أو استعداده للتجاوب مع خط وات الحكومة المغربية، بل وجه الأمازيغ الكثير من الانتقادات للتناول الحكومي للأمازيغية لتخصص بريدا الكترونيا لتلقي المقترحات المتعلقة بالقانون التنظيمي لتفعيل رسمية الأمازيغية، و ذلك على عكس تطلع غالبية إطارات الحركة الأمازيغية التي تطالب بتشكيل لجنة خاصة يكون الأمازيغ عمودها الفقري، و تنضبط في عملها للمقاربة التشاركية، و الأهم أن يتم تشكيلها بمبادرة ملكية، و ذلك على الأقل مثل لجنة إعداد القانون التنظيمي المتعلق بالمجلس الوطني للغات و الثقافة التي شكلت بأمر ملكي وفاء لمسلسل إنصاف الأمازيغية الذي ظل دائما طرفاه الرئيسيين هما الحركة الأمازيغية و المؤسسة الملكية.

و لا يخفي الأمازيغ أن مطالبهم جاءت نتيجة انعدام الثقة في الحكومة المغربية و مختلف الأحزاب السياسية التي واصلت العداء للأمازيغية و تجاهلت تفعيل ترسيمها على مدى عدة سنوات. و لعل الموقف الأمازيغي ثبتت صحته بعد أن أعلنت الحكومة عن مضمون مشروع قانون الأمازيغية الذي انفردت بصياغته، حيث جاء مخالفا للمقتضيات الدستورية و بعيد عن تحقيق المساواة بين اللغتين الرسميتين للدولة.

هذا و في ظل مؤاخذات و رفض الأمازيغ لمضامين كل من القانونين التنظيميين، الأول خاص بتفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية، و الثاني خاص بالمجلس الوطني للغات و الثقافة اللذان أعلنت الحكومة عن تدارسهما في مجلسها و أخذها علما بهما. و بعد مرور حوالي شهرين على الانتخابات التشريعية، و في ظل فشل مفاوضات تشكيل حكومة جديدة، يبقى وفاء الدولة بالتزاماتها فيما يتعلق بتفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية من عدمه و احترام الفصل 86 من الدستور حلما لم يتحقق طيلة الخمس سنوات الماضية، بل حلما تم إجهاضه.

و قد حملت خطابات الفاعلين في إطار الدفاع عن حقوقهم اللغوية والثقافية شعارات من قبيل الديمقراطية ،حقوق الإنسان، العلمانية، حقوق الشعوب الأصلية والعصرنة، كما حملت نوعا من المقاومة الشرسة لجهود

المعهد الملكي و مبادراته لتأهيل اللغة والثقافة الأمازيغية ،باعتباره المس ؤول عن "الوضعية الكارثية" التي آلت إليها اللغة والثقافة، فالشبكة الأمازيغية من أجل المواطنة دعت منذ 2006 إلى إنشاء "هيئة وطنية مستقلة مؤهلة لحماية وتأهيل اللغة والثقافية والحضارة الأمازيغية" تحل مكان المعهد الملكي للأمازيغية لما يعتري أنشطته من عدم الشفافية، وغياب المبادرات السياسية ،و تخليه عن المنحى النضالي، إضافة إلى أن تخصصاته غير منسجمة معتخصصات السلطات العمومية.

وفي سنة 1995 تم تدويل المسألة الأمازيغية بتأسيس المؤتمر العالمي الأمازيغي المكون من ماعيات تنتمي إلى دول عدة منها : مالي- المغرب- النيجر – الجزائر – تونس ودول المهجر وتبعه إنشاء صحف طالبت بقوننة اللغة والثقافة الأمازيغية وأكدت على راهنية المسالة الأمازيغية في كل إصلاح. كما بدأ بث عدد من الإذاعات عبر شبكة الانترنيت. وفي سنة 2000 تم صدور البيان الأمازيغي الذي وقعه عدد كبير من الناشطين الأمازيغيين والذي أكد على : وجوب اعتبار الأمازيغية لغة رسمية للبلاد من خلال الدستور. اعتماد برنامج لتنمية المناطق الأمازيغية الفقيرة. إعادة كتابة تاريخ المغرب و "تصحيحه" في المقررات الدراسية . إنشاء تلفزة أمازيغية. التصريح للأسماء الأمازيغية .

وفي يونيو 2006، وجه الحزب الأمازيغي الديمقراطي المنحل مذكرة للعاهل المغربي يطالبه فيها بمراجعة الدستور المغربي وإعادة النظر في مدخل الدستور المغربي والاعتراف بالحقوق اللغوية والثقافية للأمازيغ . وفيما يتعلق بمطلب إدراج الأسماء الأمازيغية في لائحة الأسماء المسموح بها في المغرب تتوحد المواقف على نعت موقف وزارة الوصاية والسلطات المعنية ب "عنصرية الدولة" وب "محاولة الاستلاب الثقافي" الذي يطال "الشعب الأمازيغي" من طرف "المخزن". يضاف إلى ذلك المطالبة باستعادة الأراضي وتقاسم الثروات الطبيعية .

يمثل هذا الجيل الجديد من التوجهات تحديا كبيرا للفاعلين السياسيين لاسيما الأحزاب المغربية حيث طالب مؤخرا عدد كبير من الجمعيات الأمازيغية بمقاطعة استحقاقات 2009 لأنها بعيدة عن تطلعات "الشعب الأمازيغي" لينتهي الأمر بمطالبة المؤتمر العالمي الأمازيغي للبرلمان الأوربي بإلغاء اتفاقية الوضع المتقدم التي منحها الاتحاد الأوربي للمغرب في 13 أكتوبر 2008 .

ومع هذه التطورات يمكن أن نتساءل : هل ستفضي هذه الحركية إلى زعزعة مقولة الانسجام الوطني والهوياتي في المغرب؟

وفي مقابل هذا تعبر بعض الجمعيات الأمازيغية في جل خطاباتها عن موقف وسط، مثل الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي التي تبنت تعريب و تمزيغ الحياة العامة في مقابل التصدي للغات الأخرى وبالخصوص اللغة الفرنسية وتبعاتها الفرنكوفونية، و تعتبر أن من لا يعترف باللغة الوطنية للبلاد، أي العربية، لا يمكنه أن يدعي الوطنية، وفي المقابل، من يرفض الأمازيغية، يصنف في نفس الخانة لأن الوطنية "لا تحتمل التجزيء.

و الحقيقة أن الفرنسية كما يقول الدكتور محمد خطابي "هي المشكلة الحقيقية في المغرب، لا اللغة الأمازيغية. وينبغي أن نميز في هذا الصدد بين رغبة المغاربة في المصالحة مع تاريخهم وواقعهم، وبين حشر فرنسا أنفها في ما يحدث. وأنا أومن بأن للمغاربة شأناً في التعامل مع فرنسا. وأن لهم من الوعي ما يكفي للتصديلمشاريع فرنسا، وهي معركة ليست هينة ولا بسيطة. ولا بد من التذكير بأن فرنسا الدولة كانت من أشد المقاومين لقانون

أوروبي يفرض على الدول الأوروبية المنتمية إلى "المجموعة الأوروبية" الاعتراف بلغات الأقليات، وضمان موقع لها في المدرسة، فليعتبر المعتبر. تعارض فرنسا لغات الأقليات في ترابها وتنافح عنها في بلدان أخرى. على الرغم من أن مفهوم "الأقلية" لا يمكن أن يصدق على الناطقين بالأمازيغية في المغرب(11).

و من الفاعلين من يرى ازدواجية الخطاب و السلوك عند الطرفين؛ فمعسكر دعاة التعريب في المغرب يعدون من الفئة التي تشجع على الفرنسية وتوجه أبناءها نحو الدراسة بالفرنسية. وتلاحظ هذه الازدواجية السلوكية كذلك عند النخبة الأمازيغية التي تدافع عن ولوج اللغة الأمازيغية للتعليم المغربي، بيد أن أبناءها يتابعون دراستهم في المدارس والمعاهد الفرنسية والأمريكية. كأن الفئتين معا تنتهجان نوعا من التفويض الممنهج والوصاية اللغوية والثقافية على باقي مكونات المجتمع المغربي دون أن يعني ذلك محيطها العائلي والأسري الخاص .

4- أيَّ خطاب نروم لتصحيح مسار الإدماج؟

نستنتج مما سبق أن الخطاب التربوي في بلادنا يتأرجح بين الواقع المفقود و الأمل المنشود، و بأننا في حاجة ماسة إلى سياسة الخطاب لا خطاب السياسة، و مع أن التعدد و التنوع " يخلق وضعا لغويا شديد التعقيد ،إلا أنه لا يشكل خطورة إذا ما تم تدبيره بموضوعية و عقلانية مرتبطتين بأسس و قواعد التخطيط اللغوي القائم على معرفة بالحاجيات الوطنية و متطلباتها من جهة، و رصد التطورات التي يعرفها المجتمع الدولي الخاضع لعصر و تقنيات المعلوماتية لتسهيل الاتصال و الإدماج في عالم الاقتصاد و التبادل الحضاري و التكنولوجي من جهة أخرى(12).

على الفاعلين السياسيين (أحزاب سياسية، مؤسسة ملكية، سلطات عمومية، فاعلين أمازيغيين ومجتمع مدني)،إذن، أن ينتهجوا في مقاربتهم للمسألة الأمازيغية تدابير سياسية وديمقراطية تأطر التعدد الثقافي واللغوي المغربي. لأن الموقف الموسوم بالهاجس الأمني أو الإقصاء الممنهج أو العداء الثقافي لكلا الرافدين الأساسيين للهوية المغربية، أي الأمازيغي والعربي، يؤدي إلى إضعاف التآلف الاجتماعي وتفتيت الروابط الإنسانية ويحول دون الاعتراف بالحقوق اللغوية والثقافية للمجموعات الإنسانية لتظل المعالجة الديمقراطية لهذه الحقوق هي الحل الأفضل أمام تحدي التعددية والتنوع، كما أن على الفاعلين السياسيين اعتماد منطق التمازج واعتبار المغاربة عنصرين متجانسين وأن الاختلاف لغوي صرف أما تصور العالم القيمي وثقافة المجال والمحيط فهو مشترك مغربي .

إن ترسيم اللغة الأمازيغية "لا يكتسي أي قيمة ملموسة إلا إذا أخذ بعين الاعتبار واقع الإنسان المغربي

الحقيقي، الذي لا يوجد إلا في المغرب الخلفي؛ مغرب الجبال الوعرة، و الصحارى القاحلة، و في ضواحي المدن الكبرى المهمشة، و هذا يعني أنه يتحتم ربط التعديلات الدستورية الجديدة بما هو اجتماعيو اقتصادي و تنموي ،لا التركيز على الأبعاد الرمزية و الشكلية لبعض القضايا السياسية و الثقافية، في حين يغيب تماما البعد المعيشي اليومي، الذي يعتبر الهاجس الأوحد الذي يسكن نفوس معظم المغاربة، عربا و أمازيغ. و هذا ما يس ري كذلك على البعد اللغوي الأمازيغي الذي جاءت به وثيقة الدستور فقط لسد باب قد تأتي منه ريح الثورة فنستريح، و لم تتعاط لجنة صياغة الدستور بجدية مع ملف تدريس اللغة الأمازيغية و تعميمها(13).

خاتمة:

ما تزال للأسف الخطابات السائدة، بما فيها خطابات الحكومات المتعاقبة، تشتغل بنفس الذهنية التقليدية المتحجرة التي أنتجت سياسات فاشلة خاصة تلك المتعلقة بتدبير قطاع التعليم بالمغرب و تعرقل سير هذا المسلسل، الأمر الذي يجعل كل المحاولات الاصلاحية على مايع الاصعدة يكتنفها نوع من الغموض، و تعكس واقعا مخيبا للآمال.

فالخطاب التربوي الذي تنتجه المنظومة التعليمية التربوية، بتعاون وتآزر مع مثيلتها المنظومة التربوية الأسرية و الإعلامية، هو خطاب يدعي مالا يسلكه ،عمليا، في سلوكياته وتوجهاته الكبرى. فهو بهذا المعنى، خطاب تربوي راكد يتسم بالسكونية والتحجر. وكل منظومة تتسم بهذه السمات السلبية ينبغي التفكير ،بجدية، في إصلاحها إصلاح اً شموليا وليس جزئيا، فليس هذا بالسهل ولا بالصعب، إذ يكفي فقط، أن تكون النيات خالصة تبغي وجه الله و الوطن لتتحقق الأماني.

و تشخيص واقع الخطاب التربوي يتطلب تقديم مقترحات للارتقاء به، على اعتبار أن الأساليب التربوية تحتاج إلى تخليق لكونه جزءا من تخليق الحياة العامة و ذلك ب:

- تقليص منسوب الخطابات الإيديولوجية التي تزج بالعملية التربوية نحو مزايدات شكلية تجعل نساء ورجال التعليم في مفترق الطرقات.
- اعتماد خطاب تربوي مبني على الفعل والعمل على تقديم حلول للمش اكل والقضايا الراهنة حتى يحسالمواطن أن هناك التزام من الفاعل التربوي بقضاياه.
- تحميل جزء من المسؤولية في تخليق الأساليب التربوية إلى وسائل الإعلام، باعتبارها قوة مراقبة و مؤطرة لكل عمل تربوي.
- تفادي الخطابات التي تركز على العناوين المثيرة و الفارغة المضمون.

إن مشروع "الإصلاح "لا ينبغي أن يتحكم فيه تغير الأشخاص ، لأنه مشروع أمة تريد أن ترفع عنها التخلف الفكري و التخلف الاقتصادي، و أن تتصاح مع ذاتها و تستعيد هويتها.

المراجع المعتمدة:

(1) محمد خطابي، المصطلح و المفهوم و المعجم المختص، دار كنوز للمعرفة و النشر و التوزيع، عمان ،الأردن، ط1، 2006م، ص-51.

(2) محمد صفار، تحليل الخطاب و إشكالية نقل المفاهيم- رؤية مقترحة، مجلة النهضة، كلية الاقتصاد و العلوم السياسية، القاهرة، عدد4، مج 6، 2005م، ص-110.

(3) سمير شريف استيتية، اللغة و سيكولوجية الخطاب، المؤسسة العربية للد راسات و النشر، بيروت، ط1، 2002، ص-15.

(4) عيسى عودة برهومة، تمثلات اللغة في الخطاب السياسي، مجلة عالم الفكر، عدد1، مج 36، 2007م، ص-123.

(5) عبدالغني عبود، طبيعة الخطاب التربوي السائد و مشكلاته، إسلامية المعرفة، بيروت، لبنان ،العدد 29، 2002م، ص- 48.

(6) علي أسعد وطفة، إشكالية الإصلاح التربوي في الوطن العربي، تحديات وتطلعات مستقبلية، مجلة الطفولة العربية، الكويت، مج 2، العدد 6 ، 2001م، ص- 80.

(7) حوار الذي قامت به مجلة عالم التربية العدد الأول شتاء 1996 حول أزمة نظام التعليم في المغرب مع عالم الاجتماع محمد جسوس ص 2- 31.

(8) جيمس و. طوليفصون، السياسة اللغوية خلفياتها و مقاصدها، ترماة محمد خطابي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 2007، ص-51.

(9) أعمال الدورة العاشرة للجامعة الصيفية بأكادير، الندوة الدولية حول تفعيل ترسيم الأمازيغية الآفاق و التحديات، اكادير، العدد 10، 2013م، ص- 25.

- الدستور، المملكة المغربية الأمانة العامة للحكومة، س. الوثائق القانونية المغربية، ط 2011، ص4و5.

(10) تقويم التحصيل الدراسي، التقرير التحليلي، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ،2016، ط1.

(11) موقع ماعية الترماة العربية وحوار الثقافات على الشبكة العنكبوتية ،نص الحوار الذي أجرته الجمعية مع الأستاذ الفاضل الدكتور محمد خطابي سنة 2008.

(12) عبدالغني أبو العزم، لا سياسة لغوية دون تخطيط لغوي، مجلة آفاق، العدد70 - 71، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، مارس 2006م، ، ط1، ص145.

(13) التجاني بولعواني، راهن الأمازيغية في ضوء المتغيرات الجديدة، افريقيا الشرق، الدار البيضاء ، 2014م، ط1، ص30.

التبادل السردي في رواية "ناقةُ صالحة"

أ. محمود حسانين

هل يمكن أن تتخيل إن الموروث أصبح بلا قداسة, نعم عندما يصبح التخيل نفسه مجرد كلمة لا تحمل أي اندهاش, لقد سيطرت التكنولوجيا على العقول وسلبت الألباب, لم يعد الورقي مقروء بقدر ما هو تدوين لما يحدث, كأنه نوت ملاحظات في أرشيف العالم, لقد طغت التكنولوجيا على كل حواس البشر, اصبح الافتراضي واقعي, لم يعد هناك حواجز ولا نوافذ, اصبح العالم ماء بنهر يجري على مشيئته, اختلطت كل الأجناس الأدبية والإبداعية, الصورة أصبحت خطوط لتحديد الملمح لا اكثر, وأصبحت المشاهدة تفاعلية بين المتلقي والمعروض على الشاشات, حتى ان الكتابات نفسها أصبحت تفاعلية, هل نتخيل, لا لم يعد للخيال مكان, بل فكر فيما يمكن حدوثه بعد ذلك.

يقول الأستاذ سيد الوكيل في كتابه "عملية تذويب العالم":
"يطرح "بودريار" مفهوم ما بعد الحداثة كونها عملية نقد للحداثة, لكنها لا تتناقض معها, فما بعد الحداثة هي الحداثة التي بلا آمال أو أحلام, كتلك التي مكنت البشر من احتمال الحداثة, بمعنى: لا شيء تغير أكثر من أن البشر قرروا مواجهة الواقع بلا آمال كبرى أو أحلام عظيمة, وحيث كانت هذه الأحلام وتلك الآمال بمثابة نواة مركزية كبرى, تدمغ العقلانية المثالية للحداثة"

ناقةُ صالحة.. المركزية والهوية:

" سُجن الشاعر, رفرفت القصيدة حرة"
من تلك المقولة انطلق مفهوم عدم المركزية للأشياء, حيث هو الوصف العميق الذي استخدمه الكاتب "سعود السنعوسي" في رواية "ناقةُ صالحة" لينطلق إلى أفق بلا حواجز أو معوقات, استطاع الكاتب أن يعيش بأبطاله الحياة بعكس ما يتمناها كل واحد على حدةً, رغم المصاعب والعراقيل التي تواجه كل واحد منهم, البحث عن الذات الغائبة في المكان, لا مهرب يصنعه الكاتب للخروج من حالة الانكسار النفسي, إلا من خلال مدخل جديد لسيرة الآخر, بتبادل سردي بين الراوي وأبطال العمل, اللغة تمثل ثقافة وهوية الكاتب, الموروث هو محور الأحداث, بل هو البطل الحقيقي للرواية ليمثل "الهوية". الانجذاب إلى الآخر هو طرف لمدارة غربة الروح وغربة الإنسان ليمثل عدم "المركزية" حتى وان كان في وطنه كما هي حالة "صالحة" فهي كعابر سبيل يريد أن يعزف للعالم أنشودة الغرام, كان الحب يلقي بشباكه على البطل-دخيل- الذي انتقل من بادية إلى أخرى, والحب يطوف معه, ليعلم الكون لحظات الوجد الملتهب, يمتزج الاغتراب في رحلة البحث عن الذات الغائبة, متمثلا برفض القبيلة زواج "صالحة بنت أبوها" بابن خالها دخيل بن أسمر، وتُجبرها على الزواج, من ابن عمها صالح ابن شيخ قبيلة آل مهروس.

توصيف المكان:

تتخذ الرواية من بادية الكويت المكان الجغرافي, بداية قيام المدنية، وصخب الحاضر المتسارع التي تمثل للبطل –المكان البغيض-, في حين ينسج الكاتب بخيوط الحنين إلى الماضي النقي, حيث البادية -المكان الأليف- بسردياته ومعتقداته, وجل أبطاله من إنسان وحيوان, بالخير والشر, حتى في نفسية الحيوان, تتجلى ملامح المعاناة الإنسانية في الأحداث بعدما نصل إلى أيقونة الرواية التي تتمثل في "صالحة" التي مثلت دورا مهما في خط سير الرواية, لقد أعلن الكاتب عن ما يتخفى في نفوس الكثير من أحاسيس, يخشون الإفصاح عنها حتى لا يستنكرهم الأخريين, كما وصل الكاتب أيضا إلى الحالة التي تتملك كل إنسان, عندما يريد البوح وتحقيق أمنياته, فالبشر كلهم يتحدون في شعور واحد, عندما يتطرق فكرهم إلى مغريات الحياة أو يغزوهم الحب أو يتملكهم الكره.
لقد قرر البطل أن ينغمس في أجواء العالم –المكان البغيض-, تاركا خلفه بعض تعاليم, وقليلا من خبرات وكثير من الذكريات, لينغمس في بحار الحياة, التي غسلته لتظهر له ذاته الغائبة.

التبادل السردي:

هناك مدلولات عديدة شمولية تخدم النص في كل موطن له, فتبنى الرؤية السردية للرواية على ثنائية توماتشفسكي، حيث يتجاور فيها السرد الذاتي "الرؤية الذاتية" مع السرد الموضوعي "الرؤية الخارجية" وقد ميَّز الشكلاني الروسي "بوريس توماتشفسكي- Tomashevsky Boris" بين نمطين من السرد: "سرد موضوعي" و"سرد ذاتي" ففي نظام السرد الموضوعي يكون الكاتب مطلعًا على كل شيء, حتى الأفكار السرية للأبطال، أما في نظام السرد الذاتي, فإننا نتتبع الحكي من خلال عينين "أو طرف مستمع" متوافرين على تفسير لكل خبر: متى وكيف عرفه الراوي أو المستمع فقط.
الكاتب يسرد موروثه من خلال بعض أبيات شعرية, فيكون بذلك قد ابدل السرد من نثر إلى شعر, ثم يعود ليروي على الربابة حكاية القبيلة, بالطريقة التي كانت تروى بها سيرة بني هلال مثلا, ثم يتبدل السرد إلى تذكر دخيل بحياته في قبيلته ومقابلته بصالحة, ورحلة الهجرة هروبًا من واقع يرفضه, ثم يأتي تبديل السرد لتروي لنا "صالحة" أحداثا جديدة لم يعلمها دخيل أو غيره, حتى تصل إلى رحلة التيه بحثا عن ذات زوجها الغائب وتتشارك معها ناقتها في تلك الرحلة, حتى يعثر عليها دخيل مرة أخرى, يتبدل السرد هذه المرة على لسان الراوي العليم الذي لم يتدخل في النص إلا قليل, فيسرد ما حدث وما سيحدث لهما, حتى موت صالحة وسجن دخيل, ثم نجد الكاتب يعطي المتلقي المبادرة ليكون هو سارد أيضا, ولكن بخياله في فصل عنونه ب"فالح" وترك صفحتين فارغتين, ليسرد عقل القارئ ما يمكن ان يتنبأه هو.

الزمن السردي:

يمثل الزمان في الرواية بداية القرن العشرين، حيث ان الكاتب ابتكر حدث متشظي في الرواية, وهو معركة الصرّيف التي جمعت آل الصباح و آل سعود, غير أن هذا السبب كان يمكن أن يوظف بصورة أروع, ليكتمل ربط التاريخ برغبة الأجيال الجديدة بكشف حقيقة التاريخ, بشكل أدبي اكثر مرونة, إن مفهوم الإنسان في القبيلة والبادية والريف بشكل عام, يتجه إلى ما يتوارثه من عادات وتقاليد وقيم, فالتاريخ بالنسبة لهم هو ما حدثه عنهم الأجداد, والحاضر هو ما يعيشه الفرد بدون أي تدبر له, والمستقبل في الخلفة ومن يرثه, ولكن مفهوم ما يطرحه العلم الحديث فهو غير ذلك, الإنسان في عصرنا الحالي ما هو إلا مخلوق اسفنجي, متنقل, يمتص كل ما يصادفه من عادات وتقاليد وعلوم وينتج عنه أفكار يحولها بفضل التكنولوجيا إلى سرديات تفاعلية, على سطح

الفضائيات, والأنترنت, وتحويل تلك السلوكيات العالقة في الذهن, والمنسية في الذاكرة إلى لوغاريتمات, تحدد حدث ما لوقت ما, يسير الزمان في الرواية سيرا منتظم، فالراوي في سرده يعتمد الزمن الكرونولوجي.
اعتمد الكاتب في الرواية البناء الزمن السردي, وفق تقنيات المفارقة السردية "الارتداد – الاستشراف" بين كونه ناقلاً لواقع زمني, وموروث شعبي متخايل, ويلجأ إلى تطعيم سرده بروح الكتابة العرفانية، فالكاتب في سرده يتمكن في الحضور الذاتي والزمني والمكاني، حيث تتناثر الكتابة حسب ما تقوده التجربة الموزعة بين طبقات والاستكشاف والمكاشفة، فيُخضع الكاتب نصه لسلطة الإلهام، الذي يمثل خط زمني مواز للأحداث في الرواية, صور الكاتب من خلالها أحداث زمنية ووقائع مكانيه بارتباطه بالمكان/ البادية, والوطن الجريح وترحال الغربة فيه, وبين تغريب المفهوم الذي وصفه الكاتب في أشعار كتبها الشاعر المتخايل/البطل.

الأنثروبولوجيا والانتماء:

يقول الدكتور أحمد مرسى: "إن الثقافة الشعبية الآن هي الحصن الوحيد الباقي للحفاظ على الهوية، وعلى ذاتنا، لأن العولمة وما أتت به من أشياء جيدة أو سيئة لم تنجح كما أرادت نظرًا لما قامت به الثقافة الشعبية في مواجهتها"
الكاتب مزج في روايته بين السحرية الواقعية والرومانسية الأفلاطونية, تعمل مع الصراع الإنساني بشكل فني جميل, لم يجعل أيا من أطراف الصراع الإنساني يطغي على الأخر, الرومانسية كانت تتقطر عذبة تجذبك إلى عالمها بكل انسيابية, الواقعية كانت تنساب بسلسة كأنها شيئا لم يكن بيننا عائش, يضع الكاتب المدينة في مقارنة مع بيئة البطل الصحراوية؛ فيستهجن على لسانه طين بيوتها, وضيق سككها وضجيج أسواقها، بينما يحلو له الترحال الأبدي الذي يألفه في صحراء مترامية.
الخرافة كانت حاضرة أيضا، حيث إيمان "أم دحّام"، الراسخ بانتقال روح الشيخ "أبي الغرابين" الذي وافته المنية لحظة ولادة فالح، الذي ترتبط به الخرافة حتي تنتهي به الرواية إلى التشظي, ونعتها لابن "صالحة" بالملعون لرفض أمه ختانه.
تقول الدكتورة نبيلة إبراهيم في مقدمة كتابها أشكال التعبير في الأدب الشعبي: " ما أروع أن نكتشف في الأدب الشعبي خلجات الشعوب النفسية واهتماماتهم الروحية, بعد ان كانت محجوبة عنا, حينما كنا وكما يرى الكثيرون الآن- إلا بفضل هؤلاء الذين قدروا قيمة الكلمة في كل صورها, فالإنسان لا ينطق بكلمة –فضلا عن ان يجمع بينها في تعبير أدبي- إلا اذا كان وراء ذلك مغزى, واذا كان لا يدر قد حرص على ان يضع اسمه على عمله الأدبي, اعتزازا بعمله, وحرصا منه على ألا ينسب هذا العمل إلى إنسان أخر, فهل يكون نصيب التعبير الأدبي الشعبي إهمال لمجرد انه لم يكن ملكا لفرد بيعنه.

المنظومة الكتابيّة بين الرّؤية الواهمة والوعي الإبداعي

أ. سامية بوغرنوط

على مدار السّنوات الماضية والسّعي الدؤوب نحو الخلق الإبداعي المتجلّي وجوده من خلال صيرورة العمليّة الإبداعيّة القائمة على المبدأ الجوهري الذّي يقع في صلب الإبداع الأدبي والفنّي بشتّى أجناسه، يرتبط بفنيّة الأدب كفكرة إبداعيّة غير مشروطة بمكان وزمان، يشرع المبدع في ممارسة تجربته الإبداعيّة وفتح أفق الحرف بتجليّات التميّز، والتهيّؤ للصّعود إلى القمم العالية المسوغة بفاعليّة ظاهريّة، وارتطام صامت ينسج مادّته في واقعنا الثّقافي رداء لمجمل الحياة الثقافيّة التي بات يعيشها الكاتب في عوالم الحرف، والحقيقة العميقة لجوهر الأدب بالخوض في مغامرة التجريب الإبداعي بوعي الذّات الكاتبة، أو من خلال الوهم المحفّز برغبات جامحة للوصول السّريع، الفاقد لخصائص الجماليّة والمصداقيّة الذاتيّة مع الحرف الواجبة الوجود.

على قاعدة واقعيّة ومن منطلق الرّؤية الواهمة التي أضحت عاملًا سلبيًا مسيئا للواقع الثّقافي، القابل للخوض في مغامرة التّجريب الإبداعي، والقابل بدوره للتّجلي بحكمة الوعي والمعرفة الكافية بقواعد الجنس الأدبي المتميّز والمتحقّق في نطاقه، والدّوافع التّي أوجبت السّعي لاعتلاء منصّة الحرف بشموخه من جهة، ومن جهة أخرى عدم امتلاك المهارات والزّاد المعارفي والاطّلاع على المجالات الحيويّة للآداب والفنون، الذّي أطفأ زيف التّجريب جذوات الطّوق الإبداعي، بدوافع شخصيّة خاضها الواهم، لامعة شكلًا جوفاء عمقًا ومضمونًا، فيسطع نجم المثقّف المزيّف بمحفّزات ذاتيّة ويصبح في الطّليعة، أمّا المبدع الحق صاحب الموهبة، النّادر والمنغمس في قضايا الجماهير والواقع، الذّي يعد منارة ثقافيّة راسخة حاملًا على عاتقه ثقل مسؤوليّة القلم وخدمة لقضيّة صادقة، فيغرق في التّيه مرتحًلا بزبد المخاض الإبداعي الحقيقي الموسوم بالفرادة والجمال والتميّز ويذهب جفاءً هباءً منثورًا.

ومن هنا، وباعتبار ذلك أثرًا أدبيًا يترك على حافة الوجود، يذكي الخيال ويساق إلى السّؤال عبر مسالكه الصّحيحة دون الإخلال بالعمليّة الإبداعيّة أو تشطيح جانب الكتابة على مسرح مدّعي اللّقب برغبة تصل درجة الهوس، سؤال الكتابة الجوهري لماذا نكتب؟ هل لنشارك الاهتمام المستحق للأدب؟ أم حتّى نصبح مستنسخين لنماذج من الجيل السّابق؟ ما الدّوافع التي تجعل المبدع بخوض غمار الحرف؟ وهل للمصداقيّة رابط بالأنا؟ أم إنّها استنطاق الرّهانات على البساط الأحمر؟ وأن الشّطحات الهوليودية باتت من المفاهيم التي ترفض المصادرة والتحكيم؟ وماذا عن الوعي الإبداعي من كلّ هذا العبث القائم؟

إنّه إذًا أكبر من مجرّد موضوع له قابليّة التحقّق على أعلى درجات سلّم الوضوح، وربّما قد يتخطّى ذلك، بل ولعلّ إدراكنا للحقائق وبنية التّلقين الكتابي يستعدي بالفعل الاستجابة التفصيليّة الواعية لكلا الطّرفين للكاتب والمتلقّي؛ لأنّه حين يترك المعنى يخفت توهّجه وحين نعنى بالمظهر نغفل عن العمق، وبين الفكرة والإنجاز

يتجلّى ترحال الحرف من الدّافع الشّخصي للكاتب إلى حاجيات القارئ في ميدان خصب تحت كيان صياغة الوجود لغة بجدارة الانتقاء ومصداقيّة القضايا، شاملة النّهج الأصلي فلا تبرحه في حين أنّها مفتوحة على انبثاق دائم التجدّد.

ولعلّنا نوجز الآن التّباين بين الآراء والرّغبات ومقتضيات الحقائق والمعطيات برؤية من واقع عالم الحرف الذّي شهده هذا الجيل من الفئة النّاشئة والشّباب بتنوّع الأنشطة الإبداعيّة وعلى تنّوع غصونها المخيلة إلى الأجناس الأدبيّة، ولحثها اللاّهب على اتّخاذ ذريعة لتسويغ العمليّة الإبداعيّة المقيّدة بفكرة اللّقب والملتحفة بنقاب الشّهرة، والرّؤية الواهمة التّي جعلت من قضيّة الحرف خارج الإطار الإبداعي والذّي من المؤكد أنّه سيزول بزوال صاحبه.

وإنّي لست أكتب كتقييم أو لتزكية نظرتي نحو ذلك، إنّما ككاتبة ومؤلّفة ناشطة في إطار الحرف عارفة بخبايا عوالمه، غير قانعة بجموده العقائدي الذّي تخلقه بعض الأسماء النّاطقة باسم الحداثة التّي سطعت خلال السّنوات الماضية وزادت اليوم ضعفًا جليًّا عاث خرابًا بالبنية الأصليّة للأدب، أسماء استغلّت الإفرازات الدّائمة لتفاعلات النّاس مع دعاياتهم لأعمال لا تتعدّى حدود الخربشات، طمس من خلال أمثالهم أصحاب الموهبة الكتابيّة الحقّة الذّين استخلصوا اللّباب والزّبدة في أعمال قيّمة جديرة بالخروج إلى حيّز الوجود في خدمة القضايا الصّادقة والواعية بالحيثيّات ومجريات عالم الحرف، بسمات رؤيويّة وجماليّة متواشجة تتكفّل كلّها بإنتاج جماليّات الإبداع في سياق ثقافيّ يحسب له ألف حساب أمام قامات أدبيّة متمكّنة، مبدعين جعلوا من دوافعهم السّمو بجلال الحرف في بقاع التّأليف، والنّهوض بجلال نتاجات إبداعيّة ذات شأن تربويّ تعليميّ، وحرف ماتع نافع، من خلال الوعي الإبداعي ورسالات ذات مغزًى، وقيمة جماليّة مشهودة، الكاتب الذّي يعرف كيف يجعل من عصارة أوجاعه زادًا تجاربيًّا ينقله للمتلقّي، فيستخلص الآخر مخاض الواقع في ولادة نصّ مزيج من أسباب متنوّعة تنبثق من احتكاك طاقة روحيّة جوهريّة، الرّغبة فيها قائمة على النّفع والمنفعة، ومن جهة أدبيّة يكون الوعي بالعناصر الأدبيّة قد بلغ أوجّه، فتسفر عنه إعمال آليّات الاستلهام فيدرك أسلوب التّفاعل والحوار في نصّه، ويجيد التّناصّ بأنواعه، ويربك حواسّ القارئ بقفلاته المدهشة في النّص، الكاتب الذّي يعرف كيف يحافظ على هويّة الحرف فتربطه به نزعة الإصلاح التّي يستخلصها من خلال تفاعلات النّاس مع ظروف الحياة، ويجعل من قضايا المجتمعات إحدى الدّعائم المهمة في صقل الشخصيّة الكاتبة ودوافع التّوجيه السّليم، فينطوي عليها تحليل بديع آسر بأسلوب شيّق تؤطّره المتعة والخيال ليكون نتاج حائك ماهر عارف بماهية كتاباته، مدرك لغائيّة أعماله وممارس لنهج أدبيّ بسياق مجتمعّي لا يفقهه إلا من كان نابغًا بجوهر الأدب .

ولعلّي أوجز الآن أحوال من تمهّن دور الكاتب حتّى تمكّن، ممّن تباهت حرفه، لأجل أن يسطع نجمه مبقيًا على جهله دون أن يكفي نفسه مذلّة الطّلب، من بات يتصرّف في القلم كما يشاء فانعقد الحال بين متفلسف في حرفه بمخيلة ذات أجنحة مقيّدة بالقوليّة السّاذجة والمقولات الجاهزة، والضّرب على وتر التّطويل والترهّل وانعدام المعنى، فيدخل النّص متاهة الزّخرفة اللفظيّة والتّنميق المبالغ فيه حدّ التّزييف دون دراية بكيفيّة التّوسيع والتّعميق ولا قابليّة للابتكار، وهذا ما يذكي حدّ التّغابي ضمير النّخبة التّي باتت تطرح مسمّيات جديدة في كلّ مرّة، كلّما زادت عقدة أحوالها على مستوى السّاحة الأدبيّة تباهت بفعلها حال الأدب.

وإنّي لأحسب للتّرويج الممارس على مواقع التّواصل الاجتماعي لمثل هكذا أعمال وأصحابها، كمثل من يطمس الهويّة الأصليّة ليأتي بأخرى مقلّدة، فما يكشف من كتّاب هذا الزمان، ما يظهر على طقوس كتاباتهم تعرف من أزمة البيان والأسلوب المجحف في حقّ الحرف، عن المبدعين التّي باتت شمسهم ساطعة بعبثيّة، من باتت

تضجّ بهم السّاحات الأدبيّة والمواقع، وغياب من عاشوا من التّجارب ما امتلكوا لمسات إبداع عظيمة، وجاهدوا بقضايا كان لا بدّ لأسمائهم أن ترى النّور لتلمع بحقّ في سماء الأدب، ثمّ نفتح قوسا عن قدسيّة الحرف ومصداقيّته التّي تاهت بين أقلام تجدها تارة تحرّر، و تارات أخرى تمرّر وتغرّد خارج السّرب، عن مبدع يقرّر بين عشيّة وضحاها أن يكون مؤلّفًا، وآخر يسعى جاهدًا ليبرز نجمه أو بسرقات أدبيّة ثبت أصلها أو بنص يتكرّر اليوم هنا وغدًا هناك، كلّ ذلك وأكثر جاء نتاج تزكية الرّغبة الجامحة باعتلاء منصّة الشّهرة أمام طفرة الإعلانات، وبدعم مواقع التّواصل والأعمال الترويجيّة التّي تأخذ حيّزًا يأكل من فضول القارئ والمتتبّع، لتتحقّق بذلك قاعدة لطالما اعتلت سلّم معتقداتي، أن خلف السّتار كلّ محتال في الحرف مختال فخور، يدفن صاحب الجهد الجهيد، ويطفو من جعل التّحايل زمامه، والنّفاق إمامه بأعمال هي من الأصل قد اتخذّ أصحابها من الحرف تجارة رابحة.

ولعلّ النّقد الثّقافيّ أجده مسؤولًا أيضًا بدعواته إلى نزع الصّفة الأدبيّة الخام من خلال دعمه للمنتج الرّديء من الأعمال الأدبيّة، التّي يبزغ من خلفها عنوان تسويقي على حساب المعتقدات الدينيّة والمبادئ الإنسانيّة، أو غلاف ينتهك حرمة الأدب بقلّته، فيستفزّ بذلك القارئ المتتبّع لاقتنائها، ويسوّق النّاقد من سياق تقييم الأعمال وتوجيهها إلى انتقاد شخص الكاتب، فإمّا مدح وإمّا ذم، لتبقى الإدانة رائجة للنّقد بافتقاده للموضوعيّة وضرب مصداقيّة عمليّة التّصفية والفرز بين اللاّئق والخارج عن المسار، تزامنًا والكاتب الذّي نجد عينه على القلم وأخرى على الحفاوة التّي يُمنّي بها نفسه من الجماهير المتابعة، خصوصًا أنّ السّنوات الماضية طغت فيها المؤلفات التّي عرفت استعجالًا كبيرًا في الفنّ الروائيّ تحديدًا، والدّفاع منشوب بالتّوق الشّديد إلى الشّهرة وما يتبعها حاليًا من جلسات التّوقيع ولهفة المعارض وجلسات أضحت تقدّم الصّادر عن الوارد، أمّا الفئة الطّاغية منهم تلك التّي تقف في طابور طويل ينتهي بقوام أنثى، فيساوم السّعر تارة ويغازل الوجه تارة، كلّ ذلك وأكثر ممّا يخالج قلبي من نحافة الصبّ وصقالة الغضب.

ثمّ أنّه ومع تزايد دور النّشر وموجة النّشر الإلكتروني التّي ما يفلق من غالبيتها هو صفقات التّجارة، التّي تحتمل المكسب أكثر من الخسارة، فترى المبدع وإن دهته في لغته خصاصة، زرعوا في أرضه بهجة اللّقب بأمل يقتات من رحم نجاح كاذب، ليكتمل مشوار التّحايل على جيبه فيما هو قادم من الأيّام، فتتنامى أكثر الأعمال استهلاكيّة بأكثر الطّرق استغلاليّة، كلّ ذلك أدّى إلى طمس الهُويّة الحقيقيّة للأدب في مجتمعنا العربي.

من هنا وكخلاصة؛ نؤكّد أنّه ليس كلّ من كتب حرفًا كان كاتبًا، بل إنّ الكاتب الحقّ من ينزف حبر قلمه كما ينزف دم جرحه، المبدع الحقيقيّ هو من اكتشف فيه جوهر فنّه من خلال موهبة قام بصقلها، وجاهد في سبيل أن يتميّز بالتمرّس والعصاميّة التّي تنصر قضيّته الإبداعيّة بعد جهد جهيد وعناء استنزف من عمره تجارب ومحنًا، خبايا كابد عناء البحث عنها واكتشافها، وأولاها عناية فائقة بالقراءة الدّائمة والتطلّعات نحو أفق متجدّدة، تولد داخله الرّغبة في اعتلاء درجات التميّز لا في اكتساح منصّة الشّهرة، وأنّ الإيمان بالقلم هو دليل صاحبه نحو النّجاح، كاتب يعرف كيف يعظّم رُفات الحرف، يجوب مواطن العلوم، فتوكل الحاجة إلى منابع المعرفة، ويتآخى البحث بأزمان مقاصدها جمّة، تنازع صاحبها للوصول إليها رغبات جامحة في كسر فضول النّفس، بغية الوصول إلى ذروة الهداية.

هي خاتمة تنطوي على مفارقة الكتابة التّي أجعل من درر حرفها مسك ختام بيقيني الدّائم بأنّ ما خاب قلم تدعمه قضيّة ولا ضاع حرف وراءه صادق، ناشد الحرف بالوعي فكتب وأجاد حدّ العمق.

أنسنة التوجيهات الأخلاقية في القرآن الكريم

أ. عيشة صالح محمد

سأتناول في مقالي هذا موضوع العنوان "أنسنة التوجيهات الأخلاقية في القرآن الكريم" انطلاقا من التعريف الأكثر وضوحا من بين العديد من التعاريف، وهو أن الأنسنة صبغ الأشياء بصبغة الإنسانية – التي هي مصدر الأنسنة – سواء أكانت هذه الأشياء أفكارا أو جمادات أو أخلاقا أو سلوكيات أو نشاطا معينا. وسيكون المنطلق من القرآن الكريم باعتباره المرجعية الأكثر وضوحا في تطبيق مفهوم الأنسنة؛ حيث إن الله في كتابه الكريم تحدث إلى البشر كونهم بشرا معنيين بتطبيق ما فيه من تعاليم، وهم قادرون على فعل ذلك، وبالتالي ستظهر آثاره الإنسانية على سلوكهم وأخلاقهم بقدر فهمهم وتطبيقهم لتعاليمه.

وبناء عليه تستطيع المجتمعات المسلمة وضع أطر تربوية سليمة لتنشئة أجيال تتعامل مع الواقع وتواكب الحداثة، وفي نفس الوقت موصولة بربها بعلاقة منطقية.

الأنسنة في القرآن الكريم:

القرآن الكريم كتاب أنزل على قوم عرب يتحدثون اللغة العربية في بيئة محددة الملامح، إلا أننا لا نرى فيه نزعة إلى تلك البيئة التي نزل فيها ولا إلى العرق الذي ينتمي إليه من أنزل فيهم. لأنه ببساطة لم ينزل إليهم وحدهم وإنما للناس كافة في كل زمان ومكان؛ فهو كتاب يراعي الإنسان كونه إنسانا حيثما كان، وكل ما فيه من عقائد وتشريع وأخلاق يتماشى مع إنسانية الإنسان بالمفهوم المطلق، لا إنسان البيئة المحددة التي نزل فيها.

قد يقول قائل إن القرآن نزل مفرقا مواكبا لوقائع معينة، والحقيقة لا إشكال في ذلك فخصوصية السبب لا تتعارض مع عموم الحكمة، فهو ليس كتابا تاريخيا أو كتابا توثيقيا، يسرد الأحداث ويعقب عليها، بل هو كتاب يحمل منهجا للحياة السعيدة الأبدية.

عندما قدم القرآن الكريم الأدلة والبراهين على وجود الله ووحدانيته جعلها تتماشى مع الأداء العقلي لأي إنسان في أي مكان، لذلك هو مؤآخذ على عدم التفكر فيها، وتتبع إشاراتها، وكأنه يملك 'الكتالوج" الواضح لفهم ما يتحتم عليه فهمه في مسألة وجود الله ووحدانيته.

وفي الجانب التشريعي جاءت الأحكام ملبية للحاجة الإنسانية، ولضرورة ترتيب مجريات الحياة وفقا لإرادة الله بما منح الإنسان من مواهب، فكانت العدالة سمة بارزة في التشريع الإسلامي لحاجة الناس لها من أي عرق أو لون وفي أي بيئة. ففي ميزان العدالة ذاب العرق والطائفية والتبعية، وعلت الحاجة الإنسانية بكل تفاصيلها.

أما الجانب الأخلاقي يتبنى فيه القرآن الكريم الاعتبارات الملحة في تركيبة الإنسان، باعتباره حلقة من حلقات متصلة ببعضها بعضا تترابط لكن لا تتداخل؛ فكل إنسان لديه مبادئه ومساحته الأخلاقية ضمن منظومة عامة تحفظ للجميع كرامتهم الإنسانية. يعترف القرآن الكريم باختلافات البشر وتنوع ميولهم ورغباتهم وتفاوت نسبة الاحتياج لكل رغبة؛ ويضع لكل ذلك حلولا عامة منطقية يتم التعامل معها بمرونة وفقا للمكان والزمان.

وفقا لذلك يستطيع الإنسان وضع برامج تربوية وخطط منهجية مستمدة من الخط الأخلاقي العام، وملبية للحاجات الفردية، وحاجات المجتمعات المختلفة للوصول إلى الهدف الأسمى وهو سعادة الإنسان.

كل ما سبق من كلام عن العقيدة والتشريع والأخلاق صاغه القرآن الكريم بألفاظ بليغة، وهذه الألفاظ بحد ذاتها متبنية أنسنة الخطاب، وجعله خطابا موجها مباشرة للإنسان أينما كان وحيثما كان، فنلاحظ عبارات " يا أيها الناس" و "يا بني آدم" و "يا أيها الذين آمنوا" تتجلى فيها صورة الإنسان ورغبته في أن يخاطب بكرامة توحي إليه أن ما بعد هذه العبارة سيكون في مصلحته ولأجل سعادته.

مثال قرآني:

الآية القرآنية "وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا" (15 الإسراء) مثال بيّن للاحتواء الأخلاقي الموجه من الخطاب القرآني إلى المرسل إليهم من البشر، فلا أحد يتحمل تبعات أخطاء الآخر، وكل مكلف عليه وحده تقع المسؤولية الأخلاقية لأفعاله، وليس مطالبا أمام الله بتبرير شيء لا يد له فيه، كما أنه من العدل الإلهي أن لا يعذب الله إنسانا على عدم اتباع توجيهاته وتعاليمه إذا كان بمعزل عنها، ولم تصله أو وصلته ناقصة أو مشوهة، فإقامة الحجة على الإنسان ضرورة لمحاسبته، وهذه الحجة لا بد أن تكون متفقة مع كونه إنسانا يتحرك في بيئة محددة ويفكر تفكيرا نمطيا بناء على وجوده في هذه البيئة.

الجيل الأول والقرآن:

إن الرعيل الأول من المسلمين المحمديين، أو الجيل الذي نزل في حياتهم القرآن تفاعلوا مع أخلاقيات الأنسنة المبثوثة في القرآن الكريم وعاشوها واقعا عمليا. الأشياء لا تبدأ حين يضعون لها مصطلحا بل حين تعاش

وتمارس والأنسنة كانت واقعا معاشا مأخوذا به في الجيل الأول، يظهر ذلك في أمثلة كثيرة موثقة في كتب السيرة والتراث، ومن ذلك على سبيل المثال، قصة ثعلبة الذي ألم بذنب ومد عينيه إلى ما حرم الله، وظن ثعلبة أنه هالك، فشرد عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والتزم الجبال، فكانت معالجة الرسول لهذا الأمر تنبئ عن تربية خاصة لأتباعه باعتبارهم بشرا يصيبون ويخطئون، وإلا لما كانوا بشرا، فلم يتوعده بالنار والهلاك، بل جعله يقر بذنبه ثم دله على الطريقة التي يمحو بها ذنبه وهو الاستغفار والتوبة.

كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) والمؤمنون يتعاملون مع القيم العليا ببشرية، ويتكاثفون لرد أي مخالف إلى طريق الصواب ولا يجعلون من خطئه وصمة عار، لأن البشر خطاؤون وخير الخطائين التوابون، وهذا ما يجب أن يفعله الناس في الحاضر، لكن الذي يحدث هو العكس وكل ينتظر الزلة من الآخر ليشنع عليه، وهذا في نظري للهوة الكبيرة التي حدثت بين الأخلاق وتوجيهات القرآن، وفصل القرآن عن الأنسنة. والتعامل معه ككتاب تراثي.

وحين يحدث ذلك الفصل يصعب التعامل مع توجيهات القرآن الكريم بمرونة ويصبح التطبيق العملي لها آليا خاليا من الروح وربما أدى إلى خلل وميل عن الحكمة الحقيقية من التكليف، حيث ينقلب التكليف إلى إثم وجرم، كقصة الرجل الذي شج رأسه فلما أجنب احتار في الغسل فأفتوه أصحابه بوجوب الغسل بالماء، وعمل بفتواهم فمات، ولما بلغ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنكر عليهم بشدة وأغلظ عليهم، وعلمهم أنه كان يكفيه أن يربط على جرحه ويتيمم. ولئن حياة الإنسان أعلى قيمة، يسقط الوضوء وهو فرض، إذا كان سيؤدي إلى إزهاق روح. فالذي أفتاه بتلك الفتوى لم ينظر إلى الجانب الإنساني، وتعامل مع تعاليم القرآن الكريم نصيا بروح جامدة.

تحديات ضد الأنسنة:

عند تغييب الأنسنة عن الأخلاق تصبح الأخلاق وجهة نظر، ويتبدل فيها طريقة التعامل مع الإنسان ويسير الأمر نحو تسليع الإنسان، أي جعله سلعة خاضعة للعرض والطلب، وهنا تتدنى قيمة الإنسان الحقيقية فمهما كان ثمنه مرتفعا فهو أقل قيمة، يكفي أن تحدد له قيمة ليكون رخيصا بغض النظر عن مقدار تلك القيمة، وربما يفسر ذلك ما تراه من استغلال للأجساد والاهتمام بالمظهر الخارجي المبالغ فيه، والاهتمام الزائد بترويج كل ما له علاقة بمظهر الأجساد.

ومن التحديات التي تقف ضد الأنسنة هو التعامل مع المصطلح بالشك، وبالتالي رفض أي شيء مشكوك فيه، وهذا ناتج عن المفاهيم المختلفة في عرض المصطلح، فيحمله البعض ما لا يحتمل من تعريفات، وبعضهم قد يحمل أفكاره الشخصية التي لم يجد لها مسمى فيصفها بالأنسنة وهي بعيدة منها، أما الأنسنة بوصفها إضفاء الطابع الإنساني على الأشياء فهذه لن تجد فيها معارضين؛ لأن الجميع يدعي الإنسانية.

الآثار الأخلاقية للأنسنة:

بصرف النظر عن منشأ الأخلاق، والنظرية التي يعتمدها المهتم في تحديد ماهيتها، فالمجتمعات تحتاج إلى عنصر مشترك يتيح للجميع التعايش في الكون الفسيح. ويمكن اعتبار الأخلاق هو ذلك العنصر التشاركي مهما كانت مرجعيتها، فلا بد من وضع خطوط عريضة تلتقي في نقاط محددة يتفق عليها الجميع.

الذين يعتبرون الأخلاق نتاج تراكمات سلوكية لفئة معينة عبر الزمن، تختلف أخلاقهم عن الذي يعتبرونها تأثيرات ناتجة عن توجيهات من مصادر دينية أيا كان الدين، كما تختلف عند من يعدها سلوكيات شخصية تتفشى عند مجموعة من الأشخاص، ومن هنا تأتي الحاجة إلى نقاط التلاقي الأخلاقي.

إن صبغ الأخلاق بالأنسنة يزيد من إمكانية كبح غريزة التوحش عند الإنسان، والتي تظهر بقوة عند غياب الوازع الأخلاقي، كما إنه يعمل على تجلي الضمير وإتاحة الفرصة له ليكون المتحكم في السلوكيات الظاهرة والباطنة، ويعزز من إنسانية الإنسان، كونه كائنا أخلاقيا بطبعه.

إن أنسنة الأخلاق تجعل الإنسان إنسانا صفة وليس فقط تصنيفا، وترسم أنماطا مختلفة وأوجه متعددة للقالب الإنساني قابل للمشاركة من الجميع.

بناء وحفظ السلام بمفهوم حداثي

أ. أماني علي

إن السلام يمثل قيمة إنسانية، تقع داخل محتوى منظومة القيم الإيجابية التي تتسم بها المجتمعات الحديثة؛ لأن التنمية والتقدم التي يسعى إليها أي مجتمع، لا تتحقق إلا من خلال ترسيخ السلام.

السلام يمنع اندلاع الحروب والصراعات، سواء التي تحدث بين أبناء الوطن الواحد أو بين أبناء الوطن، وغيرهم من المجتمعات الأخرى، وذلك يقودنا إلى مصطلح مهم، وهو عملية "صنع السلام" أو "حفظ السلام"، وهي ترمي إلى التوفيق بين الأطراف المتصارعة، عن طريق الوسائل السلمية من أجل تجنب الحروب بين الدول، وإزالة آثار الحروب، وأيضًا العمل على نشر السلم.

وأصبح من الأهمية تسليط الضوء، على آليات بناء وحفظ السلام، وكذلك بعض المؤسسات والمبادرات الفردية والجماعية، على جميع المستويات، منها: الإقليمية والقومية، والدولية.

إن تحقيق السلام يخلق بالتبعية، حالة من الاستقرار تُعد من المتطلبات الأساسية للسياحة والاستثمار، وبالتالي تحقيق التنمية الشاملة والمستدامة.

تعريف السلام:

إن لفظ كلمة (السلام) في اللغة، اسم مشتق من الفعل سلم، ويأتي بمعنى الأمان والنجاة مما لا يرغب فيه.

يطلق مصطلح السلام على المجتمعات التي تنعم بالأمن والأمان، والتي تتسم علاقات أفرادها بالهدوء دون أي انقسامات أو صراعات، فالسلام هو الهدوء والأمان، وهو الركيزة الأساسية في نمو وتطور المجتمعات البشرية، والسلام هو حالة إيجابية مرغوبة، تسعى إليه الجماعات البشرية أو الدول في عقد اتفاق فيما بينها للوصول إلى حالة من الهدوء والاستقرار.

أهمية السلام:

إن الاختلاف والصراع جزء من التكوين الإنساني، لقد لجأ هابيل لقتل أخيه قابيل لإنهاء صراعه معه؛ لذا فمن الضروري اللجوء للوسائل السلمية، لحل الأزمات بين الدول أو بين المختلفين داخل حدود الدولة الواحدة، لضمان الاستقرار والحفاظ على الأرواح، والدماء، والممتلكات.

إن نشر السلام يساعد على نشر التنمية الاقتصادية؛ لأنه لا يمكن بأية حال أن تتواجد تنمية تساعد البشر، وتحافظ على مستقبلهم في حالة وجود حرب مثلا.

إن آلة الحرب كافية لقتل أي عمل إبداعي في أي مجال؛ لأنها ببساطة هي ضد الإنسان ذاته، وضد أخلاقه ومبادئه.

بلا شك أنه كلما شعر الإنسان أن حياته، وحياة عائلته، ومن حوله يغلفها الأمان، وتخلو من أية تهديد؛ كان قادرًا بشكل أفضل على العلم والإبداع، وبناء نهضة مجتمعه.

سبل وأدوات لتحقيق السلام:

يجب أن تتوفر بعض النقاط الأساسية الضرورية لتحقيق السلام في أي مجتمع، فمن خلال الاحتكام إلى القانون وتحقيق العدل والمساواة بين الأفراد، وعدم التمييز بينهم في اللون أو الدين أو الجنس أو العرق، وتطبيق الأحكام الصادرة عن المحاكم بكل حزم، وعدم استثناء أحد من ذلك، فسيظهر نتيجة ذلك واضحة في تحقيق السلام المجتمعي.

وإن وجود إدارة سليمة تحفظ حقوق الأقليات دون تمييز، وإعطائهم الحرية للتعبير عن معتقداتهم، في ظل أجواء من الاحترام والتسامح؛ لأنه من الصعوبة تواجد مجتمع يتشكل من دين واحد وعرق واحد، وإذا كانت الإدارة لا تسمح بالتنوع، وتحرم الآخرين المختلفين من حقوقهم وحرياتهم، حتمًا سيُعد ذلك خطوة نحو نشوء أجيال تحتفظ بداخلها بشحنات من الكره والرغبة في الانتقام.

بالإضافة إلى وجود نظام حاكم يقوم على الديمقراطية، ومحاربة الفساد، وتمكين الأفراد، وتوفير الخدمات التعليمية والصحية، وتوفير فرص العمل سوف يقي المجتمع من الاضطرابات أو أعمال العنف.

آليات بناء السلام في الدول في مرحلة ما بعد الأزمة:

لقد حدث تطور مفهوم بناء السلام من السلام السلبي قديمًا (غياب الحرب والصراعات)؛ ليشمل السلام الإيجابي (إيجاد العدل الاجتماعي، وغياب الاستقلال، والقضاء على الفساد.

عملية بناء السلام، والتعايش السلمي في مرحلة ما بعد النزاعات عملية مضنية وشاقة، وأن بناء الانسان، وإعادة تأهيل الخراب الثقافي والتربوي، يحتاج جهودًا كبيرة على كافة المستويات.

أولا: على الصعيد السياسي والقانوني:

لابد من نشر مبدأ التعايش، وأن يتجاوز العمل السياسي خطاب الكراهية، ويتقبل أن السياسة هي فوز وخسارة، ويتقبل توزيع السلطة لاكتمال التعايش، وإشاعة ثقافة احترام القانون، ومحاسبة دعاة الكراهية، ومنتهكي الحقوق، خاصة في الدول التي يوجد بها تنوع ديني أو عرقي أو طائفي أو يمكن أن تحوي كل تلك التنوعات معًا، فلابد أن يكون هناك حوار بين كل الطوائف والقوميات، قائمًا على المصالح المشتركة لتخرج بتوصيات، لابد أن تدخل في حيز التنفيذ تضمن عدم التفريق العرفي أو الطائفي أو المذهبي.

ويجب أن تبنى أجهزة الدولة على أساس الكفاءات فقط، بعيدًا عن التحيز الطائفي، بالإضافة لنشر المفاهيم الدينية الصحيحة التي تحض على منهج التعايش، إن تطبيق مبدأ الحكم الرشيد، يتم فيها تطبيق القانون على الجميع دون استثناء، وأن يعمل المسؤولون على الاستجابة لمطالب وهموم المواطنين في فترة زمنية مناسبة، وتحقيق مبدأ المساواة في توزيع موارد الدولة، بالإضافة إلى حق جميع المواطنين بإبداء الرأي والمشاركة في

صنع القرار، وأن تكون السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية منفصلة في ممارسة مسؤولياتها وواجباتها، وتطبيق مبادئ النزاهة والمساءلة والشفافية من أسس تحقيق الحكم الرشيد.

ثانيًا: على الصعيد الاجتماعي والثقافي:

لابد من تضافر مؤسسات المجتمع المحلي مع الحكومة؛ لتشكيل الوعي والرأي العام خاصة في المجتمع الذي يعج بالاختلافات، والذي تعرض لزرع سياسة نبذ الآخر، ومعاداته من قبل جماعات إرهابية، لابد من الانطلاق في برنامج ثقافي إعلامي، وسلسلة من الحوارات السياسية لتأكيد ثقافة التسامح.

إن تعليم حقوق الإنسان تجعل الفرد يفهم حقوقه جيدًا، ويشعر بالحرية والكرامة، وذلك يكون خطوة مهمة نحو مشاركته بفاعلية في تنمية وطنه وبناء وحفظ السلام، ويعني التسامح الإقرار بأن البشر المختلفين بطبعهم في مظهرهم، وغايتهم، وسلوكهم وقيمهم، من حقهم العيش في سلام، وأنه لا يجب أن تفرض آراء الفرد على الآخر، ولأن التعليم هو أقوى الوسائل التي تساعد في القضاء على اللا تسامح، فأصبح من الضروري الاهتمام بإعداد المعلمين، ومحتوى الكتب المدرسية، والمناهج الدراسية بغرض تنشئة مواطنين يحترمون كرامة الإنسان، والفروق بين البشر.

ثالثا: على الصعيد الاقتصادي:

في المجتمعات التي يتفشى فيها الفقر، نجد أنها تتصف بتفشي العنف؛ مما تؤدي إلى ظهور عصابات الجريمة المنظمة إلى جانب أنها تكون عرضة لتسلل أفكار الكراهية إليها.

من هنا صار من الأهمية، استثمار الموارد البشرية والمادية، والاهتمام بالأمن الغذائي، والضمان الاجتماعي لتلبية حاجات الفرد اليومية.

ومن ذلك ننطلق لنقطة مهمة، وهي أن معظم المجتمعات العربية تتسم بأنها، مجتمعات ريعية، وهذا الريع مصدره النفط والغاز كمورد أساسي لها، فإذا اعتمد الجزء الأكبر من الدولة والإدارة المحلية مثلًا على النفط، فمن الضروري أن تحدث أزمات على الريع والسيطرة عليه واحتكار موارده، فيمكن أن تقوم الدولة بتوزيع هذا الريع في شكل منح وامتيازات تمارس بها التسلط، وتبث بها خطاب الكراهية من خلال الانتهازيين.

فإذا قامت الدولة بتعزيز أفق الاستثمار واقتصاد السوق، فسيؤدي ذلك إلى اعتماد الفرد على ذاته، ويقلل من اعتماده على ريع الدولة، كما يجب النظر إلى أن البطالة هي الآفة التي تنخر دائمًا في بناء التعايش السلمي؛ لأنها ثغرة يمكن التسلل من خلالها لبث خطاب الكراهية.

رابعًا: على الصعيد الأمني:

لا شك أن بناء استراتيجية حقيقية للأمن الوطني، باتت داعمًا لبناء السلام، وأن من الأهمية تطوير العقيدة العسكرية وإبعادها عن الصراعات السياسية، وترسيخ الوحدة والهوية، وألا يكون لها دور في تداول السلطة،

ولا تكون أداة لقمع الشعب، إضافة إلى التركيز على وحدة القيادة والقرار في عمل الأجهزة العسكرية والأمنية وتكامل أدوارها.

وبلا شك فإن تفعيل قانون العقوبات العسكرية يهدف إلى تعزيز روح الانضباط، وتحمل المسؤولية، وتجنب ارتكاب الأخطاء، وتوعية أفراد المنظومة العسكرية والأمنية بثقافة حقوق الإنسان والديمقراطية، ومحاسبة من ينتهك معاييرها.

مشاريع الهيئات العالمية في بناء السلام:

توجد بعض الأدوات الأخرى تعمل على بناء السلام، فتقوم بعض الهيئات بتدريب المتطوعين حول العالم من المتضررين من النزاعات من دول مختلفة؛ ليتعاونوا لتحديد الأدوات المناسبة لتحقيق السلام وتعزيزه في البيئات المحلية، فتقوم تلك الهيئات بتحفيز قيادة الشباب، وبناء السلام عن طريق الأنشطة في كل المجالات، مثل الرياضة والفنون، محاولة كسب الحوار والتأييد والتمكين، ثم تحقيق ستة تعبيرات للتغيير، وهي:

تعزيز التعاون وبناء التقبل، وضمان الدمج، وتطوير الاحترام، وبناء الثقة، وتحمل المسؤولية، يتم نقلها للمتطوع واحدة بعد الأخرى؛ لخلق حزمة من العلاقات والشراكات، والتبادلات الدائمة عبر انقسامات النزاع، وتعمل برامج الرياضة من أجل السلام على تدعيم الشعور بالوحدة والتفاهم الذي يتعدى الانقسامات الموجودة في الحياة اليومية في المجتمعات التي تعاني النزاع، فتوفر لتلك المجتمعات مساحة آمنة عند الالتقاء في ظل قواعد ومعايير سلوكية محددة، ومن ناحية أخرى تكون الفرصة متاحة للتواصل بين المجتمعات التي قطعت فيها العلاقات بسبب الحرب والنزاع المدمر، مما يساعد في القضاء على الصور السلبية التي تكونت عن الذين لديهم خلفيات وقدرات وأديان مختلفة، وبالتالي تحقيق القبول والتسامح، كما أن الفن له القدرة على تجاوز الحواجز، والانقسامات ويعمل على توحيد المجتمعات.

إن الرسم والموسيقى لهما فاعلية ملحوظة مع الأطفال، ومع الذين يعانون صدمات موجعة، وأن الأدوار المسرحية تكون فاعلة مع الشباب والكبار، إضافة إلى أن تلك الهيئات تقوم بدور التمكين عن طريق أنشطة تعليمية أو تدريب مهني أو تقنيات مدرة للدخل؛ لتعزيز القدرة الفردية والتعاون الجماعي، وبالعمل مع القواعد الشعبية والشراكة مع المنظمات المحلية لتأمين فرص اقتصادية قابلة للتطبيق، وبناء روابط بين المجموعات الأخرى التي تعاني التقسيم؛ مما يحفز دعم أنشطة بناء السلام على المدى الطويل.

وتستخدم الأمم المتحدة اليوم واحدة من الأدوات المحورية للحفاظ على السلام والأمن الدوليين حول العالم، وهي "عمليات حفظ السلام"، وقد تحول المفهوم التقليدي لـ "حفظ السلام"، إلى عمليات أوسع نطاقًا، كتقديم الخدمات الأساسية، وأدوار الوساطة بين أطراف النزاع، وتعزيز سيادة القانون، وإدارة مراكز الاحتجاز، وتوفير الحماية للاجئين والنازحين، وأصبحت لا تقتصر على صون السلام والأمن، وإنما تسهيل العملية السياسية، وحماية المدنيين، وتقديم الدعم الفني للانتخابات، وسيادة القانون وتعزيز حقوق الإنسان.

ولكن كل تلك المهام المتنوعة قد خلقت الكثير من التحديات أمامها، مثل:

1- عقبة تحدي حماية المدنيين؛ لأنه في الحقيقة يوجد فارق كبير بين التوقعات والقدرات لحماية المدنيين، والحماية ضد العنف الجنسي المرتبط بالصراع، وقد طرحت اللجنة الدولية للصليب الأحمر تصورات حول أفضل ممارسة ممكنة لعمليات حفظ السلام، تشمل وضع احترام القانون الدولي الإنساني في القلب من عملياتها.

2- عقبات مؤسسية، مثل: أن يتطلب الأمر موافقة جميع الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن (والذين يمتلكون حق الفيتو)، ما يجعل بعض العمليات المقترحة مثار جدل، واستقطاب سياسي بين هذه القوى.

3- أزمة التمويل: تُعد أزمة التمويل من العقبات التي تواجه عمليات حفظ السلام؛ لأن تلك العمليات تتطلب ميزانيات ضخمة، ومن أجل الحفاظ على ذلك المستوى من الإنفاق، يتطلب الأمر تكثيف الجهود الدبلوماسية لإقناع بعض الدول بالحفاظ على نفس مستوى المساهمات، وعدم خفضها.

4- عملية الاحتجاز: حيث يجب على بعثات الأمم المتحدة لحفظ السلام أن توفي بالتزاماتها القانونية بشأن الاحتجاز؛ حيث يجب توافر المرافق اللازمة للوفاء بشروط الاحتجاز التي يطلبها القانون الدولي، ومن المناهج المختلفة التي طرحتها اللجنة الدولية أخذ وجهات نظر السكان الذين يُعتقد أنهم في خطر أثناء تنفيذ عمليات حفظ السلام.

5- غياب التنسيق في الميدان: ويعود ذلك لغياب التنسيق بين المدنيين والعسكريين المشاركين في المهمة، وعدم وضوح التسلسل القيادي للعملية، وغياب التخطيط وغياب التعاون الاستخباراتي بين الدول الأعضاء.

6- تعدد البيئات: يحدث أحيانًا مقاومة بعض الدول المضيفة؛ لأداء بعثات الأمم المتحدة لبعض مهامها أو عدم تناسب أهداف الأمم المتحدة مع متطلبات الدول المضيفة.

7- التوسع الزائد عن القدرات: مما يؤدي لانخفاض كفاءة القوات المشاركة في العمليات في أحيان كثيرة في العمليات في أوقات كثيرة.

ثقافتنا

أ. محمد يسري

أن أسكب مداد قلمي على صفحات بيض لتصبح سوداء اللون ولا أدرى كيف تتقبّل عزيزي القارئ سواد كلماتي قَبولًا أو رفضًا.

الثقافة كما هو معلوم هي المعرفة الواسعة للعلوم والفنون والآداب والمعارف، والفن والثقافة عنصران من مَعين واحد، فلا فنّ دون ثقافة، ولا ثقافة من دون فنّ، فكل منهما يكمل الآخر، والفن هو تطور الثقافة الإنسانية، فقد تكون ثقافة أمة ما من خلال فنونها، وتتجسد فنونها من خلال ثقافتها، لتكون شجره مجدلية تتعانق أغصانها تقوي بعضها بعضًا في حدائق مزهرة، مختلف ألوانها، شذًى عطرها، جلي أثرها، لا ينضب معينها.

فعوامل التكامل حاضره جغرافيًا ومناخيًا ولغويًا وأخلاقيًا وفكريًا وتاريخيًا لتعلن عن هُويتنا الثقافية التي لها بذور في عمق التاريخ، وبالرغم من اختلاف اللهجات، فإن اللغة العربية هي التاج الذي نرفعه على رؤوسنا، فمهما اختلفت المشارب متنوعة المحن لا يفصلنا عن وحدتنا الثقافية التي لا تتأثر بأي عوامل عارضة، ولا سبيل إلى ذلك إلا أن ننأى بأنفسنا عن الانجراف مع سيل الزبد المتدني من الألفاظ والعبارات والأفكار الوافدة كالوباء على حياتنا الثقافية والفنية، وبتطوير الأفكار واختيار السبل التي تحقق ما نصبو إليه من إعلاء ونشر وإظهار قوة الثقافة العربية ومكانتها أمام ثقافات العالم التي تعمل بكل الوسائل على توجيه ثقافتنا كما يرغبون، لكي نكون مقلّدين أو تابعين لتوجيهاتهم التي لا تحمل خيرًا لنا، بل تحاول أن تطمس هُويتنا وتمحو الثقافة العربية، مستغلّين الوضع الذي أصبح عليه حال الثقافة في الشارع العربي والفن العربي والتشرذم الذي حدث له، مما جعل الأنا هي السائدة، فقد سبق لهم أن سرقوا ثقافتنا وعلومنا من مئات السنين ثم صدّروا لنا الاستعمار بجميع أشكاله: الخوف والخنوع والشعور بأننا أقل منه شأنًا وعلمًا ومعرفة.

فعلينا أن نقاوم ذلك بأعمال فنية ترسّخ منظومة الفنّ والأخلاقيات، وتعظّم من الرجولة واعتزاز الرجل برجولته والفتاة بأنوثتها، وهو ما يتطابق مع الفطرة الإنسانية التي فطرنا الله عليها؛ لنؤكد ثوابتنا وأخلاقنا وثقافتنا وهُويتنا وعاداتنا وتقاليدنا، وما يتفق معنا، وما نرفضه من سلوكيات منحرفة تجلب العديد من المشكلات والأزمات على جميع المستويات سواء الأسرية أو المجتمعية.

لكن من دواعي التفاؤل وجود نخب قديرة من الأساتذة والمفكرين على درجة عالية من الثقافة والوعي، يملكون الأدوات الفكرية والأدبية والفنية لتصحيح الأوضاع لتضميد الجروح ليعود منبر الثقافة العربية عاليًا منيرًا مشعًا.

فالثقافة ليست قاصرة على الأدباء والشعراء والكتاب، فكل شيء له ثقافته، فهناك الثقافة العامة التي تكتسب من الحياة العامة بظروفها المختلفة والمتنوعة، وهناك الثقافة المتخصصة لمِهَنٍ بعينها، فليس من الضروري أن يكون كل متعلم أو حامل شهادة مثقفًا أو عالمًا أو على قدر من الذكاء والوعي. لقد حان الوقت الذي تتضافر فيه الثقافة مع الفن لإنتاج ما يتفق مع التطور التكنولوجي لنشر الثقافة العربية الأصيلة، ولا يقتصر الأمر عند عقد الندوات أو الكلمات التي تنتهي كما بدأت.

إنّ المثقف ليس منفصلًا عن مجتمعه، وليس هائمًا في محراب خياله؛ إذ لا بدّ أن يكون له دور ورؤيا حيال مشكلات المجتمع، مثل الأزمة الاقتصادية بترشيد الناس إلى وسائل التغلّب عليها والتعامل معها، وكذا التصدي "للسوشيال ميديا" التي تفوح منها روائح كريهة تزكم الأنف وتغيّب العقل وتجذب الشباب إلى منزلق يهوي بهم إلى الهاوية.

إن دور المثقف هو نشر الوعي الذي افتقدناه حيال النظر لما يدور حولنا من مؤامرات تخرب ولا تعمّر تهدم ولا تبني.

إن المثقف الحقيقي هو الذي يضيء الطريق أمام الناس، هو المنتمي إلى وطنه، المخلص لهُويته.. المثقف الحقيقي هو الإنسان كما أراده الله.

حَصَاد الوَرد

أ. ريم الكيالي

أنا طِفلَةٌ من وَرد ، شَجَرتِي تُمارِسُ الصُعود نحوَ الشمسِ ، لا تميلُ صَوب العتمِ .. لا يَحجُبها غَيمٌ ، تَتدَّلى النُجومُ كَي تَزيدها وَسامة ، أما القمَر فَيخجَل أن يَبدِي في حُضورِها أدَنى ابتسامَة .. أنا طِفلَةٌ وردَة ، لِيْ بَتلاتٌ من نُور ، و فَساتيني تُراقِصها الريح و تَطربْ .. نَظرَتِي شُموخٌ و لَونِيْ دَلال ، أرضِيْ تُربَة سارَ عليها الأنبياءِ ، و ماءُ سُقيايَ دُموع !

أَتَوْا يُمطِرونَ مُبيدهم النارِيَّ فوقَ رأسِيْ ، فانصهرت احلامِيْ ! ، جاؤوا مُدَّجَجينَ بالثِقَلِ يحمِلون الكواكِبَ ضِدّي ، و انا فِي مَهَبِ صِراعَهُم غصنٌ أخضَر يتمايَلُ و لا يَسقُطْ ! ، كَسروا عُنقِيْ و لَا زِلتُ أتنفَّسْ ، رأوا بُرعماً اخبئوهُ فِي جَيبِي ، فقاصَصونِيْ بِتقليمِ أصابِعِيْ .. عَجزتُ عَن حَمْلِ الأقَاح فَوزَّعتُ عِطرِيْ و غَنيَّتْ ، .. طَعنوا قَلبِيْ بِسكينٍ و تُهمَة ، عاثوا فِي أضلاعِيْ قَطفاً و قَصفاً .. ، أزهرتُ رغماً عَنهُمْ ، فَجُرحِيْ يَطرَحُ الجُورِيْ الأحمَرْ .

حِصَارهُم بِشائِكٍ و سِياج لنْ يَحنِيَ من هِمَّتِيْ ، فأنا أكبُر كُلَّما انسابَ دَمعِي ، أتّجَذَرُ فِي كَبدِ الأرضِ .. أتغَلغَلُ و أسمو نحوَ السَماءِ ، أنفضُ عَن أوراقِيْ غُبار الغارَةِ و أُينِع بالأخضَر و شراييني ، بريقُ عينيَّ لا يَشيخُ ، و ذَهبُ تفاصيلِي لا يَصدأ ، و تاريخِيْ ؛ وَسمٌ أقبِضُ عليهِ في قَلبِي كَي أحميهِ .. أحفرُ أسماءَكُم فيهِ ، و أبرعِمُ مِراراً .. مَهماَ تحدانِيْ حَصادَهُمْ . "

شعر النثر بين البدعة والتنظير

أ. طالب غلوم طالب

إن المتتبع لمسار وتاريخ الشعر العربي يعي أنه مرّ بمراحل مختلفة، وشهد تحولًا في بنيته الثابتة، وانكسارًا في نسقه وخروجًا على معاييره الجمالية والمعنوية، ويمكن اختصار هذه التحولات التي شهدتها القصيدة العربية في ثلاث محطات بارزة: محطة الشعر المحدث بداية من القرن الثاني الهجري باعتباره رفضًا لنموذج القصيدة الجاهلية، ومحطة الشعر الحر (قصيدة التفعيلة) في النصف الأول من القرن العشرين باعتباره كسرًا لنموذج القصيدة التقليدية العمودية، ومحطة شعر النثر في النصف الثاني من القرن العشرين باعتبارها كسرًا لنموذج القصيدة العربية المألوفة سواء العمودية أو الحرة.

وقد أثارت هذه الأشكال الشعرية المختلفة ردود أفعال متنوعة، وقوبلت بالرفض والإنكار، واعتبرت بدعة وخروجًا على معايير الشعر المتعارف عليها، فخلافًا لشعر التفعيلة ظل شعر النثر يواجه بالإنكار والرفض حتى يومنا هذا، وذلك من منظور التعارض مع التراث والخروج عن المعايير المألوفة للشعر العربي. كما أن معظم النقاد والشعراء أنكروا هذا النوع من الشعر لكونه جنسًا أدبيًا جديدًا، ولونًا من ألوان الإنتاج الشعري الجديد المعبر، وما زال الجدل قائمًا حول شعر النثر بسبب مظاهره التجريبية، ونزعته التمردية، وإصراره على إحداث أفق انتظار مختلف، وليس ما قوبل به شعر النثر من تهجين حكرًا على الناقد العربي، بل طال كذلك الناقد الغربي؛ حيث كان العصر الكلاسيكي يبغض شعر النثر، ويرى فيه نوعًا هجينًا لا يُطاق، فيرى النقاد الغربيين أن شعر النثر محير، وصعب، وشائك، ومثير بتعدد أشكاله، ويرون كذلك أنه لم يتجرأ؛ أي منظرٍ ليصوغ قوانينه.

هكذا ظل شعر النثر نصًّا محيرًا بما أثاره من جدل مواقف متضاربة، وبالرغم من المحاولات الحثيثة لتأصيل شعر النثر وتقنينه، وتصدي الكثير من الشعراء والنقاد للدفاع عنه، والتشريع له، وصياغة قوانين يستطيع أن يكتسب بها هويته ومعالمه ومشروعيته، ومع ما جابه هؤلاء من صعوبات وتحديات فرضتها طبيعة النص الشعري نفسه لكونه نثرًا يتمرد على الحدود، ويأبى التجنيس، فما زالت أصابع الاتهام تشير له بفساد الشعر والنثر معًا، لأنه يُعد بدعة وجب محاربتها.

شعر النثر في عيون النقاد العرب

منذ ظهور شعر النثر مع جماعة "شعر" في ستينيات القرن الماضي واجه تحديًّا مزدوجًا: تحديًّا أصيلًا ملاصقًا لشعر النثر منذ ظهوره في سياقه الغربي ناتجًا عن انتقال شعر النثر إلى الشعر العربي، وهو ما يُفسّر كثرة معارضيه الذين أعدوه (بدعة) و (متاهة)، ومن هنا كان على مناصريه أن يبذلوا جهدًا تنظيريًّا، وجدليًّا أكبر مما بذله الغربيون، وقد عبر ناكرو شعر النثر عن موقفهم بطرق مختلفة، ولئن اشترك معظم معارضي

شعر النثر في ربطه بمفهوم البدعة، فإنهم قد اختلفوا في مدلوله وموطنه، غير أن هذا الاختلاف يمكن رده إلى ثلاثة مستويات من البدع، وهي: بدعة التسمية أو الاصطلاح، بدعة الإيقاع، وبدعة الشكل.

بدعة الاصطلاح (شعر النثر) :

من الأسباب القوية الداعية إلى رفض شعر النثر، المصطلح الذي أُطلق عليه، وما تثيره التسمية من اعتبارات، منها: اعتبار التسمية مجلوبة من الغرب، ومُسقَطة على تجربة شعرية عربية مغايرة، فشعراء النثر في مرحلة التأسيس بدؤوا من حيث انتهى الفرنسيون، وذلك بتبنيهم المصطلح قبل أن يتمكنوا من إيجاد ما يطابقه، ويتأسس عليه الشعر العربي، فقد أغفل شعراء النثر حقيقة عدم وجود معادل نصي لهذه التنظيرات راحوا يسوغون إطلاق هذه التسمية على نصوص مختلفة، وأرغموا النصوص على الانقياد لها، ومن أبرز الاعتراضات على تسمية شعر النثر ما يقوم عليه من تناقض أو مفارقة ناتجة عن إضافة النثر إلى الشعر (شعر النثر)، وهذا التركيب الإضافي يؤدي إلى الجمع والخلط بين شكلين أو نمطين تعبيريين (الشعر/ النثر)، وفي زوال الحواجز والحدود ضياع لهوية الشعر، ونفي ماهيته، وهو ما يؤدي إلى شكل هجين أو بدعة لا ندرك معها، أ شعر نثر أم نثر على أساس أنه وضع النصين الشعري والنثري في تناقض؟، وفيه تناقض ظاهر بين عنصريه اللغويين (الشعر/ النثر) بما لكل منهما في تراثنا الأدبي والتراث العالمي من ماهية راسخة، فإنه لا تصدق على طبيعة ما أُطلق عليه، وكأنه اسم على غير مسمى؛ مما أدى إلى زيادة المطالبات لشعراء النثر بالبحث عن تسمية أخرى، بل واقترحوا للاسم بدائل أخرى، منها: (التجاوز، والتخطي) أو (الشعر الأجد)؛ ليكون بذلك شعر النثر أكثر غموضًا وغرابة. وهناك من أوجد بديلًا لمسمى شعر النثر باسم (الشعر الحر) مبررين بذلك أن إحلال كلمة (نثر) محل (الوزن) يعبر عن رد الفعل لما يدعونه (قصيدة النظم)، وهذه البدائل للتسمية قد زادت الأمر تعقيدًا وغموضًا؛ إلا أن من حسن حظ شعر النثر أن هذه البدائل لم تلق قبولًا في الوسط الأدبي، ولم تنجح في منع شعر النثر البتة..!!

بدعة اللا إيقاع:

إضافة إلى ما أثاره مصطلح شعر النثر من جدل، أثار مشكل الإيقاع جدلًا أكبر، وكان من أهم المقومات التي استند إليها النقاد في رفض شعر النثر نمطًا شعريًّا، وكانت الشاعرة العراقية (نازك الملائكة) من أوائل النقاد المعترضين على اعتبار شعر النثر شعرًا بالنظر إلى شكله الكتابي من الناحية الإيقاعية خصوصًا حين تخلى شعر النثر عن نظام البيت أو الشطر؛ جعله لا يشبه الشعر العمودي أو الحر فالشاعرة نازك الملائكة تُعد الإيقاع ضروريًّا لأي شكل شعري، سواء تحقق في البيت (الشعر العمودي) أو في الشطر (شعر التفعيلة)، فترفض ما نفاه شعراء النثر من صلة الشعر بالوزن والقافية، واعتبار الوزن صفة عارضة يمكن أن يقوم الشعر دونها، وتؤكد أنه لا وجود لشعر غير موزون، وتُعد أن شعر النثر ما هو إلا نثر خال من الوزن والإيقاع.

فمن الأفضل لشعر النثر أن يعلن الاستقلال عن كل من الشعر والنثر بوصفه جنسًا ثالثًا، بالرغم من اعتراف النقاد بشاعرية شعر النثر فهم يصرون على أن ذلك لا يمنحه الاعتراف بكونه شعرًا كاملًا، فما يحرم شعر النثر من الانتماء إلى جنس هو افتقاره إلى الطاقات الإيقاعية التي يتوفر عليها الشعر المنظوم فهو دائمًا ينقصه

الإيقاع الشعري لاشتماله على إيقاع نثري بالرغم من توفره على صور شعرية ولغة شعرية، فوصفوا شعر النثر بـ (الخاطرة النثرية)، و(كتابة خنثى)، و(نص مفتوح)، و(شعر الصقيع الجميل)؛ لما ينقصه من دلالات صوتية، وإيقاع شعري بالرغم من اشتماله على إيقاع نثري، ولغة شعرية، وصور شعرية، فالإيقاع بالشعر النثري يفتقد إلى الانتظام التكراري. وبالرغم من لجوء شعر النثر إلى أدوات النثر لتعويض خسارة الوزن، وكسر القواعد العروضية، والاستعاضة عنها بإيقاع جديد، وهو إيقاع الفكرة، وإيقاع الصورة، وإيقاع السرد. وسماه بعض النقاد (إيقاعًا داخليًّا)، فإن هذا المفهوم لقي نقدًا شديدًا، فثمة تشظي ما في شعر النثر يرجع إلى سببين؛ الأول: انتسابه إلى النثر، والثاني: تمرده على الوزن، ولم يوفق في ابتكار شكله الخاص، ولا في خلق إيقاعه المزعوم، فحرية الإيقاع النثري قد تفضي إلى الفوضى بحيث لا يمكن التمييز بين الشعر واللا شعر، فإذا كانت دعوى التحرر من الأوزان يجنب الوقوع في الرتابة والتكرار، فإن لجوء شعر النثر إلى أدوات النثر، وخاصة البنيات السردية لتعويض خسارة الوزن يوقعه في النثرية ويضعف شعريته، وليس الرأي القائل بضعف الإيقاع وغلبة النثرية على شعر النثر، سوى موقف ملطف؛ لأن الغالب على هذا الموقف السلبي هو نفي توفر شعر النثر على الإيقاع، وبالتالي نفي انتسابه إلى الشعر، ولا يقف خطاب التهميش على هذا التوصيف فحسب لشعر النثر باعتباره شعرًا بلا وزن أو إيقاع أو موسيقى، بل يتعدى ذلك إلى الوصف التهجيني الساخر من خلال الاستعارات التشخيصية التي تصور شعر النثر بأنه كائن معوق ومشوه أو (شعر أخرس) أو (شعر برئة واحدة)، ـو(نص وحيد الخلية)، وما ذلك إلا لأنه خالٍ من الإيقاع.

بدعة اللا شكل:

إضافة إلى مسألة التسمية، والإيقاع وجه النقاد انتقادهم لشكل شعر النثر أو ما سماه بعضهم (متاهة اللاشكل)، ولئن ظهر شعر النثر منذ البداية ضد كل تقنين وقوالب جاهزة حتى شاع القول إن شعر النثر يتسع لجميع أشكال الكتابة الشعرية نثرًا، فإن هذا الإدعاء بإمكان نهوض الشعر دون حصره في شكل محدد أو بنية محددة أنكره العديد من النقاد؛ لما يتسبب ذلك في الخلط بين الشعر والنثر، والتي يغيب معه استخلاص قوانين عامة لشعر النثر؛ لأن الملامح الشكلية الثابتة تكون منعدمة فيها، ومن ثم يتحاشى تصنيف شعر النثر، ويتم وصفها بالنمط الإبداعي، وعلى ذلك فإن معظم شعراء الشعر المنثور لم يتوصلوا إلى تحديد ملامح الشعر المنثور، بل اقترحوا مصطلحًا زاده التباسًا، وهو (الكتابة الشعرية نثرًا)، وظل حائرًا بين فوضى اللاشكل، وضبطه في نظام، وخلاصة الموقف المناهض لدعوى اللاشكل أن شعر النثر قطع مع أنماط الكتابة الأخرى، ولكن لم يكتسب شرعيته؛ لأنه لم يخلق نظامًا خاصًّا.

ومن خلال العرض السابق نجد أنه هناك بعض التنظيرات التي تؤصل لشعر النثر، وتضفي عليه المشروعية، وفرضت حضوره، وأثبتت حقه في الوجود إبداعيًا ونقديًا، وبالنظر إلى الاعتراضات والمآخذ التي واجهها شعر النثر فمن البديهي أن يرتكز التنظير على هذه المآخذ نفسها، منها:

التنظير المصطلحي:

فمع تعدد المصطلحات، وانطواء تسمية شعر النثر، فتم تبريره باعتبار ذلك ظاهرة صحية في المجال الأدبي؛ لما يدل عليه تعدد المصطلحات من تعدد، وثراء، ومرونة، واعتبار هذا التعدد مشكلًا نقديًا راجعًا إلى اختلافات النقاد، إضافة إلى أن هذا الاضطراب يعد أمرًا طبيعيًّا في مرحلة النشأة والتشكل، وهو أخذ في الاستقرار تدريجيًّا، ويذهب بعضهم إلى أن التسمية لا تعني مفارقة أو تعارضًا؛ أي جمعًا وتلفيقًا بين نقيضين (شعر/ نثر)؛ أي أنه يلجأ إلى أدوات النثر، شرط أن يعمل لغايات شعرية؛ أي أنه شعر، لكنه متحرر من بعض شروطه، مثل: (الوزن)، ومن ثم فهو جامع بين وهج الشعر وسيولة النثر، هذا إضافة إلى أن استخدام هذا المصطلح حرصًا على تمييز شعر النثر عن غيره من الأشكال والتسميات (النثر الشعري- الشعر الحر – الشعر المرسل ...)، ودفاعًا عن ضرورة تحرر الشعر من أشكاله، وقوالبه الجاهزة .

التنظير الإيقاعي:

بما أن معارضي شعر النثر استندوا إلى غياب الإيقاع، وتهديمه الركن الأعظم في موسيقى الشعر؛ فإن التحدي الأكبر الذي واجه أصحاب شعر النثر هو إثبات توفره على الإيقاع أو على الأقل إثبات إمكان قيام الشعر دون إيقاع أو وزن، وقد أجاب أصحاب الشعر المنثور على ذلك بطريقتين تتقاطعان في هاجس الدفاع عن بدعة (اللا إيقاع –اللا وزن – تهمة النثرية)، فالطريقة الأولى تنطلق من الإقرار بتخلي شعر النثر عن الإيقاع، وخاصة الوزن، ويسعى إلى تأكيد أن الإيقاع ليس ضروريًّا للقصيدة، ومن ثم فإن غيابه عن شعر النثر لا يخرجه من دائرة الشعر، أما الطريقة الثانية تنطلق من القول باشتمال شعر النثر على إيقاع، لكنه مختلف عن إيقاع قصيدة النظم (العمودية – التفعيلة)، ومن ثم يتم البحث عن مظاهر إيقاعية تعوض إيقاع الوزن.

فأصحاب شعر النثر يرون أنه متحرر من الإيقاع، وهذا لا ينقص من الشعرية في شيء، بل على العكس، فعالم الموسيقى في الشعر الموزون عالم قواعد ومواصفات، بينما عالم شعر النثر عالم تمرد وخلق، ولذلك استطاع شعر النثر أن ينقل القصيدة من رتابة الوزن وسكون التفاعيل إلى حركية التدفق الإيقاعي المنفلت من قوالب جاهزة، والذي لا يخضع لتوترات الذات. فشعر النثر ذو إيقاع مخصوص؛ لأن هدم الوزن التقليدي وإسقاط القافية ساق إلى ضرورة إيجاد بدائل صوتية تعويضية، وهذا ما دعا إلى البحث في إيقاع شعر النثر، ويؤكد أصحاب هذا الرأي أن لشعر النثر إيقاعًا غير أنه مختلف عن إيقاع الشعر الموزون فهو نوع أعمق وأقرب إلى روح العصر من الإيقاعات الشعرية المعروفة، كما أن تعويض الإيقاع الخارجي بالإيقاع الداخلي ليس متاهة كما وصفه المعارضون، بل هو إيقاع مختلف مغاير لإيقاع الوزن، فحرية الإيقاع التي تتجانس مع تناغم الروح المبدعة، وهواجسها الداخلية بمثابة محاولة استخلاص طبيعة هذا الإيقاع من النصوص ذاتها ووفقًا لمبادئ التلقي، وبما تمتلكه القراءة من حرية التأويل والتأمل.

التنظير الشكلي:

لم ينكر المدافعون عن شعر النثر صعوبة التعامل مع شكله، واعترف أكثرهم بأنه لم يستطع حتى الآن أن يبلور شكلًا أو أشكالاً معينة، وأن يميز نوعا شعريًا له تقاليده وأعرافه المتأصلة، بيد أن هذه الصعوبات لم تثنهم

عن محاولة فهم البنية الشكلية الخاصة بشعر النثر، وتحديد مقوماته الفنية، فشعر النثر أحد التنويعات البارزة في الحداثة الشعرية، ولذلك فإن المطلوب تبين ملامح شكله الذي يقترحه بديلًا للشكل القديم، وبعض المدافعين يرون أنه متعدد الأشكال، وهذه التعددية هي أفضل سماته وسبب من أسباب استمراره، وبالتالي فإن محاولة إيجاد قوانين صارمة له هي محاولة تنم عن عدم فهمها؛ لأن البحث عن مثل هذه القوانين يعني البحث عن نهاية لشعر النثر، ولعل هناك تنظيرات متعددة للشكل، وبنية الشعر النثري، وقد تم تحديدها في:

- تكسير النمط السردي التقليدي.
- تحطيم الترتيب العقلي المنطقي.
- الولوج إلى عالم الحلم.
- التداخل الزمني.
- الحوار الداخلي.
- تفجير طاقات اللغة.

الخاتمة

أخيرًا يمكننا القول: إن الجدل الدائر في الشعر النثري لا يمكن فهمه إلا في سياق توترات الحداثة، ومن ثَمّ فإن الصراع بين الفريقين (التقليدي والحداثي) لم يكن عن شعر النثر تحديدًا، بل كان عن أسس ثقافية وفكرية كانت في معظم الأحيان متعارضة، ومن ثم فإن جهود الدفاع عن شعر النثر تشير إلى خلفية فكرية قائمة على الحرية في الفكر والإبداع في مواجهة ثقافة الرفض للاختلاف والتجديد، وتنكر كل جديد على غير مثال سابق وترميه بالبدعة. فالصراع بين دعاة شعر النثر وخصومهم صراع على الانتماء؛ انتماء شعر النثر إلى الشعر أو انقطاعه عنه، فقد كانت قدسية الشعر هي الكامنة وراء مواقف الفريقين، فالمسألة ليست متعلقة بإبداعية شعر النثر بقدر ما هي متعلقة بالجنس الشعري التقليدي الراسخ في التراث العربي والضارب في أعماق الذات العربية.

لغَةُ الضَّادِ ..أزْهارُ الرّبيعِ وأوراقُ الخَريفِ

أ. عزيز فيرم

لغتنا العربيّة ليست لغة عادية ولا لغة خشبيّة، كما أنها ليست وسيلة للتواصل وما دون ذلك فحسب، بل هي كيان قائم بكل أصوله وفروعه، هي اللغة التي أنزل لله بها القرآن على رسوله الكريم محمد صلّ الله عليه وسلم، لغة العزّ والمجد السامق الباسق التليد. بعيدا عن تقديس الذات وهواجس نظريات المؤامرة من جهة،ومن جهة أخرى إعمالا لمسارات الموضوعيّة والتقصي وإبداء ما هو موجود، فإننا نعتقدبأن لغتنا العربيّة تعيش منذ أمد قد لا يكون قريبا أزمة من أشد أزماتها، أزمةالتغريب في أوطانها وأزمة الإحتقار في ديار الغرب المتغني بلغاته، بعد أن عاشتفترات أنبلجت فيها شموسها على مستويات عدّة خلال حقب زمنية غابرة.قد لا نبالغ إن قلنا بأنه ثمّة عوامل شافعة ودافعة وراء ذلك الوضع البائس، سياسيّة وثقافيّة وتكنولوجيّة، ماديّة وحتى معنويّة، إننا نلاحظ ما يكتب باللغة العربيّة اليوم لا يرقى إلى الرّقي بهاته اللغة العاليّة، كتبا تتغلب عليها الذاتيّة والتنظير الجامد والنمطيّة المفرطة،على حساب الموضوعيّةوالإحصائيّة والواقعيّة التي تتميز بها لغات أقوياء العالم بالمقابل.إننا نطرح في هذا المضمار سؤالا جوهريا، بل أسئلة عدّة:لماذا يكتب كثير من المثقفين العرب وقامات الفكر بلغات أخرى غير العربيّة؟ ولماذاترجعت لغتنا العربيّة وتضاحل وهجها بالشكل الموجود؟ وهل يحق لنا أن نأمل في ريادةلغتنا الموجوعة من جديد لتصبح لغة العلم والعلوم بل لتصبح لغة العالم برمته، اللغة التي يكتب بها غيرنا بعد أن صرنا نحن من يحاربها ويقصفها كتابة وكلاما وتواصلا؟لماذا يلجأ باحثونا كما غيرهم من أبناء جلدتنا للبحث عن الحقائق والوقائع عبر لغاتأخرى، لغة الأصدقاء كما لغة الأعداء؟إنّ ترجمة الأعمال والمواضيع الهامة –التي تخدمنا كعرب-من لغاتها الأصليّة إلى لغتنا العربيّة ليضيف ويثري رصيدها في مواجهة غيرها،فالعربيّة إناء واسع رغم قبوله إستقبال كلمات ومصطلحات من لغات أخرى فإنّ ذلك لا يغيّر من قيمته وعذوبته وأصالته شيئا.قد نضيف أمرا إن قلنا بأنّ الولايات المتحدة الأمريكيّة-الموسومة اليوم بالقوّة العالميّة الكبرى- قامت كدولة من مدة ليست بالبعيدة وتعتمد الإنجليزيّة كلغة رسميّة للبلد في جميع التعاملات، لكن هل فكرنا وتأملنا في هاته اللغة من حيث أصولها؟ نعمفالانجليزيّة الأمريكيّة إنما هي إمتداد للغة الأنجليزيّة البريطانيّة وهي الأصل،ورغم ذلك فإن أمريكا إستطاعت أن تجعل هاته اللغة، اللغة الأولى في العالم اليومرغم أنف أعدائها(أعداء اللغة الإنجليزيّة).ورغم تألقها إلاّ أنّها تأنقت بكثير من المصطلحات المستوردة من لغات أخرى حيّة، في هذا المقام حريّ بي تذكر واحدة من الكلمات ذاتالصدى والبعد، كلمة دخلت قاموس اللغة الانجليزيّة الأمريكيّة السياسي رغما عنهاوعن من احتل فلسطين آواخر ثمانينات القرن الآفل، إنه مصطلح الانتفاضة الفلسطينيّةالمباركة حينها استعمل الإعلام الأمريكي كلمة الإنتفاضة العربي للتدليل على كينونة شيء يكرهه الغرب مأخوذ منلغة يمقتها ذلك الغرب، ورغم هذا الزخم إلاّ أنّ اللغة الإنجليزيّة الأمريكيّة أولنقل الإنجليزيّة بشكل عام أضحت اليوم لغة العلم والتكنولوجيا بسبب تسيّد أمريكاالعالم في جميع الميادين من نهاية الحرب الباردة إلى لحظتنا هاته.أمريكا الفقيرة بالتراث تصنع اليوم تاريخا على مستوياتعدّة، ومع بالغ الاسف فإننا نرى أنفسنا ونحن الذين صنعنا التراث الانساني أو على الأقل ساهمنا في صناعته وبنائه نقف اليوم شبه عاجزين على ترجمته إلى واقع ماديملموس(إبتكارات علميّة واختراعات تكنولوجيّة ...) ونحن في زمن العولمة

التي أضحى العالم معها وكأنه قرية كونيّة صغيرة يحتاجنا لنضع بصمتنا عليها بلغتنا كما بهويتنا وموروثنا، بثقافتنا وسياستنا واقتصادنا وبجيع مكوناتنا التي لا أعتقد أنها تقل قيمة وأهمية عن غيرنا، لكن ولكي نضع الأنامل على مصدر الوجع فالعربيّة كلغة لنتتوهج ولن تقوم لها قائمة ونحن نعاني كعرب من الوهن في جميع الميادين التي هي نفسها من جعلت الولايات المتحدة الأمريكيّة اليوم -كما فعل قبلها قوى أخرى- تقود سفينة العالم كما تريد لتمخر عباب البحر الذي ينتظر العربيّة كلغة لتنثر سحرها عليه كما فعلت ذات زمن مجيد.

لمَ الأدب؟

أ. عهود الناصري

لكل الذي ما زال يتساءل عن الحاجة إلى الأدب في زمن العلم، وجب أن نسأله كذلك: هل قرأت كلاسيكيات الأدب الروسي أولًا؟ قد يرى البعض أن الأدب يمكن إدخاله ضمن دائرة الذوق الخاص، لذلك قد نجد من ينتقد الأدب الروسي خصوصًا، ويعده كلاسيكيًا لا يُماشي العصر وَفق انطباعات بسيطة ومعايير مزاجية والقفز على إبداء الرأي دون اعتماد تقنيات وأدوات تعتمدها الجماعة العلمية، والذي يمثل تجسيدًا حرفيًا للنسبية الشديدة والذاتية الضيقة، وعندما تحاول مناقشته يُشهر في وجهك جملته الشهيرة "الأذواق لا تناقش". لكن يبقى الأهم ما اتُّفق عليه عالميًا بأنه كان وسيظل عملًا خالدًا ومرجعًا معتمدًا من طرف باحثين ونقّاد محكّمين مسلحين بالقراءة النقدية التي يكون فيها الحِجاج المنطقي والاستدلال هو الفيصل، معتمدين على المناهج التي اشتغل عليها المتخصصون عقدًا من الزمن تمكّننا من مَعْيَرة عمل ما؛ لذا يغدو الأدب الروسي -حسب معظم النقاد والمبدعين- أرقى ما كُتب في القرن التاسع عشر الميلادي، وهو ما يزال الأكثر تأثيرًا على مستوى العالم، بل يمكننا عدّه مصدر إلهام للمبدعين كذلك، فأين تبرز قيمة هذا النوع من الأدب؟ وبمَ تميز الأدباء الروس عن غيرهم من الكتّاب، وبه أصبحوا حدثًا تاريخيًا في الأدب - دوستويفسكي نموذجًا؟

بداية، نجد الروائي الفلسطيني أسامة العيسى يقول: "تأثرت كثيرا بالأدب الروسي في سنوات التكوين الأدبي التي ارتبطت بالوعي السياسي ونشاطي في صفوف اليسار الفلسطيني ضد الاحتلال". وقال الروائي العراقي حسن النواب عن رائعة مكسيم غوركي الأم، وعن الجريمة والعقاب لدوستويفيسكي: "حين انتهيت من مطالعة رواية الأم لمكسيم غوركي اشتعلت شرارة التمرد في دمي، كنت أسعى أن أكون مناضلًا، وحين قرأت الجريمة والعقاب همت في الشوارع بحثًا عن الفتاة صونيا، الأدب الروسي هو روح الإنسانية المضطهدة". هذا ولا يخفى عنّا مترجم هذا النوع من الأدب، المفكر الكبير سلامة موسى الذي كان يرى أن الأدباء الروس خصوصًا غوركي وتولستوي من معلميه الكبار، انطلاقًا مما جاء في كتابه المعروف "هؤلاء علموني" وأطلق على مكسيم غوركي في سياق المقالة تسمية "أعظم إنسان في العالم".

إن روائع الأدب الروسي الكلاسيكي ستظل عصارة ما أُنتج في الأدب عبر التاريخ، لا لشيء سوى لأنه نتاج للنص وروح النص (الفكر العضوي: الفلسفة والسياسة والتاريخ وعلم النفس...). وعمومًا فإن الترجمات العربية كانت موفّقة في المحافظة على مضمون ولغة النص الأصلي، فإذا قرأنا الأعمال الأدبية الروسية بالعربية خاصة أعمال دوستويفسكي وتولستوي بترجمة سامي الدروبي، فإننا سنلمس الإبداع الروسي بفعل ترجمته

الرصينة، وقد سأل مرة طه حسين المستشرق الروسي كراستوفسكي عن رأيه في ترجمة الدروبي فقال: "لو أن دوستويفسكي كتب بالعربية لما كتب أجمل من ذلك".

إن إنتاجات دوستويفسكي الروائية لا يمكنها إلا أن تترك الأثر العميق على القارئ، فكيف إن كان هذا الأثر على فلاسفة كبار كنيتشه. ففي الصفحة الأولى من كتاب الفرنسي أندريه جيد "دوستويفسكي محاضرات ومقالات" يقوم الأديب الفرنسي باقتباس واحد من أكثر مفكري القرن التاسع عشر إثارة للجدل، فريديريك نيتشه إذ يقول: "دوستويفسكي هو الوحيد الذي أفادني في علم النفس، كان اكتشافي له يفوق أهمية اكتشاف ساندال". عُرف دوستويفسكي بالتحليل النفسي الفائق للشخصيات، فرواية (المقامر) مثلًا تقدم نموذجًا أكثر تطورًا، ذلك أن التحليل النفسي هنا لا يأتي عرَضًا، بل في جوهر العمل التحليل النفسي. كتب دوستويفسكي "المقامر" عام 1866م وكان في نحو الخامسة والأربعين من عمره، وهي عبارة عن ترجمة لتجربته الشخصية.

وهكذا، ومن خلال هذه المغامرة البائسة التي يعيشها بطل الرواية الكسي إيفانوفتش مع القمار يصف دوستويفسكي أصالة القمار وأحوال المقامرين وتصرفاتهم وعلاقتهم باللعب، على نحو مدهش وأخّاذ لا يمكن إتيانه إلا ممن عاش تلك الحال بالفعل. ولقد ساعد دوستويفسكي على هذا أنه عرف كيف يلتقط أفكار شخصياته وأحلامها وخيباتها في اللحظات نفسها التي تكون فيها غارقة في أعلى درجات التوتر، في وصف تلك الحالة الغريبة التي وجدت نفسها تعيش آخر أيامها فانصرفت إلى ذلك الشغف باللعب، الذي أعطاها مبرّرًا للوجود.

قد لا تعدّ "المقامر" من أعمال دوستويفسكي الأساسية، لكنها مع ذلك تعد عملًا عميقًا وصادقًا، وهو ما جعلها تحتل دائماً مكانة خاصة في سلسلة أعمال هذا المبدع الروسي الكبير بين "الأبله" و"الأخوة كارامازوف"، وغيرها من أعمالٍ أُسست لنوع متميز من الرواية.

أما رائعته "الجريمة والعقاب" فتمثّل العمل الأكثر قدرة على سبر أغوار النفس البشرية، وتقاطع لكل المشاعر الإنسانية: الحب والمراهقة، الانتقام والندم، الكرامة والظلم، الخير والشر، العذاب والأهواء... وجسدت أيضًا ذلك التناقض الذي قد يحمله الإنسان داخله، في أن يبتغي الكرامة ويمتلك المقدرة على ارتكاب الجرائم، فهل حقًا من يبتغي القيم الإنسانية السامية والنبيلة قد يرتكب أشنع الجرائم بالطرق الأكثر وحشية؟! راسكولينكوف يعني في اللغة الروسية المنفصم، مثّل هذا التناقض البشري، الطالب البسيط الذي يسعى لحياة كريمة يسقط في دناءة النفس البشرية، فالدوافع التي أدّت به لقتل العجوز هي خليط من العوامل السيكولوجية المركبة بين الرغبة في إثبات الذات واستعادة الكرامة المفقودة من خلال سفك الدم، لكن بعد أن يقتل هذه العجوز يبقى أسير هواجسه القاتلة المعذبة، فكان يردد في نفسه أيكون هذا هو العقاب؟ فيصل دوستويفسكي إلى أن العقاب قائم على العذاب النفسي الرهيب من كآبة واهتياج وهذيان يعانيه مرتكب الجريمة و يدفع بصاحبه إلى حافّة الجنون.

في عالم دوستويفسكي القاتم نجد أن الدوافع الإنسانية لا تخضع لمنطق صارم، بل للتساؤل والعجز المحفورَين في صميم الإنسان، دون أن يجد إجابة عن إشكالاته الميتافيزيقية التي تُعبر عنها دوافع اللاشعور أو اللاوعي والعقل الباطن. لهذا تعد روايات دوستويفسكي تقاطعًا بين رؤيته الفنية والفلسفية، والتفسيرات الفرويدية للاوعي البشري، وهنا نستحضر ما قاله مؤسس مدرسة التحليل النفسي سيغموند فرويد: "دوستويفسكي هو أول إنسان أعطانا فكرة عن الناس الذين هم نحن".

لن نطيل في الحديث عن أعمال دوستويفسكي أو ما قاله أبرز الكتاب والمفكرين والعلماء عنه، لكنه يستحق حقًا أن يكون ضمن أعظم الفلاسفة عبر التاريخ؛ افتُتن بدراسة الإنسانِ هذا الكائنِ ذي الأبعاد المركبة الذي كثيرًا ما حاولت العلوم الإنسانية إبداع مناهج عدة من أجل دراسته بدقة، إلا أن حقيقة الإنسان وحقيقة نفسه ومشاعره وأفكاره لا تبدو للعيان، بل تختبئ دائمًا في الهامش، والقدرة على استحضارها وشرحها وتفكيكها يحتاج إلى براعة، وهذا بالضبط ما برع فيه دوستويفسكي.

لقد مثّل اسم دوستويفسكي عنوان الأدب الروسي العظيم، إضافة إلى الروائيين الروس الآخرين: غوغول، تولستوي، الكسندر بلوك... وتشيخوف في القصة، إبداعًا خلاقًا في قصص تدمج حبكاتها ما بين التشويق والإثارة، وبين الأسئلة الفلسفية والوجودية والتحليلات التي أخذت تنظر نظرًا مختلفًا إلى حركة التاريخ والمجتمع الإنساني.

وهكذا استطاع الأدب الروسي أن يأسر عقل ووجدان القراء ووجدانهم ومشاعرهم، ويحرك في الوقت نفسه تساؤلاتهم ويوجه رؤاهم وأفكارهم نحو أعماق جديدة مختلفة كليًا عمّا اعتادوه في غيره من الآداب.

محاكمة دمنة

أ. محمد صلاح

لما بلغ الإسكندر مبلغًا عظيمًا في مواجهة كل الممالك، سار إلى الهند، واستولى عليها؛ فلما استتب له الأمر أقام عليهم رجلًا؛ ليخلفه ثم ارتحل؛ فتمرد عليه رجل يُسمى "دبشليم"، وانتزع منه الحكم، وقد بغى وتجبر وتكبر.

فلما رأى منه الفيلسوف "بيدبة" ذلك عزم على مواجهته ونصحه؛ وأخبر تلاميذه أنه ينوي فعل ذلك، وقد حذروه من عاقبة الأمر، فلا يكون كمن يسبح مع التماسيح أو أن يكون كمن يشرب سم الحية؛ ليجربه على نفسه، وألا يأمن وثبة الأسد.

لكن "بيدبه" عزم على مواجهة الملك.

فلما دخل عليه "بيدبة"، طال سكوته، فعرف الملك أن "بيدبة" به وجل، فطمأنه، فأثنى "بيدبة" على الملك ورفع قدره، ثم أخذ يعدد مثالب الملك في شكل نصائح، لكن الملك استصعب قول "بيدبة"، وأغلظ له الجواب واستصغره، ثم أمر بقتله، ثم عاد ليعدل من ذلك بسجنه، وأرسل يطارد تلاميذه.

لكن "بيدبه" كان يرى أن الحاكم تصيبه سكرة أو غفلة، وبحاجة إلى من يوقظه من غفلته أو سكرته، فلما كان الملك يتقلب بالليل شعر أنه سارع في الغضب على "بيدبة"، فأرسل في طلبه، وطلب منه أن يعيد ما قاله.

فاستحسن الملك كلام "بيدبه"، وولاه، وطلب منه أن يضع كتابًا يخلد ذكراه وسيرته، وأن يشتمل على الجد والهزل والحكمة، وأن ينتهي من الكتاب خلال عام.

أنهى"بيدبه" الكتاب في خمسة عشر بابًا، وجعل الكلام على ألسنة الحيوانات والطير؛ ليكون ظاهر الكتاب لهوًا، وباطنه حكمة، وسماه "كلية ودمنة".

وقد حذر الملك من أن ينتقل الكتاب إلى بلاد فارس، فلما سمع بذلك الكاتب "أنشروان كسرى" بفارس، عمل على إحضاره، وسعى في ذلك عن طريق الطبيب "برزويه".

وقد تُرجم الكتاب إلى العديد من اللغات، وقد ترجمه إلى العربية "عبد الله بن المقفع"، وقد اتسم الكتاب بالإطار القصصي؛ وهو أن تكون قصة في إطارها مجموعة من القصص.

وقد جاء بالكتاب مجموعة كبيرة من القصص على لسان الطير والحيوان، وقد كانت مقدمة الكتاب قصة "كلية ودمنة"، وهم أشقاء من بنات آوى، وقد جاء:

"لما وجد دمنة ما بلغ "شتربة" "الثور" من مكانة عالية؛ عز على "دمنة" ذلك، وقد وجد في نفسه غصة أنه هو الذي عرفه وقربه من الأسد.

وقد وجد الملك "شتربة" من الأكياس قربه واستشاره في أموره؛ وحسن مرافقته للأسد، وقد حذر "كليلة" "دمنة" أن يتحامق أو يتهور، لكن "دمنة" قد عزم أن يطيح "بشتربة"، فعمد إلى كل من "الأسد" و"الثور" وانفرد بكل منهما مدعيًّا أن الآخر يتربص به.

كلٌ منهما أنكر ماسمعه من "دمنة"، وقد أكد كل منهما على حسن عشرة الآخر؛ لكن "دمنة" أخذ يرغب ويرهب في كلٍ منهما، إلى أن استنفر كل منهما للآخر.

فلما تواجها "شتربة" و"الأسد" عاجل كل منهما الآخر؛ إلى أن قُتل "شتربة" وجُرح "الأسد".

فثقل ذلك على "كليلة"، وأنّب "دمنة" على فعلته، وأنذره أنه لن ينجو بفعلته، وأخبره أن الابتعاد عنه من الحكمة؛ لأن الاقتراب منه، ومصاحبته تعني موافقته على ما أجرم في حق الملك الذي أحسن إليه.

ولما كان الاثنان على هذا الحال، من تعاتب وتأنيب سمعهما "النمر"، فأخبر "أم الملك" بعد ما أخذ عليها المواثيق والعهود ألا تخبر عمن أخبرها فأعطته العهد، فأخبرت "أم الأسد" "الأسد" بما كان من أمر "دمنة" دون أن تفصح عن المخبر.

فأمر "الأسد" بالقبض على "دمنة" وسجنه، وقد تزاور معه "كليلة" في محبسه، وقد عاتبه على ما جرى، وكيف أنه لم ينتصح، وطال بينهما العتاب، وكان "الفهد" قيد الاعتقال يسمع تحاورهما، فحفظ ما دار بينهما، وإقرار "دمنة" بما جرى.

وينعقد مجلس القضاء، و"دمنة" يكثر من اللجاج، وقد أرهق كل من حاول إدانته؟

يتقدم سيد الخنازير؛ على أساس أنه أعلم الحضور بالصور والأحوال.

سيد الخنازير: "إن من تجد عينه اليمنى أكبر من عينه اليسرى، وتميل للجانب الأيمن فهو أقرب للفجور". هنا ينتقص "دمنة" من عقله، وقد أنب عليه "الأسد"، وحذر "الأسد" من مخالطته؛ لما فيه من النقائص، ثم نعته بالأعرج المكسور الذي في وركه نسور سييء المنظر والمخبر، منتفخ البطن، أفلج الشفتين؛ مما جعل سيد الخنازير يبهت ويتلجلج.

لكن القاضي طلب من "دمنة" أن يتوب ويعتذر عن فعلته، لكن "دمنة" شكك في ذمة "القاضي"، وطلب من "القاضي" أن يتوب؛ ذلك لأن القاضي يأخذ بالظن، وقد قال له "دمنة": "وأنا أظن في نفسي أني لم أفعل شيئًا"، وتعجب "دمنة" أن "القاضي" ما زال في نظر الملك مخلصًا.

فلما رُفع الأمر إلى والدة الملك، قالت للملك: "إني أخاف عليك من مكر "دمنة"، وأنه قد يحتال لك ويقتلك.

الملك: من الأفضل أن تخبريني عمن أخبرك بأن "دمنة" هو الجاني.

قالت: لا، إلا إذا هو ارتضى من تلقاء نفسه أن يشهد بما سمع.

فلما علم "النمر" بما حدث من زياط، ولجاج، حضر، وشهد بما سمع.

وقد جاء "الفهد"، وقد أدلى بما سمع.

وقال الملك "للفهد": لِمَ تأخرت في الشهادة ؟!

رد عليه الفهد: بأن شهادتي كانت منفردة، وهي مطعون فيها لا تقيم حجة.

فقبل الملك عذره؛ وقد أمر بقتل "دمنة".

هكذا كان المثقف العربى

كان شابًا صاحب لعب ولهو، خاطب ربه قائلًا: "كيف لا أبتهج بك سرورًا، وقد كنت أكدح ببابك؛ حتى جعلتني من أهل التوحيد؟"، إنه أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم الإخميمي المشهور بذي النون المصري الذي وُلد عام ٧٩٦ م، وتُوفي عام٩٥٨م، ودُفن في المقطم، وقد كان فقيهًا، حكيمًا، فيلسوفًا، زاهدًا، وصاحب عقل مستنير، دعا لحرية النظر والتأمل. تعرض ذو النون للهجوم من أهل عصره، وكادوا له عند الأمير المتوكل، فدعاه الأمير إلى مجلسه وحاوره، فأشاد بصحة إسلامه، ورجاحة عقله، وحسن منطقه، وأطلقه؛ ليستمر في الدعوة.

كان ذو النون أحد الذين نجحوا في فك طلاسم اللغة المصرية القديمة، وترجمتها إلى اللغة العربية الفصحى.

كما كان إمامًا يجمع الناس؛ ليعلمهم ويدعوهم إلى الخير ونبذ الشر، كما كان شاعرًا، له شأن كبير، وكان عالمًا، يجيد إلى جانب العربية اللغتين الفارسية واليونانية، وترجم منها وإليها الكثير، وله كثير من المؤلفات، وَكان يدعو إلى التصوف والزهد، واشتغل بالكيمياء وتعلم السريانية؛ حتى قيل إنه قد سبق شامبليون في فك رموز الحضارة المصرية القديمة ولغتها الهيروغليفية، وله مؤلفات في هذا المجال، منها: حل الرموز والأرقام في كشف أصول اللغات.

تلك نبذة موجزة عن ذي النون المصري، فهكذا كان المثقف العربي.

بين قواعد "السّيو" وقواعد اللّغة العربيّة ضياعٌ في الهويّة

أ. وفا نسيب المهتار

"قواعد السّيو" مصطلح ظهر في الآونة الأخيرة، ليحتّم نوعًا من التّكرار غير المألوف في المقالات الّتي تتصدر واجهة البحث على محرك "غوغل"؛ إذ يفرض التّطبيق تنافسًا بين مستخدميه على قاعدة كتابة يتعمّد فيها الكاتب تكرارًا مقصودًا، يخاطب فيه قاعدة التّسويق الشّهيرة على الموقع بخدع مبطّنة، مفادها تكرار الكلمات والجمل المفتاحيّة للنّص أكثر من عشر مرّات لكلّ ألف كلمة. الأمر الّذي يحتم ركاكة لغويّة تتمدد على حساب جماليّة النّص والمفاهيم اللّغويّة الشّائعة لجعله نصًا مقبولًا ومألوفًا لدى القرّاء. وأخطر ما في هذه الظّاهرة غربلة النّخبة على حساب الكم، والتّكرار غير المجدي سوى لفائدة التّسويق، وجعل المقال بين قائمة المقالات المتداولة على واجهة الموقع لدى دخول المتصفح للسؤال عن كلماته المفتاحيّة. فبات أصحاب الشّركات يخاطبون المتصفح من عمق كلماته البحثيّة ضمن قائمة إحصائيّة لأكثر الكلمات بحثًا على الموقع وفق المجال المستهدف وفي مختلف الموضوعات المعرفيّة كالتّربويّة والطّبيّة والاجتماعيّة وغيرها..

ويبدو مع هذه المفاهيم أننا نعيش اليوم حرب إلغاء لغويّة من شأنها غربلة النّخبة والأقلام الواعدة على حساب تكرار يشوه المضمون ولا يعكس الفائدة العلميّة والمعرفيّة المرجوّة.. وأسوء ما فيها أننا بتنا نخضع لقواعد هذه التّطبيقات بدلًا من أن نخضعها ونطوّعها لتطوير لغتنا وجعلها مواكبة لعصر الحداثة ومفاهيمها.

فبين قواعد "السّيو" وقواعد اللّغة العربيّة، يبقى الرّجاء ألّا تضيع الهويّة الفكريّة والثّقافيّة والعمق المعرفي وجماليّة النّص لانتقاء النّخبة على حساب الكم الفائض المتنامي.

لقاءات ومقابلات

لقاء مع الأستاذة مرمر محمد

شخصية تختلف عن الجميع.. مميزة في كل شيء.. حضرت فلم تكن بالعادية، مثّلت بلدها في مسابقات، فكانت خير سفيرة لوطنها، ثم أصبحت مسؤولة تقيم الفعاليات، فكانت أيقونة في جدّها واجتهادها، لا يستغني عنها الاتحاد، كيف لا وهي أحد أركانه الأساسية.. إنها المهندسة مرمر محمد، مديرة مكتب الاتحاد في السودان، ضيفتنا في هذا الحوار، فلنرحّب بها.

- مَن مرمر محمد؟

- جوهرة خُلقت في العاشر من كانون الأول/ديسمبر، لتزين بيت والدَيها بالحبِّ، زهرة خُلقت لتبذر الودّ في قلوب البشر.

- حدّثينا عن بداياتك وطفولتك ودراستك؟

- البدايات دائمًا جميلة، كانت وما فتئت وستظل كذلك، كأي طفلة تحبّ اللعب والمرح، لم يلامس خدَّيها سوى قوس قزح مبتهجة، وإن مرَّ عليها حزن امتصته. درست الابتدائي في أربع مدارس مختلفة، آخرها مدرسة السماح الخاصة بنات وبنين. وفي المرحلة الثانوية درستُ في مدرستَين: الأولى: الشقيلاب النموذجية بنات، والأخرى: مدرسة المعالي الخاصة (معهد صلاح سابقًا). وانتقلت للمرحلة الجامعية ودرست في كلية الهندسة المدنية قسم الإنشاءات في جامعة "كرري"، وفيها حضّرت الماجستير كذلك.

- كيف كانت بداياتك مع الكتابة؟

- بدأت الكتابة في الثامنة من عمري، أكتب يومياتي وقصص أطفال خاصة. في مرحلةٍ قريبة جدًّا أراد عمي -حفظه الله ورعاه- تنمية موهبتي، فانتقلت وقتها لكتابة أشعار وقصائد للطفولة. لم أتوقف عن كتابة ما بداخلي وإن كنت لم أداوم عليها (الكتابة). وفي العام 2019 تعرفت إلى مبدعين، فأخرجت ما في صدري من أحرف لتُكتَب على الورق.

- ما المجالات التي تُفضّل مرمر الكتابة فيها؟

- النثر، القصص القصيرة، وأحيانًا الروايات.

- شخصية أثّرت في مرمر؟

- المكي عبد الجليل.

- هل ترين أنكِ حقّقتِ طموحاتكِ؟

- لا، فالطموح لا ينتهي إلا بنهاية العمر، وما دام في العمر بقية فسأبقى دائمًا في حلبة الطموحات.

- كيف ترَين الثقافة السودانية؟
وما الأنشطة التي سيقدّمها مكتب السودان لإبراز الثقافة السودانية وخدمة المثقفين؟

- سنقدّم ندوات وورشات مجانية لمبتدئي الكتابة، وورشات احترافية للجميع، كما سنقدّم مسابقات بجوائز مادية في المستقبل القريب بإذن الله، وجوائز أكبر كطباعة كُتب وغيرها...

- كيف ترَين الاتحاد العالمي للمثقفين العرب وأنتِ أبرز شخصياته المؤثرة؟

- فكرة الاتحاد عظيمة جدًّا؛ لأنها تجمع مُعظم مُثقفي العالم العربي وأكبرهم تحت مظلة الثقافة، وبتضافرهم معًا وبأفكارهم سيشكّلون عالمًا مختلفًا بعيدًا كُل البعد عن براثن الجهل بإذن الله.

- هل من كلمة أخيرة؟

- شكرًا لحسن استضافتكم، وأتمنّى أن يصل مكتب السودان لأعلى المراكز بين مكاتب الاتحاد، وأن يكون نجمًا لامعًا في سمائكم.

مراسلينا حول العالم

رحلة إلى السعودية

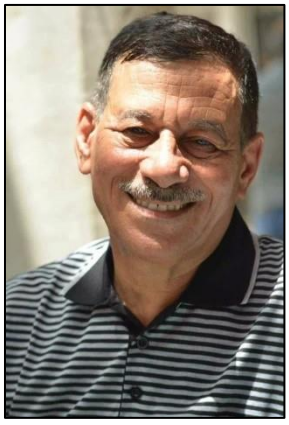

أ. شاكر عبد موسى

بدايـــة الرحلـــــة

بحمد الله وتوفيقه قمت بزيارة المملكة العربية السعودية يوم الإثنين الموافق الرابع من شهر شباط 2018 لأداء مناسك العمرة المفردة لمدة عشرة أيام ضمن المجموعات السياحية في منطقة سكني أو ما تسمى (الجروبات أو الحملات) البالغ تعدادها 210 أشخاص تمثّل النساء فيها أكثر من 80 بالمائة من المجموع الكلي، انطلاقًا من مطار البصرة الدولي، باتجاه مطار الملك عبد العزيز الدولي في مدينة جدة العاصمة الاقتصادية للمملكة، بوساطة طائرة بوينغ 737 تابعة للخطوط الجوية العراقية، استغرقت الرحلة ساعتين ونصف الساعة.

بعدما وصلنا إلى مدينة جدة السعودية انطلقنا إلى المدينة المنورة بواسطة حافلات نقل حديثة تحتوي على أجهزة شحن الهواتف النقالة، تلك الهواتف التي لا تفارق أيدي الشيب والشباب من الرجال والنساء، قاطعين مسافة 420 كم لنستقر في فندق جلنار ذي الاثني عشر طابقًا، لتبدأ رحلة التعبّد والتسوق والأكل المفرط... فمعظم العراقيين هم أكثر شراهة بالأكل والشرب من بقية الشعوب الموجودة معنا في المكان نفسه، وهي شعوب تأكل وتشرب على قدر حاجتها، أما نحن نترك نصف الطعام والشراب للقمامة، والبعض منا لا يضع القمامة في المكان المناسب لها، فكيف تتوقع منهم أن يختاروا الشخص المناسب في المكان المناسب عند إجراء الانتخابات المحلية والبرلمانية؟!

الفنـــادق

في كل فندق كبير سواء أكان في المدينة المنورة أم في مكة المكرمة مطعم وقاعة كبيرة لتناول الطعام تستوعب مئات الزائرين، هذه القاعات تُؤَجر لصاحب الحملة الذي يقوم بدوره بتهيئة الطعام والشراب للمسافرين عن طريق التعاقد مع شركات إطعام خاصة أو ما يسمى (بوفيه مفتوح).

و في كل فندق مُصلّى كبير يتسع لأكثر من خمسمائة مصلٍّ إلا أنّ الغالبية من العراقيين يصلون في ممرات طوابق الفندق التي يسكنون وبشكل جماعي رجالًا ونساءً يؤمّهم رجل دين مبعوث من قبل دائرة الإرشاد الديني/الهيئة العليا للحج والعمرة والذي يقوم بتسهيل الزيارة للمعتمرين عن طريق تعليمهم مناسك العمرة وترديد شعائرها المطلوبة، كذلك بشرح الأماكن والمزارات الدينية والتاريخية الأخرى للمعتمرين، فهو يعدّ القائد الروحي للحملة، أما الأمور التنظيمية يشرحها صاحب الحملة أو المرشد الإداري المرافق لها، مثل أوقات الطعام، وأوقات تجمع المعتمرين، ونقلهم وأوقات الوصول والمغادرة والسكن.

عند نزولك من الفندق الذي تسكن يتلقّفك أصحاب سيارات الأجرة (التاكسي)، لينقلوك إلى الأسواق التجارية (المولات) مجانًا، وكنت أتوقع أنهم ينقلوننا لوجه الله تعالى، ولكن بعد وصولنا -المول- أخذَنا إلى شخص جالس عند باب الدخول ليأخذَ منه مبلغَ خمس ريالات عن كل شخص جاء به إليهم، كذلك عن العودة يقرأ صاحب السيارة فاتورة الشراء ليقدمك مرة ثانية لرجل جالس في باب الخروج ليعطيه أجرة النقل عن كل شخص اشترى منهم، فإذا كان مبلغ الشراء قليلًا -كما حدث- معي يقول لك أنت تدفع أجرة النقل.

تعج تلكم المولات بالمتبضّعين العراقيين على الرغم من ارتفاع الأسعار؛ بسبب ضريبة القيمة المضافة التي فرضتها الحكومة السعودية على معظم السلع الاستهلاكية البالغة 5 بالمائة من قيمة الشراء، فنحن من الشعوب المدمنة على الشراء عند السفر كهدايا للأهل والأصدقاء، لأنّ العراقي لا يأتي فارغًا عند السفر حتى وإن كان فقير الحال.

السعوديـــــــــــــة

دولة عربية خليجية تمتد من الخليج العربي شرقًا حتى البحر الأحمر وخليج العقبة غربًا، لها حدود مشتركة مع عُمان واليمن وقطر والإمارات والكويت والأردن والعراق، تعداد نفوسها ما يقرب من 33 مليون نسمة، يمثّل الأجانب والوافدون أكثر من ثلث السكان، ومساحتها أكثر من مليوني كم2.

تُقسم السعوديّة إلى أربع مناطق كبيرة، يحكم كل منها أمير من العائلة الحاكمة في العاصمة الرياض، وهي:

1- الإحساء: وتُعرف باسم المنطقة الشرقيّة، عاصمتها الدمّام، ومن أهم مدنها: رأس تنورة، وظهران.

2- نجـــــد: تقع في وسط البلاد، وتتضمّن العاصمة الرياض.

3- الحجــاز: وتُعرف بأنّها المنطقة الغربيّة الممتدّة على طول البحر الأحمر، وتضم مكّة المكرّمة، والمدينة المنوّرة.

4- عســـير: وتعد (أبها) أبرز مدنها.

إذًا وجودنا محصور في المنطقة الغربية التي تضم مدينتَي مكة المكرمة والمدينة المنورة، وما يميزهما أنّ فيهما المسجد الحرام الواقع في مكة المكرمة، والمسجد النبوي الشريف الموجود في المدينة المنورة، اللذَين يُعدّان أهمّ الأماكن قداسةً لدى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

المدينة المنـــــورة

أول عاصمة في تاريخ الإسلام وثاني أقدس الأماكن عند المسلمين كافة، تقع غرب المملكة، وتبعد 385كم شمال شرق مكة، تبلغ مساحتها 150 ألف كم2، ونفوسها 1،778 مليون نسمة.

المَعالـــــم

أ- المسجد النبوي الشريف:

أكبر المساجد في العالم، وثاني أقدس موقع في الإسلام بعد المسجد الحرام في مكة المكرمة، وهو المسجد الذي بناه النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- سنة 1 هجرية بجوار بيته بعد بناء مسجد قباء، وهو أحد ثلاثة مساجد تشدّ اليها الرحال، تبلغ مساحته 341 ألف م2، يستوعب مليون مُصّل عند الذروة.

ب- قبر الرسول الأعظم:

وافت الرسول محمّد -صلى الله عليه وسلم- المنيّة في يوم الإثنين، الثاني عشر من ربيع الأوّل من السنة الحادية عشرة للهجرة. قام بغسل النبيّ صلى الله عليه وسلم الإمام علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- مع العبّاس بن عبد المطّلب، إضافة إلى ولدي العباس، وأسامة بن زيد، وشقران مولى الرسول صلّى الله عليه وسلّم، فكان العبّاس وولداه يقومان بتقليب الرسول عليه السلام، وأسامة وشقران يقومان بصبّ الماء، وعلي رضي الله عنه

يقوم بغسله بيده من فوق ثيابه. وكان علي رضي الله عنه يردّد وهو يغسله (بأبي أنت وأمّي طبت حيًّا وميتًا)، ثمّ قام الناس فصلّوا عليه -عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم- فرادى، الرّجال ثمّ النساء ثمّ بعد ذلك الصبيان. قام أبو طلحة الأنصاري بحفر قبرٍ للرّسول عليه السلام، وقام علي بن أبي طالب بالنزول إلى القبر مع ابني العباس رضي الله عنهم جميعًا، ووارى جسده الطاهر التراب، ورفعوا القبر مقدار شبر عن الأرض، وكان رأسه إلى جهة الغرب، ورجلاه إلى جهة الشرق، ووجهه كان باتجاه القبلة.

يقع قبر الرسول -صلّى الله عليه وسلم- في الحجرة التي تُوُفّي فيها، والتي كانت تقيم بها زوجته عائشة، وتقع هذه الحجرة بالتحديد شرق مسجده -رضي الله عنه- في المدينة المنوّرة، ويمكن وصف مكان قبره -صلى الله عليه وسلم- في الزاوية الغربيّة القبليّة من حجرة عائشة. ويذكر أنّ الحجرة كانت مبنيّةً من الجريد قبل أن يقوم عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- باستبدال الحجر به؛ إذ قام ببناء حائطٍ صغيرٍ عليه، وبعد ذلك دُفن بجانبيه -صلى الله عليه وسلم- صاحباه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب، بعد أن أوصى أبو بكر الصديق عائشة بأنّه إذا توفي أن يدفن بجانب الرسول عليه السلام، واستأذن عمر بن الخطاب عائشة قبل موته بأن يتمّ دفنه بجانب صاحبيه، فقالت له: كنت أريده لنفسي، ولأوثرنّه اليوم على نفسي. وبين القبر ومنبر النبي روضة من رياض الجنة، وهي مسافة لا تتعدى عشرة الأمتار يسمح للزائرين أداء الزيارة فيها على شكل مجموعات، لتخرج منها وتزور قبر النبي وصاحبيه دون أن تلمس القبر أو تتوقف عندهما؛ لأنّ هناك من لا يسمح لك بالوقوف لكثرة الزائرين.

ت- مقبرة البَقيـــــــــع:

هي مقبرة بجوار قبر النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- الذي يضم معه قبر الخليفة أبي بكر الصديق والخليفة عمر بن الخطاب رضي الله- عنهما. مساحتها حوالي خمس دونمات، تضم عشرة آلاف صحابي... تقع في الجنوب الشرقي مقابل المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة، وأول من دفن فيها من المسلمين هو أسعد بن زرارة الانصاري، ثم دفن بعده الصحابي الجليل عثمان بن مظعون، ثم إنها تضم الرعيل الأول من الصحابة والصحابيات وآل بيت النبي الأطهار وهم: (عثمان بن عفان، العباس بن عبد المطلب، عبد الله بن عبد المطلب، إبراهيم بن محمد، الحسن بن علي، علي بن الحسين، محمد الباقر، جعفر الصادق، إسماعيل بن جعفر الصادق، فاطمة الزهراء بنت النبي وسيدة نساء العالمين، فاطمة بنت أسد، زوجات النبي وعددهن 12 زوجة، بنات النبي "زينب، أم كلثوم، رقية"، حليمة السعدية مرضعة النبي، فاطمة الكلابية زوجة علي أم البنين، عائشة بنت أبي بكر). مع وجود أكبر مغسلة للأموات في العالم فيها، وتضم المقبرة إضافة إلى ما ذكر شتى الجنسيات من دول العالم والشهداء والصحابة وعلماء المسلمين، مع وجود موقع إلكتروني خاص للاستعلام عن المتوفَّين وجنسياتهم، لا توجد لوحات إرشادية داخل المقبرة ونِقاط دلالة، وإنما هناك مرشدون لهذا الغرض، لا يعرفون مَن مدفون فيها على الرغم من وجود قبور كبيرة تدل على أنّ المدفونين فيها من ذوي شأن في الإسلام ويقولون لمن يسألهم: (لا تسألوا عن الأموات). وهي من أغلى المقابر أرضًا، إذّ يتراوح سعر المتر المربع الواحد فيها 500-400 ألف ريال سعودي. هذه المقبرة تُفتح بعد صلاة الفجر لمدة ساعتين، وساعة واحدة بعد صلاة العصر للرجال فقط، والنساء غير مسموح لهن زيارة المقبرة وإنما النظر من خلف السياج الخلفي.

ث- المساجـــــــد التاريخية:

مسجد قباء: أول مسجد بُني في الإسلام، ومسجد القبلتين، والمساجد الست في واقعة الخندق (الفتح، الإمام علي، فاطمة الزهراء، سلمان المحمدي، عمر بن الخطاب، أبو بكر الصديق)، وهي مجموعة مساجد مبنية في واقعة الخندق، وكل جامع يمثل مرابطة أحد الصحابة وموقعه في تلك المعركة.

ج- مقبرة شهداء معركة أحد:

تبعد عن المسجد النبوي الشريف مسافة 5 كم، وتضم 70 من الصحابة الذين استُشهدوا في معركة أحد، ومنهم الحمزة بن عبد المطلب -رضي الله عنه- عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

مكة المكرمـــــة

مهبط الوحي وأقدس بقاع الأرض وقلب العالم الإسلامي، منها انطلقت الحضارة الإسلامية والرسالة المحمدية إلى العالم. تقع مكة غرب المملكة، وتبعد عن العاصمة الاقتصادية -مدينة جده- حوالي 79كم، وعن المدينة المنورة ما يقرب من 385 كم، وهي في السابق منطقة جبلية جرداء ليس فيها شجر ولا ثمر، مساحتها 137 إلف كم2، ونفوسها 6،915 مليون نسمة حسب إحصاء عام 2012، الجو فيها حار صيفًا، إذ تصل درجة الحرارة إلى 47 درجة مئوية، وفي الشتاء مناخها دافئ لا تنخفض درجة الحرارة عن 17 درجة مئوية.. وكل شعوب العالم تلتقي في المسجد الحرام وهي تردّد (لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك) باللغة العربية الفصيحة، تؤدي شعارات مشتركة باستثناء البعض منا، فهو يؤدي شعائره بحسب أطروحات رجل الدين الذي يُقلّد.

المعالـــــــم

أ- المسجد الحرام:

يقع في قلب مدينة مكة المكرمة، وهو أعظم مسجد في الإسلام، تتوسطه الكعبة المشرفة التي هي أول بيت وضع للناس ليعبدوا الله، وهو قبلة المسلمين في صلاتهم، إذ يتوافد إليه ملايين الحجاج من مختلف أنحاء العالم لأداء مراسم الحج سنويًا في شهر ذي الحجة، كذلك أداء مناسك العمرة المفردة ممن لم يستطع ذلك، مساحته تبلغ بعد التوسعة التاريخية 1،470 مليون متر مربع، يستوعب مليوني مصل دفعة واحدة، ومن مرافق المسجد الحرام (الكعبة، حجر إسماعيل، بئر زمزم، مقام إبراهيم، الصفا والمروة، المطاف والمسعى، الحجر الأسود).

ب- الأماكـــــن التاريخية:

جبل ثور وغار الهجرة، وعرفة وجبل الرحمة، ومسجد نمرة والمشعر الحرام (مزدلفة)، ومنى ومسجد الخيف والجمرات وجبل النور وغار حراء مكان نزول الوحي، فهي لا تبعد عن المسجد الشريف كثيرًا، البعض منا يكتب اسمه أو اسم مريض يرافقه على الأحجار أو الصخور لغرض الشفاء أو التبرك، أو يصلي فوق الجبل،

أو يأخذ التراب أو الحصى، وهذا ما يثير حفيظة رجل الدين المسؤول عن المكان أو المرشد الديني، وهناك ليقول لك بأن هذا الحجر لا يضر ولا ينفع، أو يقول لك (أشركت يا حاج).

ت- مقبرة قريش المسماة (مقبرة الحجون):

تضم المقبرة أجداد النبي صلى الله عليه وسلم: (قصي بن كلاب، عبد مناف، عبد المطلب)، وفيها دُفنَ أبو طالب وخديجة الكبرى زوجة النبي، والقاسم بن محمد ابن النبي، وبقية بني هاشم، كذلك سمية أم عمار زوجة ياسر أول شهداء الإسلام.

إضافة إلى متحف الحرمين الشريفين، ومتحف مكة للآثار والتراث ومتحف التراث الإنساني.

لقد تعرضت تلك القبور والأضرحة إلى الهدم مرتين: الأولى عام 1805 على يد سعود بن عبد العزيز، ثم أعاد العثمانيون بناءها مرة أخرى. ثم تهديمها عام 1925 مرة ثانية بعد عودة آل سعود وسيطرتهم على الحكم بالتعاون مع الإنكليز وسقوط الدولة العثمانية عام 1922م. إذْ تم إحلال نظام علماني بدلًا من النظام العثماني من قبل الرئيس التركي الجديد مصطفى كمال أتاتورك (1881-1938) الذي بدوره ألغى الخلافة العثمانية نهائيًا في عام 1924م وطرد الخليفة عبد المجيد الثاني، وإقامة النظام الجمهوري الذي استبدل الحروف اللاتينية بالحروف العربية التي كانت تكتب بها اللغة التركية.

نهايـــــــــة الرحلة

كانت رحلة ممتعة تعرّفنا من خلالها إلى معالم المسجد النبوي الشريف، ومعالم بيت الله الحرام الواقع في وادٍ غير ذي زرع تحيط به الجبال من كل جانب، توصلك إليه أربعة أنفاق جبلية تنقلك من خلالها حافلات نقل مجانية واقفة قرب الفندق الذي تسكن فيه.

لقد كان الدور الأكبر في تلك الرحلة للمرشدين الدينيين، إذْ يقوم هؤلاء المرشدون بإلقاء محاضرات دينية - توعوية على المعتمرين، وتعليمهم مناسك الزيارة وشرح تاريخ المدينة المنورة ومكة المكرمة وأبرز معالمهما الدينية والأثرية ابتداءً من قبر الرسول والصحابة والمساجد السبع وجبل أحد، وغيرها من المعالم التاريخية التي لا تزال تنبض في وجدان جميع المسلمين على مختلف ألوانهم ومذاهبهم من الذين يتوقون إلى زيارة هذه الأماكن المقدسة التي كانت منطلقًا لنشر الرسالة الإسلامية إلى جميع أنحاء العالم.

وللمرشدة الدينية دورٌ كبير في الديار المقدسة من قبيل إعطاء المحاضرات الخاصة بالنساء لحل بعض الإشكاليات التي قد تحصل خلال أداء المناسك الخاصة بالنساء، إلا أنَّ ما لاحظته في تلك الرحلة عدم وجود مرشدات من النساء، على الرغم من أنّ النساء يمثّلن الغالبية العظمى من الزوار.

ولا ننسى التعامل الأخلاقي الجاد من قبل الإخوة السعوديين ابتداءً من وصولنا إلى المطار في مدينة جدة السعودية حتى رجوعنا إليه عند العودة، كذلك الإخوة المسؤولين عن المسجد النبوي الشريف والمسجد الحرام، خاصة عند أداء صلاة الجماعة مع عموم المسلمين في جميع مساجد المدن التي مكثنا فيها أو مررنا بها، والتي ذابت فيها الفوارق الطائفية والقومية وبقي الدين لله عز وجل، والوطن والتاريخ للشعوب.

فإياك أنْ يكون شعارك فيما اختلف فيه المسلمون من حديث وتفسير لكتاب الله وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، واتخاذك سنة اتباع المختلف عليه ابتغاء الفتنة والبغضاء والمذهبية المقيتة،، وإياك واتّباع الهوى والتعصب للحوادث التاريخية التي مرت بها الأمة العربية والإسلامية عبر تاريخها الطويل؛ لأن أولئك قبائل و عوائل سادت ثم بادت، وإياك والتّزمّت للآراء والأطروحات الفكرية والفقهية الوضعية المتطرفة لبعض رجالات الدين، وما كان عليه الآباء والأجداد من أفكار لا تتوافق مع الوحدة الإسلامية المنشودة؛ لأنها تولّد الفرقة بين المسلمين والتكفير والقتل على الهُوية.. وعدم التشبه بالكفار وأعداء الإسلام أو التوكل على غير الله، فقد قال عزّ وجلّ في كتابه الكريم: {ومن يتوكل على الله فهو حسبه}.

البحوث

إتيقا المرح عند باروخ اسبينوزا

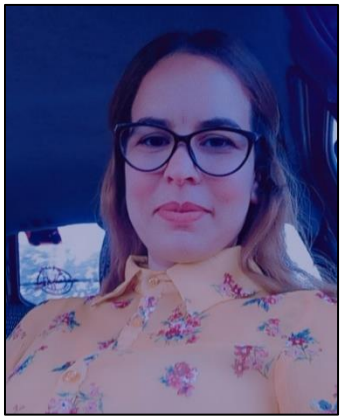

أ. فدوى الشاهد

مقدمة:

يسعى هذا البحث إلى التمييز بين الأخلاق والايتقا بما هي محاولة لتنسيب القيم الأخلاقية لصالح جودة الحياة وقوتها وانتصارا للحرية وإعادة الاعتبار للجسد. عبر الاستعانة بقراءة جيل دلوز-Gilles Deleuze 1925) (1995 لفلسفة باروخ اسبينوزا (Baruch Spinoza 1632-1677)العملية التي تقوم على رفضه لثلاثة مسلمات وهي: الوعي والقيم والانفعالات الحزينة والتي سنحاول من خلالها تبيان الفرق بين الأخلاق التي ترتكز على ثنائية القيم وما تعكسه من تضييق على حرية الفرد في اختيار نمط حياته وسجنه في مشاعر حزينة تنسف الحياة وتعدمها والايتقا بما سعي إلى تنسيب القيم وتغليب المشاعر المرحة انتصارا للحياة وإعادة الاعتبار للجسد متجاوزا بذلك صراع الثنائيات .

ولتحقيق هذا الأمر سننفتح على الفلسفة العملية لباروخ اسبينوزا وذلك وفق المحاور التالية:

- التقليل من قيمة الوعي قياسا إلى الفكر.
- تنسيب قيمتي الخير والشر لصالح الحسن والقبيح.
- الحط من كل الانفعالات الحزينة لأجل المرح.

أولا : التقليل من قيمة الوعي قياسا إلى الفكر .

ينتقد اسبينوزا مقولة الوعي في تناولها الساعي إلى إحكام السيطرة على الجسد والتحكم في الأهواء، موجها نظره نحو التساؤل عن إمكانات الجسد "فنحن نجهل ما يستطيعه جسد ما" on ne sait pas ce que peut le corps . لكن دعوة اسبينوزا للانفتاح على الجسد والانتباه إلى قدراته لا تعني إقصاء الفكر، فاقتراح الجسد كنموذج لا يتضمن أي أولوية للواحد على الأخر ولا يمنح بموجبه الأهمية للجسد على الفكر بل يرفض القول بتعالي الجسد عن الفكر وهذا ما تجسده أطروحة التوازي le parallélisme التي يوضح عبرها اسبينوزا طبيعة علاقة الجسد بالفكر .

nier tout rapport de causalité réelle entre l'esprit a Elle ne consiste pas seulement"… et le corps, mais interdit toute éminence de l'un sur l'autre. Si SPINOZA refuse toute supériorité de l'âme sur le corps ce n'est pas pour instaurer une supériorité de corps sur l'âme"[3]

وهنا تتجلى الدلالة العملية لهذا المبدأ والمتمثلة في قلب المبدأ التقليدي لقيام الأخلاق بوصفها المؤسسة التي تجعل الجسد والأهواء تحت سيطرة الوعي، في حين أن اسبينوزا يلغي أسبقية الواحد على الأخر من خلال دعوته إلى تبني الجسد كنموذج أي الانتباه إلى قدراته وإمكاناته، فالجسد يتجاوز أي معرفة نملكها عنه كما أن الفكر يتجاوز أي وعي نبنيه حوله، حيث انه يوجد في النفس من الأشياء التي تتجاوز وعينا بقدر ما يوجد في الجسد من الأشياء التي تتجاوز معرفتنا.
والهدف من تبيان مدى جهلنا سواء بالجسد أو الفكر هو التقليل من قيمة الوعي أمام الفكر لأن مجال الوعي حسب اسبينوزا هو مجال الوهم فطبيعته لا تسمح له إلا بادراك الآثار نظرا لجهله بالعلل والأسباب فنظام العلل يتحدد وفق شروط،فكل جسم من الامتداد وكل فكرة من الفكر مكونة من علاقات تحتوي أجزاء هذا الجسم أو أجزاء هذه الفكرة ومنه فلقاء جسمين أو فكرتين إما ينتج عنه تكوين وتركيب بين العنصرين ليصبح أكثر قوة وإما يفكك ترابطات أجزائه، ومنه فنظام العلل هو نظام تكون وانحلال العلاقات التي تحكم الطبيعة ككل .

modèle de corps selon Spinoza n'implique aucune dévalorisation de la pensée Le " mais ce qui est beaucoup plus important, une dévalorisation ,l'étendue par rapport à de la conscience par rapport à la pensée : une découverte de l'inconscient et d'un inconscient de la pensée non moins profond que l'inconnu du corps"[4]

لكن نحن ككائنات واعية لا ندرك من هذه العلاقات إلا أثارها مثال الشعور بالحزن أو الفرح فنحن نشعر بالفرح عندما يلتقي جسمنا بجسم أخر يزكي تعالقاته آو عندما يلتقي فكرنا بفكرة أخرى تزكيه،في المقابل نشعر بالحزن عندما يلتقي جسمنا أو فكرنا بما يهدد تعالقاته.
ومنه فنحن نكون في وضعية لا تسمح لنا إلا بادراك ما يلحق الجسم وما يجري على الفكر أي أننا ندرك تأثير

[3] Gilles Deleuze, Spinoza philosophie pratique, les éditions de minuit 2014, p28.
[4] P29

جسم ما على جسمنا وفكرة ما على فكرنا ولكن لا ندرك حقيقة هذا الجسم أي أننا نجهل نظام العلاقات التي تحكمه، وهذا ناتج عن الشروط التي بمقتضاها نعرف الأشياء ونعي ذاتنا والتي لا تسمح لنا إلا بادراك النتائج مفصولة عن عللها محصرون في حيز تحمل الآثار دون إدراك قانونها ومنه فنحن لا ندرك إلا الأفكار غير التامة والمبتورة مما يجعل وعينا قلقا.

"Les conditions dans lesquelles nous connaissons les choses et prenons conscience de
Nous-mêmes nous condamnons à n'avoir que des idées inadéquates confuses et mutilées, effets séparés de leurs propres causes."[5]

وبما أن الوعي لا يدرك إلا الآثار سيحاول ملئ جهله بقلب نظام الأشياء وذلك بجعل من الأسباب نتائج (وهم العلة الغائية) لتصير هذه العلل مدركة باعتبارها الأولى وستدعي سلطتها على الجسم فيعتقد نفسه حرا ليعطي بذلك للعقل قدرة متخيلة حول الجسم في حين أنه لا يعرف حتى ما يستطيعه هذا الجسد (وهم القرار الحر) وفي الحالة التي يكون فيها الوعي عاجزا عن تخيل ذاته بوصفه العلة الأولى التي تخطط لغاياتها فانه سيتوسل إلى إله مالك لفهم و إرادة يدبر وفق علة غائية و إرادة حرة ليوجد للإنسان عالما متناسبا مع جلال عظمته وهيبة عقابه (وهم الثيولوجيا)، ومنه فالوعي لا ينفصل عن هذه الأوهام الثلاثة التي تكونه.
وهكذا تصبح رغباتنا مجرد جهد نبذله للحفاظ على وجودنا وهو ما يسميه اسبينوزا بالكوناتوس بما هو الجهد الذي يبذله كل موجود للديمومة في وجوده،وهذا الجهد محكوم بالآثار التي تعكسها الأشياء علينا فهذه الآثار هي ما يمثل بالضرورة علة وعينا بالكوناتوس وبما أن الآثار لا يمكن فصلها عن الحركة التي عبرها ننتقل نحو كمال أكبر أو أقل (فرح أو حزن) تبعا لكون الشيء الذي نلاقيه يتوافق معنا أو لا يتوافق." فإن الوعي يظهر بوصفه الإحساس المستمر بهذا التلاقي انه بمثابة شاهد يسجل التحولات والتحديدات التي يحياها بالكوناتوس ...الوعي هو أشبه بالعبور أو لإحساس بالعبور من التركيبات الأقل قوة إلى الأكثر قوة... الوعي مجرد انتقال ... وهو لا يملك إلا قيمة الإخبار.."

ثانيا: تنسيب قيمتي الخير والشر لصالح الحسن والقبيح .

"لا تأكل من هذه الشجرة"

تعبر هذه العبارة عن الأمر الإلهي الذي تلقاه ادم من الله والذي فهمه ادم القلق والجاهل بأسباب هذا الأمر على أنه تحريم أخلاقي في حين أن الأمر يتعلق بحالة للقاء جسمين لا تتوافق علاقتهما المميزة يبعضهما البعض،حيث أن الفاكهة ستعمل عمل السم في جسد ادم فتجبر أجزاء جسمه على الدخول في علاقات جديدة لا تتوافق مع ماهيته الخاصة لكن نظرا لجهله بالعلل سيعتقد أن الله حرم عليه أخلاقيا شيئا معينا في حين أن الله لم يعمل إلا على إخباره بالنتائج الطبيعية المترتبة عن تناوله لهذه الفاكهة. ومنه يلح اسبينوزا على أن الظواهر التي نجمعها تحت اسم الشر والأمراض والموت كلها ناتجة عن تلاقيات غير متوافقة لذا فهي بمثابة نوع من سوء الهضم والتسمم.

[5] P30

انطلاقا من هذا المثال ينفي اسبينوزا ثنائية الخير والشر لصالح الحسن والقبيح، فالحسن يتحقق عندما يكون جسم ما علاقات مباشرة مع جسم أخر يزيد من قوته بينما يتحقق القبيح عندما يدخل جسم ما في علاقات مع جسم أخر لا تتناسب وماهيته ، ومنه يأخذ الحسن والقبيح معنى موضوعيا وفق ما يتناسب مع طبيعتنا وما لا يتوافق معها وكذلك يتضمنان معنى ذاتيا من خلال كونهما يحددان نمطين من وجود الإنسان، وجود حر ومعقول وقوي يعمل فيه الفرد على الدخول في علاقات تتناسب وطبيعته ليصبح الضعيف والعبد وغير العاقل هو ذاك الفرد الذي يعيش وفق صدف التلاقيات ويكتفي بتحمل أثارها .

تهتم الاتيقا إذن بأحوال الوجود المحايثة للإنسان وذلك بمساعدة الكائن على تفادي تكوين تلاقيات قبيحة لتجنب تدمير ذاته بفعل الإحساس بالذنب الذي قد يقوده إلى تدمير الآخرين من كثرة الإحساس بالضغينة مما يدفعه إلى نشر عجزه وعبوديته وتسممانه.

هكذا إذن تعوض الاتيقا بما هي أحوال الوجود المحايثة الأخلاق التي تحمل الوجود على قيم متعالية، إنها حكم الإله، إنها نظام الحكم في حين أن الاتيقا هي قلب لنظام الأحكام فضدا على أحكام الخير والشر يقيم اسبينوزا من خلال الاتيقا الاختلاف الكيفي بين أحوال الوجود (الحسن والقبيح) والتي تهدف إلى مساعدة الفرد في كيفية تبني طرق ملائمة لكي يحيا ويعيش .

" L’éthique est une typologie des modes d’existence immanents, Replace la morale qui
Rapporte toujours l’existence des valeurs transcendantes, la morale c'est le jugement de dieu, le système de jugements, A l’opposition des valeurs (bien-mal) se substitue la différence qualitative des modes d’existence (bon – mauvais)"[6] .

ينتقد اسبينوزا الخلط العملي الذي تقيمه الثيولوجيا بين المعرفة والأخلاق أي بين مجال الفهم ومجال الطاعة حيث أنها تعتبر أن النص المقدس هو أساس المعرفة ومنه افتراض وجود إله أخلاقي خالق ومتعال،لكن هذا مجرد خطا تم بمقتضاه الخلط بين الأوامر وما ينبغي فهمه فنتج عنه القانون كسلطة متعالية تحدد التعارض بين الخير والشر في حين أن اسبينوزا جعل المعرفة هي القوة المحايثة التي تحدد الفرق النوعي بين أنماط الوجود .

" La loi c’st toujours l’instance transcendante qui détermine l’opposition des valeurs
(bien-mal), mais la connaissances c’est toujours la puissance immanente qui détermine la différance qualitative des modes d’existence (bon-mais)"[7]

[6] P35
[7] P37

ثالثا: الحط من كل الانفعالات الحزينة لأجل المرح

النزوعات الحزينة هي تركيبة تجمع ما لا نهاية من الرغبات وتقلبات النفس والجشع والخرافة "إذ الذين يبدون أكثر حرصا على تبني كل أشكال الخرافة هم أنفسهم الذين يسعون بشكل لا حدود له لاكتساب الأملاك والثروات العينية"، فالطاغية يحتاج لحزن الأنفس حتى ينجح كما أن النفوس الحزينة تحتاج لطاغية حتى تستمر وتتكاثر ومنه فالذي يجمعهم هو الضغينة وكره الحياة.

الاتيقا بالمعنى السبينوزي تقف عند إنسان الضغينة هذا الذي تكون كل سعادة بالنسبة إليه اهانة فيصير العجز والضعف والبؤس مجال اهتمامه ومنه التركيز على كسر النفس وإضعافها عوض العمل على تقويتها، فتعمل الاتيقا بماهية فلسفة للحياة على فضح كل الأشكال المعادية للحياة من قيم متعالية مرتبطة بأوهام وعينا الملوثة بمقولات الذنب والخطيئة والاستغفار مما يوجه الفرد ضد ذاته فكل أشكال الكراهية الناتجة عن الإحساس بالذنب والعجز تجعل الفرد ينغمس في توالي المشاعر الحزينة التي تستعبده وتستلبه بفصله عن قدرته على الفعل فهي أدنى درجات قوتنا، لهذا يناهض اسبينوزا كل أشكال تزوير الحياة وقيمها المتعالية المعادية للحرية .

هذه النزوعات متجدرة في نظرية الآثار التي تنظر للفرد كماهية متفردة أي انه درجة من القوة تعكس قدرته على الانفعال، أي أن كل فرد يستجيب للمثيرات حسب قدرته الخاصة ومنه فمعيار تقويم الإنسان يرجع إلى مدى قدرته على الانفعال. وهنا يميز اسبينوزا بين نوعين من الآثار : الأفعال التي تفسر بطبيعة الفرد الذي تقع عليه والمشتقة من ماهيته والانفعالات السالبة التي تصدر من الخارج . ومنه فالقدرة على الانفعال تتقدم باعتبارها قدرة على الفعل ومن حيث كونها متحققة بالآثار الفاعلة ولكن أيضا كاستعداد لتلقي الفعل من حيث انه متحقق بالانفعالات السالبة. ومع ذلك يؤكد على أن القدرة على الفعل والانفعال مختلفين بل ينبغي أن نميز بين نوعين من القابلية للانفعال فما يميز الانفعالات السالبة هو أنها تفصلنا عن قدرتنا على الفعل، فعندما ندخل في تلاقيات مع جسم ما حيث تكون النتيجة إما الشعور بالحزن أو الفرح حسب نوع التلاقيات ننتقل من انفعال سالب لأخر موجب إذا تقوت قدرتنا على الانفعال مما يعكس نقطة تحول في اتجاه المرح الفاعل.

تهتم الاتيقا بكيفية جعل الفرد ينسج تلاقيات حسنة من شأنها أن تولد الغبطة والفرح، ومنه فالاتيقا هي إتيقا للمرح، وحده المرح له قيمة أما النزوعات الحزينة فتدفعنا نحو العجز .

تعمل الاتيقا إذن على دفع الفرد إلى تحصيل أرقى انفعالاته المرحة ومن ثمة بلوغ الإحساسات الحرة الفاعلة عبر تحقيق الأفكار التامة وبالتالي تكوين الوعي بالذات والله والأشياء.

" L’éthique est néssaicérement une éthique de la joie , seule la joie vaut , seule la demeure , nous rend proches de l’action et de la béatitude de l'action joie"[8]

خاتمة

إن سؤال كيفية ممارسة الحياة راهني لما يعرفه العالم من تحولات متعددة الأبعاد في المعيش الإنساني خاصة في ظل تنامي أصوات التعصب وادعاء امتلاك الحقيقة وإرهاب الغير وغصبه على الإيمان والعمل بمقتضياتها وما يعكسه ها السلوك العدواني من انتهاك للحق في الاختلاف فكرا وعملا ، ومنه فإعادة التفكير من قلب فلسفة اسبينوزا في القيم الحياتية الايجابية التي تنتصر للحياة المرحة وترفع التضييق الممارس على حرية الإنسان في اختيار نمط حياته يشكل بوابة فكرية مهمة لإمكانية فتح أفاق جديدة لتقوية الإنساني عبر خلق منابع للحياة المرحة.

[8] P42

قراءة في كتاب: (إنقاذ المظاهر في مفهوم النظرية الفيزيائية من افلاطون إلى غاليلي) لمؤلفه بيار موريس ماري دوهيم

أ. إيمان الباعوش

الملخص:

يقدم هذا الكتاب وجهة نظر ابستمولوجية مستوحاة -في كثير من عناصرها- من العودة إلى تاريخ علم الفلك، وعليه، فهي وجهة نظر حول تاريخ النظرية الفلكية، تقوم أساسا على تتبع نشأة المشكل الأساسي في علم الفلك، والمتمثل في طبيعة الفرضية في هذا العلم إن وجهة النظر هذه حول تاريخ النظرية الفيزيائية. كما يلح صاحب هذا الكتاب أن يسمي مادرجنا على تسميته بالنظرية الفلكية عندما يتعلق الأمر بالعلم القديم، لاتقل أهمية عن التصورات الإبستمولوجية التي بدأت في التبلور منذ أواخر القرن التاسع عشر، وشكلت مادة من المواد الأساسية للنقاش بين مختلف التيارات الإبستمولوجية طيلة القرن العشرين، وخاصة ذلك النقاش الذي تقابل فيه أنصار التصور الواقعاني للنظرية العلمية مع أنصار التصور الوسيلاني.

تعريف بالكاتب:

الكاتب هو بيار موريس ماري دوهيم، الفرنسفيالديناميكا الحرارية، الهيدروناميكا، ونظرية المرونة كان دوهيم أيضا مؤرخا للعلوم، مشهورا بعمله في العصور الوسطى الأوربية التي ينظر إليها على أنها خلقت مجال تاريخ العلوم في العصور الوسطى. كما فيلسوف العلم، يتم تذكره بشكل أساسي بسبب آرائه حول عدم تجديد المعايير التجريبية، والمعروف اليوم بعمله في الديناميكا الحرارية الكيميائية، وعلى وجه الخصوص (تأثره ب Duhem-Margulesوالمعادلات نهجه بشدة بالأعمال المبكرة ليوشيا ويلارد جيبس، والتي شرحها دوهيم

وروج لها بشكل فعال بين العلماء الفرنسيين. في ميكانيكا الإستمرارية، يتم تذكره أيضا لمساهمته فيما يسمى الآن بعدم مساواة كلوسيوس ودوهيم.

كان دوهيم مقتنعا بأن جميع الظواهر الفيزيائية، بما في ذلك الميكانيكا والكهرومغناطيسية والكيمياء، يمكن اشتقاقها من مبادئ الديناميكا الحرارية. متأثرة بالخطوط العريضة لعلم الطاقة لماكوورن رانكين.

تعريف بالكتاب:

كتاب إنقاذ المظاهر لمؤلفه بيير دوهيم، كتاب من القطع الصغير يحتوي على مائتين وثلاث صفحات الصادر عن دار الفاصلة للنشر سنة (2020)، من ترجمة الأستاذين: يوسف العماري الذي يشتغل أستاذا للفلسفة وتاريخ الأفكار العلمية بجامعة عبد المالك السعدي بتطوان. ومحمد أبركان الذي يشتغل أستاذا للفلسفة وتاريخ الأفكار العلمية بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، وقد قدم لهذه الترجمة الأستاذ عبد المجيد باعكريم الذي يشتغل أستاذا للفلسفة والإبستمولوجيا بالمدرسة العليا للأساتذة بمكناس.

عرض الكتاب:

موقف إنقاذ المظاهر إنبثق من تربة خصبة، وهو (علم الفلك) طبعا نعلم أن علم الفلك موضوعه الأساس هو دراسة حركات وأحجام الكواكب مثله مثل الرياضيات.

فعندما طرح أفلاطون مشكل عدم انتظام الأجرام السماوية، أمام من كانوا يبحثون في هذا الغرض ومن ضمنهم أرسطو، ويتمثل هذا المشكل في الإنخراط علميا لإيجاد حل لعدم انتظام حركة الكواكب. "سلم أفلاطون مبدئيا بأن الأجرام السماوية تتحرك حركة دائرية منتظمة، فوضع أمام الرياضيين المشكل التالي: ماهي الحركات الدائرية المنتظمة وفي الإتجاه نفسه تماما التي يجدر افتراضها كي يمكن إنقاذ المظاهر التي تظهر على الأفلاك".

وفي قائمة هذه الأسماء تجدر الإشارة إلى أدكسس (توفي حوالي 350ق.م)، في حين توفي أفلاطون (347ق.م). وميلاد أدكسس (408ق.م) أفلاطون ولد سنة 428ق.م) لايذكر اسمه في الفلسفة لأنه تعاطى للعلم أكثر من الفلسفة، بحيث سمع بأن هناك شخص اسمه أفلاطون ومكتوب على باب أكاديميته لايدخلها إلا من كان رياضيا) . لكن ينبغي الإشارة هنا إلى أن أدكسس هذا العالم الذي انخرط في البرنامج الأفلاطوني. ووضع فرضيات لعدم

انتظام الكواكب وبالتالي تقول عنه كتب التاريخ أنه هو من يستحق صفة (عالم الفلك) لكن السؤال الذي يظل مطروحا. ماطبيعة هذه الفرضيات؟ هل هي فرضيات رياضية وهندسية بالخصوص؟

بحيث أن أدكسس افترض كرات أو دوائر لها نفس المركز، على خط استواء أقرب كرة أو دائرة إلى الأرض وبالتالي افترض 27 كرة أو دائرة على خمسة كواكب. افترض ثلاث كرات لكل من الشمس والقمر وأربع كرات الخمس التائهة. لم يكن يفترض أن نجد أربع كرات في السماء.

وفي نفس الأكاديمية كان كاليبتوس (عاش في النصف الثاني من ق4 قبل الميلاد) قد تنبأ بمسار الكواكب. هذا هو المشكل الذي استحث جهود أدكسس وكاليب فكان إنقاذ المظاهر الغرض الوحيد الذي لأجله ألفا فرضياتهما: وماعدل كاليب بعض النقاط في توليفة الدوائر المتراكزة التي رتبها أدكسس إلا بسبب عدم توافق فرضيات سلفه مع بعض الظواهر، فأراد أن تنقذ هذه الظواهر أيضا".

لم يكن غرض العالمين الرياضيين أدكسس وكاليبتوس حسب ماتذكره الدراسات التي تؤرخ لعلم الفلك تقديم تفسير لحركات الكواكب، وإنما كان غرضهما تقديم فرضيات رياضية هندسية من أجل وصف حركات الكواكب.

ونلاحظ أن هذا الوصف يتم بواسطة التمثيل الهندسي (هندسة الدائرة) أو شكل الدائرة، وذلك لغرض أساس يتمثل في التنبأ بمسار الكواكب. وهكذا فلم يهتم كل من أدكسس وكاليبتوس بمسألة ما إذا كانت هذه الدوائر تمثل أجساما موجودة في السماء. بل كانت بالنسبة إليهما مجرد إنشاءات رياضية.

لكن النقاش حول مشكلة أفلاطون لم يتوقف عند موقفي أدكسس ومعاصره كاليبتوس بل استمر مع ارسطو تلميذ أفلاطون الذي أضاف إثنان وعشرون كرة ليصبح عدد المرات والدوائر، هو ستة وخمسين وهذا ما ينفعنا إلى الخروج باستنتاج مفاده أن ارسطو لم يهمل ما كان أدكسس وكاليبتوس قد أنجزه.

وقد اشترط أرسطوأن تكون هذه الدوائرأجساما أي مكونة من مادة بسيطة، وهي الأثير وبالتالي فأرسطو لديه خلفية فلسفية، ولهذا يرجح الرياضيات (أي هناك عالم متفوق القمر وعالم ماتحت القمر) فالعالم هو دائرة كبيرة تضم كواكب أي دائرة بالأثر الذي تخافه على صفحة القمر، وبالتالي فالكون شكله دائري هذا هو المنطق الكوسمولوجيا لأرسطو.

من هنا سيأخذ أرسطو وجهة أخرى للإشتغال على برنامج أفلاطون تتمثل هذه الوجهة في اعتماد الفيزياء والكوسمولوجيا عوض الرياضيات الصرفة لأرسطو (ت: 322ق.م).

"يتعين على النظرية الفيزيائية أن تفحص مايخص ماهية السماء والنجوم، قوتها وكيفيتها، كونها وفسادها".

لكن النظرفي هيئة العالم ازدهرقبل الميلاد اقتباسا من التصورات البابلية والمصرية وغيرها، فتكونت فرضيات مختلفة وامتحنها المتهمون على ضوء الرصد المنظم، المعبر عنه في جداول لطلوع الكواكب وغروبها وأزمنة الكسوف والخسوف والإقترانات، ومنذ القرن الرابع قبل الميلاد تقدم النظر الفلكي في النضج وأصبح يتبنى الصياغة الرياضية في إثباتاته.

ويعتبر كتاب **"المركب الرياضي"** الذي أنشأه بطليموس حوالي 170 خلاصة أهم الأفكار التي وصل إليها العلماء آنذاك والكتاب يقدم المعرفة المراكمة، ويضعها في سياقها المعرفي والفكري، حيث يرى أن علم الفلك جزء من التكوين الفكري العام الذي يرشد إلى تأمل النظام الكوني والجمال الإلهي. ويعتبر أن مهمة البحث هي تبين العلاقة بين الأرض باعتبارها في شموليتها والسماء في شموليتها، يستخدم الكتاب آليات حسابية وهندسية لتنظيم نتائج الرصد توضيحا الأفكار وتوخيا الدقة.

يعتبربطلميوس أن عدم الإنتظام الظاهرفي حركات الأجرام، يجد حله في تخيل دوائر مركبة بعضها على بعض إذ لابد أن حركات الأجسام العلوية دائرية، فأخذ بآلية تقنية ابتدعها هيبرخس ومثلها بنموذج هندسي أدمج فيه آلية فلك التدوير، لقد أسند بطليموس إلى كل كوكب من الكواكب المنكسرة فلكا مجاورا لأفلاك الكوكب الذي يتقدمه وللكوكب الذي يليه، إذ يتحرك الكوكب بين السطحين الكوريين المتراكزين مع العالم اللذين يحدان فلكه، وتنتج حركته عن فرضيات كثيرة ومعقدة تم عرضها في كتاب المجسطي. فكيف السبيل إلى تصور توافق بين هذه الفرضيات ومبادئ الفيزياء؟ بعبارة أخرى ماهي الشروط التي يحق للفيزياء، أن تلزم بها فرضيات علم الفلك؟.

سؤال لم يتوقف عنده بطلميوس، وهو رياضي وعالم فلك أكثر منه فيلسوف. لكنه لامسه في مقطع يظهر معناه بالغ القوة والدقةعندما شرح بالمقارنة مع كل ماقيل آنفا. وبالتالي بطليموس كان دائما يقر بفكرة مفادها أنه لايجب المقارنة بين الأمور الإنسانية والأمور الإلهية، بحيث جعل من الرياضيات العلم المعتمد في حل المشاكل التي تطرحها حركات الكواكب السماوية.

وبهذا الصدد يقول في كتاب المجسطي: **"لقد عقدنا العزم على جعل هذه العلوم الرياضية موضوعا لتأملاتنا وأعمالنا، ولقد اخترنا وفصلناعلم الحركات السماوية (الفلك). وهو علم موضوعه خالد ومنزه عن التغير، وهو يقبل هذه الدرجة من اليقين والبداهة والنظام، وهذه هي خاصية العلم.."**.

ويمكن القول إن بطليموس كان أفلاطونيا في تفكيره، فالفلك البطلمي يحمل في طياته عيوبا عادية، من قبيل الطابع التوفيقي لتقديراته؛ ولكنه يحمل عيبا مهما يتمثل في أن النموذج الهندسي المستعمل لايعبرعن واقع الأفلاك بل هما وسيلتان تقنيتان لرسم الإختلاف في المسافات بين الأجرام، إذ الأصل أن الحركات دائرية لكن الملاحظ غير ذلك وهو مادعي لاحقا بالتناقضات بين نتائج الرصد والأصل العقلي في الفلك البطلمي.

إن الإنتظام موجود لكن على مدى بعيد؛ أما الإدراك العادي اليومي فيقع على مظاهر من عدم الإنتظام، مثل كون الكواكب والشمس التطلع ولاتغرب عند نفس الموقع في الأفق إلى درجة أن دارسا حديثا اتهم بطليموس بالغش قائلا: **"طور بطليموس نظريات فلكية معينة واكتشف أنها غير موافقة الملاحظة وعوض أن يطرح النظريات انتحل عمدا ملاحظات من النظريات لكي يتمكن من ادعاء أن الملاحظات تثبت صواب النظريات"**.

هذا الأمر الذي أدى إلى بروز مواقف نقدية في هذا الصدد يمكن أن نستحضر موقف (ابن الهيثم) وهو الموقف الذي كان أحسن سبكا وأكثر شيوعا. ففي عرضه الحركات التي قدرها بطليموس للكواكب، يعلق قائلا **"وقد بقي أن نبين الطريقة التي ارتكبها بطليموس في الهيئات التي قررها الكواكب، وهي أنه جمع كل ما صح للمتقدمين وله من حركات كل واحد من الكواكب، ثم تطلب هيئة تصح أن توجد في أجسام موجودة تتحرك تلك الحركات"**.

بحيث وضح أن العيوب في الفلك البطلمي متعددة، لكن جوهر العيوب يتمثل في الإختلاف بين افتراض انتظام الكواكب وبين اصطناع آليات هندسية فيما يسمى بإنقاذ المظاهر.

وللتوسع في الموضوع ينبغي الرجوع إلى مقالات **"أخلاقيات الإعتراض في العلم عند النظار المسلمين شكوك ابن الهيثم على بطليموس نموذجا:** "بحيث يقول الكاتب في هذه المقالة" **إن القارئ لمقالة الشكوك على بطليموس قد ينتبه بغير صعوبة للبرنامج النقدي الذي وضعه صاحبها لنقد أفكار بطليموس في عامين هما الفلك والمناظر، حيث يتناول بالتقدم ثلاثة كتب لبطلميوس وهي: المجسطي والإقتصاص والمناظر.** هذا وإن كان الأول هو الذي نال النصيب الأكبر من نقد ابن الهيثم. بيد أن هذا البرنامج النقدي لايتضمن فقط تقديم

ملاحظات نقدية تهم المنهج الذي سار عليه بطليموس والمنهج التي تحصلت له بهذا السير، وإنما يتضمن أيضا ضوابط أخلاقية، قيد بها ابن الهيثم نفسه، وقد يصح عندها شروط يقتضيها أي تفاعل نقدي.

أما فيما يخص كتاب (**دورات الأفلاك السماوية**) لكوبرنيك يتضمن الكتاب ستة أقسام أو مقالات. الكتاب الأول يتحدث فيه كوبرنيك عن بنية الكون كما تنقل لنا الكتب، التي تتحدث عن هذا الكتاب القسم الأول يتحدث فيه كوبرنيك عن بنية الكون والأسس الفيزيائية التي يقوم عليها الكون أما القسم الثاني من الكتاب فهو مخصص للحديث عن الأمور الرياضية في علم الفلك هذا ونجد القسم الثالث يتحدث عن حركة الشمس الظاهرة. كما تظهر لنا بالحواس، كما خصص القسم الرابع للحديث عن حركات القمر وظاهرة الخسوف، والقسمان الأحيان الخامس والسادس خصصهما كوبرنيك للحديث عن حركات الكواكب في الطول وفي العرض. هذه هي مكونات الكتاب حسب مانجده في الدراسات التي تتحدث عنه.

وفكرة النظام الجديد للكون، أي حركة دوران الأرض حول الشمس نجدها متضمنة في الفصل العاشر من القسم الأول الذي يتحدث عنه كوبرنيك عن بنية الكون.

لكن السؤال الذي يظل مطروحا من صاحب التمهيد الموجود في مقدمة كتاب دورات الأفلاك السماوية، "**إن صاحب هذا التمهيد هو أندري أسياندركما كشف عن ذلك كبلروقد كان رجل دين والتمهيد كالتالي: "لا أشك البتة أن الشهرة قد أذاعت جدة الفرضية المتبناة في هذا العمل، أي فرضية كون الأرض متحركة بينما الشمس ساكنة في مركز العالم؛ كما لا أشك البتة أن بعض العلماء قد صدموا بشدة فحكموا عليها حكما سيئا، كوننا قد قمنا بالإخلال بالصنائع الحرة القائمة منذ أمد طويل على أسس متينة...**".

ومن خلال مضمون هذا التمهيد يبدو أن صاحبه كان يريد أن يقرأ قراء هذا الكتاب فكرة مفادها أن حركة الأرض هي مجرد فرضية هندسية غرضها إنقاذ المظاهر، ولكن للتعبير بتاتا عن واقع موجود وهو الواقع الفيزيائي؛ وبهذا فهي لا تختلف عن فرضيات بطليموس إلا في قدرتها على وصف مايحدث في السماء وصفا دقيقا، والسؤال الذي يظل مطروحا؛ هل هذا التمهيد يعكس ماقاله كوبرنيك؟ وما الغرض الأساسي في هذه الفرضية

كما يمكن أن نتحدث في هذا السياق عن الموقف المعاصر لإنقاذ المظاهر وهو موقف بيير دوهيم، بحيث أن هذا الموقف شمل تاريخ العلم مع اليونان حتى بيير دوهيم (فرنسي وابستمولوجي له عدة مؤلفات نذكر منها **sauver les apparences, Essai sur la théorie physique de Platon à Galilée.**

دون أن ننسى الوضع الذي كانت تمر منه الأفكار العلمية، فمنذ جيوردانو برونو (أحرقته الكنيسة)، أخذت طائفة من الفلاسفة بشدة على أندري أسياندر التمهيد الذي وضعه على صدر كتاب كوبرنيك.

ولم يتم التعامل مع الوصايا المقدمة لغاليلي من لدن بلارمان وأوربان الثامن، منذ يوم إصدارها بأقل صرامة، بحيث قدر فيزيائيو زمننا على نحو أدق مما فعله أسلافهم بحيث أن الحتمية الحقيقية، لعلم الفلك هي الفيزياء، وقد شهدوا على نهايات كثيرة ظلت إلى عهد قريب تعد يقينيات. فالواجب عليهم اليوم الإقرار والتصريح بأن المنطق كان لصالح أسياندر وبلارمان وأوربان الثامن، لا لصالح كبار وغاليلي وأن أولئك قد استوعبوا الحمولة الحقيقية للمنهج التجريبي.

بيد أن تاريخ العلم يعجل بكبار وغاليلي فيضعهما في مقام المصلحين العظام المنهج التجريبي، بينما لايذكر أسماء أسياندر وبلارمان.

لكن السؤال الذي يظل مطروحا لماذا تشبث بيير دوهيم بفكرة إنقاذ المظاهر وهو معاصر؟ لإجابتنا عن هذا السؤال يمكن أن نقول أن بيير دوهيم كان معتكفا في الكنيسة، ولأنه كان رجل دين قبل أي اعتبار آخر. دون أن ننسى الإنتقادات التي وجهت لبيير دوهيم ويمكن الإشارة هنا إلى مقال الوصف والتفكير الدارس بناصر البعزاتي بحيث يمكن اعتباره مقالا نقديا لموقف إنقاذ المظاهر، جاء في هذا المقال مايلي: **"تكون تصور إنقاذ المظاهر في سياق الخلاف بين التصورات التي سادت في الأكاديمية واللكيوم حول منهج العلم ووظيفته وعلاقته بالوقائع الطبيعية. ولايوجد إجتماع حول طبيعة رؤية أفلاطون بالضبط بعلاقة البناء النظري بالطبيعة؛ إذ بالرغم من أنه يتبنى الأسلوب في الدراسة التجريبية للظواهر..."** وربما كما يقول بعض الدارسين، واع بأن توجد وراء المظاهر علاقات خفية تحددها، يجب أن تكون موضوع البحث حيث أشار إلى أن مهمة النظر هي تجاوز المحسوس للوصول إلى المستور؛ غير أنه بقي عند هذا الإقرار، وكان ذلك في أواخر حياته. ولهذا صيغ مبدأ إنقاذ المظاهر الذي يزعم أن كنه النظرية العلمية هو وصف الظواهر... لأن صاحب المقال يستحضر النقاش الذي دار بصدد فكرة كوبرنيك أن أسياندر حاول أن يجعل من فكرة كوبرنيك مجرد فرضية، رياضية لاتعبر عن شيء يحدث في الواقع الفيزيائي. فإذا كان أسياندر دافع عن موقف إنقاذ المظاهر فيما يخص فكرة كوبرنيك، فإن صاحب الرأي رأى بأن هذا الدفاع كان مجانيا للصواب، لأن أقوالا وردت في كتاب كوبرنيك تكشف على أن هذا الأخير كان يريد لفكرته أن تعبر عن واقع فيزيائي. وبالنسبة لأسياندر فهذه مجرد فرضية، لايجب أن نعتبرها أنها تعكس الخلفية العلمية.

وأخيرا فكتاب إنقاذ المظاهر، يقدم في مجمل فصوله وتفاصيله وجهة نظر ابستمولوجية مستوحاة في كثير من عناصرها من العودة، إلى علم الفلك بدءا من أفلاطون إلى غاليلي، وأيضا تسلط الضوء على إشكال أساسي يتمثل في موقف الكنيسة من العلم والعلماء إن وجهة النظر هذه حول تاريخ النظرية الفيزيائية وبالتالي يمكن أن نعتبر هذا الكتاب، بمثابة وثيقة علمية وصريحة عن تاريخ الفلك والفيزياء عموماً.

الدروس المستفادة من العرض:

من ضمن أهم الدروس المستفادة من هذا العرض، وخصوصا من كتاب إنقاذ المظاهر كيف أنه تم التعرف على بيير دوهيم باعتباره فيلسوفا وعالم رياضيات متضلع في العلوم زيادة على ذلك تاريخ العلوم هو تاريخ تصحيح وتراكم خبرات .

المراجع المعتمدة:

- الخوارزمي، أبو جعفر. كتاب الجبر والمقابلة، تقديم علي مصطفى مشرفة ومحمد مرسي أحمد، مصر: دار الكاتب العربي، 1968
- الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا. المناظرات بين أبي حاتم الرازي وأبي بكر الرازي، ضمن رسائل فلسفية (لأبي بكر الرازي)، بيروت: دارالآفاق الجديدة، 1991
- الجرجاني، أبو سهل عيسى بن يحيى المسيحي. كتاب المئة، ضمن مقال غادة الكرمي، "كناش في الطب العربي" (بالإنجليزية)، مجلة تاريخ العلوم العربية، مجلد 2، عدد 2، 1978، ص 270-290
- بيير دوهيم، إنقاذ المظاهر في مفهوم النظرية الفيزيائية من افلاطون إلى غاليلي، طنجة: دار الفاصلة للنشر، 2020

مسابقة العدد

تعلن مجلة ثقافتك بالاتحاد العالمي للمثقفين العرب عن مسابقة القصة القصيرة جداً

الشروط :

- أن يكون العمل باللغة العربية الفصحى.
- أن يكون العمل خالي من الأخطاء اللغوية.
- الالتزام بشروط وقواعد القصة القصيرة جداً.
- ألا يحتوي العمل على ما ينافي الأخلاق، وألا يحتوي على انتهاك للأديان، أو تجاوزاً سياسياً.

يتم استقبال الأعمال من يوم ٢ أكتوبر / تشرين أول وحتى يوم ٣٠ أكتوبر / تشرين أول ٢٠٢٢

ترسل الأعمال على البريد الإلكتروني التالي: msb.wfai@gmail.com

جوائز المسابقة

يمنح الفائز بالمركز الأول شهادة تقدير ويتم نشر قصته في العدد الرابع من مجلة ثقافتك

نتيجة مسابقة مكتب السودان

المركز الأول: د. عمار البرهان – أحلام قصيرة الأمد

المركز الثاني: أ. عبد الله الحسن _ حكاية الزوجة التي لم يؤكل بسكويتها!

المركز الثالث: أ. عمر علي القجومي _ الغرفة رقم A16

نتيجة مسابقة العدد الثاني

الفائز: د. حسن أجبوه - المغرب

قصة "الكبش"

منذ أن أرغمته الظروف وأمه على الزواج، وترك حياة الشباب والعزوبية، وهو ينبذ حظه التعس الذي جعله يقترن بتلك المرأة النكدية، زوجة وأربعة أولاد صغار ينتظرون بفارغ الصبر معجزته وأموره الخارقة التي يظهرها كل سنة، ليقتني لهم كبشاً أقرناً أملحاً أكبر من أضاحي الجيران. لكن هذه السنة ما باليد حيلة فكل الذين اعتادوا إقراضه بعض المال، نهروه ووبخوه، فمن المجنون الذي يستدينه وهو يدري أنه عاطل ولا عمل له! الجميع يعاني ويقاسي الغلاء والعوز.

يأس من أمره وقرر سرقة أحد الأكباش من السوق، فلا سبيل لتفادي صراخ ولسان زوجته السليط سوى ذلك. إستغل إنشغال البائع بمساومة أحد الزبناء، وإنقض كوحش قارض عليه مراوغاً الحشد والعيون، مزهواً يجره بالحبل، والعرق والغبار يغطيان وجهه الشاحب. يبدو أن فعلتي نجحت، منتشياً بإقترابه من مغادرة السوق، راسماً بمخيلته إنبساط أسارير أولاده وأمهم. وإذا بيد تمسك كتفه وصوت أجش لرجل يظهر من لباسه الوقار والهيبة : لقد رأيت كل مافعلت! وأعذرك، لذلك لا تخف سأعطيك المال لشراء الكبش وأنا سأعيده لصاحبه.

إبتهج فرحاً، وزادت دعواته له بالخير والرزق، وأنه مازال هناك أناس صالحون خيرون في هذه الدنيا الكئيبة اللعينة. إستدار ينوي شراء كبش بالمال، إختار الأكبر وساوم الثمن وأعطى المال للبائع، فهو الآن مواطن صالح. إغتاظ البائع منه، وفي لحظة عصيبة صاح بأعلى صوته : ياجماعة! ياجماعة ! لقد أمسكنا على النصاب صاحب الأوراق النقدية المزيفة.

حصاد العام

بمرور العام الثاني على تأسيس الاتحاد العالمي للمثقفين العرب، نود توثيق ما وصل إليه الاتحاد في حصاد العام، لقد كان عاماً مليئاً بالنشاطات والفاعليات والنجاحات التي ستجنى ثمارها عما قريب.

بدأ العام الثاني بتتويج الفائزين في المسابقات المختلفة في المجالات المتنوعة (المقال العلمي، المقال التريخي، القصة القصيرة، الخاطرة، أدب الطفل، ...) وإصدار عدد من الكتب المميزة (كتاب بالعلم نحيا، كتاب ملتقى الحضارات، ....).

توالت بعدها الفعاليات بداية من المؤتمر الدولي الأول عن بعد حول التكنولوجيا، القانون والتعليم بين الواقع والمستقبل بالمغرب الذي شارك به الكثير من الدكاترة والأساتذة والباحثين من جميع البلاد العربية والأجنبية، والمؤتمر الدولي لظاهرة التسول الإلكتروني المظاهر والحلول، والمؤتمر الدولي الرابع التراجع العلمي في الوطن العربي وسؤال اللغة، المؤتمر الدولي القصة القصيرة بين الواقع والطموح، مروراً بالحفل التكريمي الخاص بمكتب الاتحاد بكندا بمناسبة الانتهاء من سلسلة الندوات التي أقيمت، إلى اتفاقيات التعاون المختلفة كالتعاون مع الجامعات (جامعة درنة، جامعة عمر المختار، جامعة محمد بن علي السنوسي)، التعاون مع مجلة البحوث العلمية السويدية الدولية، التعاون مع مؤسسة أفرا للدراسات والأبحاث بالمغرب، بالإضافة إلى إقامة الندوات المختلفة (ندوة السرد السوداني، ندوة العنف الأسري المشاكل والحلول، ندوة دور النشر ودورها في التعريف بالثقافة العربية، ...).

ولا ننسى التعاون بين الاتحاد ومؤسسة النيل والفرات وإطلاق مبادرة لنشر الكتب والروايات وغيرها وتقديم باقة المبدع لنشر المؤلفات والأعمال.

وما زلنا في انتظار العديد من الفعاليات والنشاطات الأخرى، المؤتمر العربي الدولي "أزمة الثقافة والمثقفين العرب في حركة النهوض _ معوقات وحلول" في 17 نوفمبر/تشرين ثاني 2022، والعديد من المسابقات المختلفة والندوات، تابعونا وانتظرونا.

الأخيرة

قداسة الحليب

أ. محمد علي الدباسي – رئيس الاتحاد العالمي للمثقفين العرب

من المعروف أنّ حليب الأم هو أول ما يتناوله الإنسان عند خروجه إلى الدنيا ورؤية هذا العالم ليبني به جسمه وعظامه بعد خروجه لتلك الحياة ضعيفاً، ما يعني أنّ أثر ذلك الحليب يبقى في جسمه وعظامه بسبب ذلك البناء إلى أن يموت.

ولأنّ ذلك الحليب ليس بالأمر الهيّن خاصة أنه عنصر البناء الوحيد لجسمه خلال تلك الفترة؛ فكل من رضع مع ذلك الإنسان من ذلك الحليب الطبيعي نفسه يعدّ أخًا أو أختًا له ولو لم يحمل معه اسم العائلة نفسها، فقداسة ذلك الحليب تبقى لا يؤثر عليها في ذلك عرق أو جنس أو نسب أو وقت، ولا يتأثر بعد ذلك بأي حليب يشربه الإنسان بقية عمره، ولو كان من أرقى مراكز التسويق في العالم.

نعم إنها قداسة ذلك الحليب الذي رضعناه ورضعنا معه كل شيء جميل، فأصبح يحمل تلك القداسة من تربية نشأنا عليها أو تعليم تعلّمناه ونحن نرضع من ذلك الحليب، وعلى رأس كل تلك الأمور التي رضعناها وتعلمناها وتربينا عليها مع ذلك الحليب هي قضية فلسطين.

نعم فلسطين تلك التي رضعنا وتعلمنا ونشأنا منذ أن أبصرنا الحياة على أنها قضيتنا الأولى والعادلة دينيًا وإنسانيًا، لا يغيّر ذلك شيء إلا موتنا أو عودتها لحضن أمتنا. فهي دينيًا أولى القبلتَين، وإنسانيًا هي الأرض المغتصبة التي اغتصبها الكيان الصهيوني، ولا بدّ من عودتها إلى أهلها، فمهما حاول المحاولون من محاولات لطمس هذه القضية والحديث على أنها غير عادلة أو أن للصهاينة الحق في شبر من تلك الأرض أو الطعن في شعبها، فلن يجدي ذلك ولن يغيّر من حقيقة أو عدالة تلك القضية ومكانتها لدينا.

إنّه لمن المستحيل أن تُنتزع تلك القداسة من تلك القضية، فلا دينَ يرضى بذلك، ولا إنسانيًا يليق، ولا قداسة ذلك الحليب الذي رضعناه مع تلك القضية تقبل، فالأجساد لا تخون ألبانها.

إن الإنسان بحاجة اليوم إلى الثقافة والوعي
حتى يستطيع إدراك الأمور فتصبح لديه
القدرة على الإصلاح والبناء

مجلة ثقافتك - ISSN: 2004-383X
9 780020 043836